


جـــــامعة غــــــــرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الشّيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب افريقيا (1168- 1233هـ / 1754-1817م)

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر:

إعداد الطالب: عومار عطية

المشرف: الدكتور : محمد حوتية

الرقم	الأساتذة	الرّتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د ناصر الدين سعيدوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضواً مناقشاً
04	أ.د بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	عضواً مناقشاً
05	أ.د صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي:

1436– 1437 هـ/ 2015 – 2016 م



جـــــــامعة غـــــــــــــــرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ



الشّيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية جذورها

وتأثيراتها على غرب افريقيا (1168- 1233هـ / 1754-1817م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر:

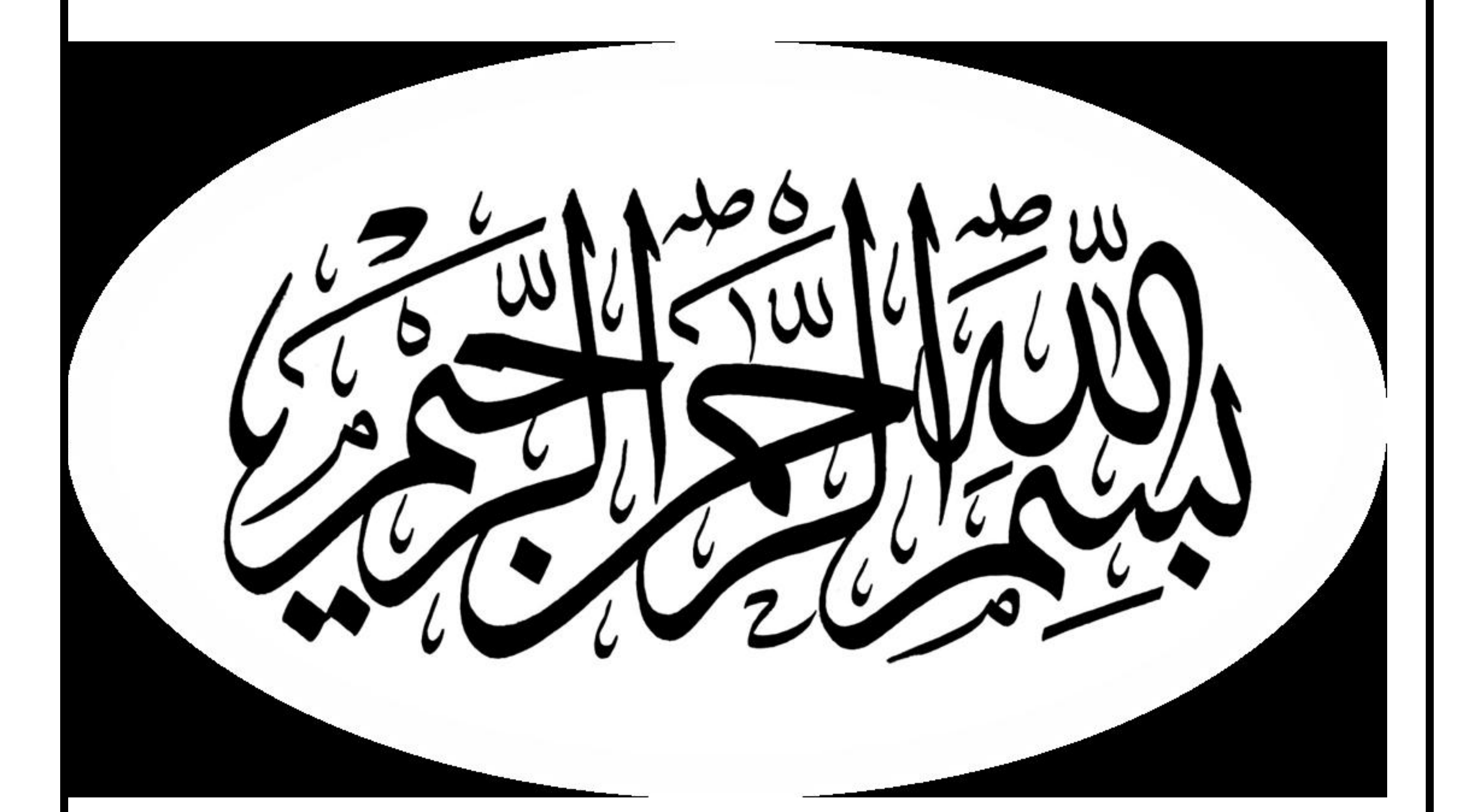
إعداد الطالب: المشرف:

عومار عطية الدكتور : محمد حوتية

الرقم	الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د ناصر الدين سعيدوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضواً مناقشاً
04	أ.د بن يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	عضواً مناقشاً
05	أ.د صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي:

1436 –1437 هـ/ 2015 – 2016 م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــداء

الحمد والشكر لله العلي القدير على إتمام هذا العمل الّذي اهدي ثمرته إلى

سندي في هذه الحياة التي كانت لي الأمن والأمان والاطمئنان واحتمى بها كياني أمي الغالية خديجة

إلى روح والدي الغالي أحمد الشايب

إلى روح جدي الغالي الحاج المدني

إلى زوجتي وسيلة وأولادي سليم، مروة، مصعب، عبيدة

إلى من أضفوا علي حياتي طعما خاصا إخوتي تومية، عامر وزوجته وأولاده ،وخليفة وزوجته

سعدية وزوجها وأولادها

إلي أعمامي وعماتي وأودلاهم وأخوالي وخلاتي وأولادهم

إلى كل عائلتي الكبيرة عطية

إلى رفقاء الدّرب وكل الزّملاء

و إلى كل من ساعدني ومدّ لي يد العون في انجاز هذا العمل

عومـــار عطية

شكــر

قال تعالى: « ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك الّتي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين » سورة النمل ، الآية 19.

نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه الّتي لا تعد ولا تحصى فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه فلله الحمد من قبل ومن بعد على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل

نتقدم بالشّكر والعرفان للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور محمد حوتية على صبره معنا وإشرافه وتوجيهاته القيّمة، التي كانت الطريق لإنجاز هذا العمل.

كما نتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة الكرام الذين قاموا بتدريسنا خلال مرحلة الماجستير، ونشكر أيضاً كل من ساعدنا من بعيد أو من قريب في إتمام هذا العمل.

والشكر موصول لأساتذة للجنة المناقشة الموقرة

فجزاهم الله جميعا خير الجزاء على تعاونهم وكريم فضلهم

عومـــــار عطية

المقدّمـــــــة

إنّ المتتبع لنشأة وتطور الحركات الإصلاحية بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر، يجد أنّها لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في أنحاء العالم الإسلامي من حيث ارتباطها بالحقبة الاستعمارية ومجابهتها لجحافل المحتلين الغربيين، بيد أن هذه الحركات اتخذت أشكالا تنظيمية وحركية فيها قدر كبير من النّضج والوعي شملت العديد من الجوانب والمجالات، وفي مقدمتها المساهمة في نشر وتثبيت الإسلام بالمناطق الدّاخلية لإفريقيا وبعث حياة التّجديد في الكيان الإسلامي وتبيان قيمته بالعودة إلى منابعه الأصلية.

وعلى الرّغم من أنّ النّشأة الأولى لهذه الحركات قد اتّسمت بمحدودية الرّؤية والتّركيز على الجانب الإيماني والعقائدي غير أنّها اكتسبت بمرور الوقت المزيد من الشّمولية حيث أصبحت تهتم بكافّة أوجه النّشاط الإنساني لاسيما القضايا السّياسيّة والاقتصادية والثّقافية، وهو الأمر الذي يعكس بعض التّباين والاختلاف في أنماطها من منطقة لأخرى، ذلك بالنظر إلى أساليب عيش القبائل الإفريقية وتنوع أنظمتها، خاصة تلك الّتي انتشرت بينها بعض الأفكار والعادات والتّقاليد البالية، وتفشت في أوساطها البدع والخرافات وكان لها تأثير في توجيه أساليب وأنشطة هذه الحركات.

ولعلّ من أبرز هذه الحركات حركة الشّيخ عثمان بن فودي الّتي كان لها نشاط مميّز بغرب افريقيا وبالضّبط في بلاد الهوسا، حيث كانت بمثابة حركة دعوية تجديدية عملت على إرساء دعائم إمبراطورية إسلامية كبرى بالمنطقة مطلع القرن التّاسع عشر ميلادي ، وأسهمت في حدوث العديد من التّغيرات والتّحولات على جميع الأصعدة، وهو الأمر الّذي دفعنا إلى اختيارها كموضوع للدّراسة تحت عنوان :

"حركة الشّيخ عثمان بن فودي جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا "

(1168–1233هـ/1754–1817م)

– الإطار الزّماني والمكاني للدّراسة:

ضبطت الإطار الزّماني للدراسة بمولد الشّيخ عثمان بن فودي إلى غاية وفاته 1168–1233هـ/ 1754–1817م، وإن كنا قد رجعنا إلى الفترات السّابقة الّتي سبقت حركة الشّيخ عثمان بن فودي وذلك ليتمكّن الباحث من فهم الإطار الواسع لجذور الحركة الّتي إلى تعود مؤثرات مختلفة، أما

الإطار المكاني فحدّدناه ببلاد الهوسا الّتي تشمل المناطق التّالية: (شمال نيجيريا وجنوب النّيجر وجزء من تشاد).

-دوافع اختيار موضوع الدّراسة:

من جملة الأسباب الّتي دفعتنا لاختيار موضوع الدّراسة ما يلي:

- محاولة جادّة منّا لدخول باب التّخصص في التّاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، خاصّة المتعلّق بإفريقيا جنوب الصحراء الّذي تميّز بكثرة أحداثه وتباينها، بالإضافة إلى تسليط الضّوء على شّخصية الشيخ عثمان بن فودي.

- الوقوف على الجوانب المختلفة من نشاط الشّيخ عثمان بن فودي، كمجابهة الأفارقة الوثنيين بممالك الهوسا ودوره في ترسيخ دعائم الإسلام بغرب افريقيا بداية القرن التاسع عشر ميلادي.

- محاولة إبراز الدّور الحضاري لبلاد المغرب الإسلامي وتأثيراته في منطقة غرب افريقيا عبر ربط هذه

- الحركة الإصلاحية بجذورها المغاربية باعتبار الامتداد الطّبيعي والجغرافي والتّاريخي للمنطقة.

- نقص الدّراسات الأكاديمية باللّغة العربية الّتي تناولت شخصية عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية التي وإن وجدت فقد ذكرت عرضاً.

- تعدد مؤلفات الشّيخ عثمان بن فودي الّتي تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والدّراسة.

- تقديم دراسة تكون لبنة لدراسات مستقبلية أخرى.

-أهداف الدّراسة:

تهدف الدّراسة إلى تسليط الضّوء على شخصية الشّيخ عثمان بن فودي والتّعريف بمختلف مراحل حياته الّتي ما تزال مجهولة لدى الكثيرين فضلا عن نقص الدّراسات حولها وهو ما لمسناه من خلال رحلة البحث عن المادّة الخبرية ، كما تهدف الدّراسة إلى إماطة اللّثام عن مختلف الجوانب في حركته الإصلاحية الّتي أثّرت بشكل أو بآخر في غرب إفريقيا عامة وبلاد الهوسا على الخصوص.

-إشكالية الدّراسة:

تتمحور إشكالية البحث حول شخصية الشّيخ عثمان بن فودي ومختلف جوانب حياته بالإضافة إلى حركته الإصلاحية ببلاد الهوسا مطلع القرن التّاسع عشر، ومختلف تأثيراتها بغرب افريقيا وقد ارتأينا صياغتها على النّحو التالي :

من يكون عثمان بن فودي وما العوامل المؤثرة في نشأته وحياته، و ما هي الجذور الأولى لحركته الإصلاحية؟ وما تأثيرات هذه الحركة على منطقة غرب افريقيا؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التّساؤلات الفرعية رتّبناها على النّحو التّالي:

-كيف كانت الحالة السّياسية والاجتماعية لبلاد الهوسا خلال النّصف الثّاني من القرن 18م؟

- متى وأين ولد الشّيخ عثمان بن فودي ؟ كيف كانت نشأته وظروف حياته؟

- ما أهم أعماله ومصنّفاته ؟ وما تأثيراتها في الحياة العلمية والثقافية ؟

- كيف كانت علاقته بالسّلطة والمجتمع؟وما الدّوافع الّتي كانت وراء تبنيه الإصلاح بالمنطقة؟

- ما هي الجذور الأولى لحركته الإصلاحية ؟ وما تأثيرات هذه الحركة في غرب افريقيا؟

الدّراسات السّابقة:

من الدّراسات الهامّة الّتي تناولت الموضوع بالدّراسة تأليف **محمد بن علي السّكاكر** بعنوان: **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن محمد فودي** ، دراسة تاريخية مقارنة وأيضا دراسة **أحمد محمد لواء الدّين: الإسلام في نيجيريا ودور الشّيخ عثمان بن فودي في ترسيخه** بالإضافة إلى الدّراسة الّتي أعدّها **أحمد بوعتروس** تحت عنوان **الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا جنوب الصحراء إبّان القرن الثالث عشر هجري والتّاسع عشر ميلادي** وفيها صورة مجملة عن الحركات الإصلاحية في غرب افريقيا ومنها حركة الشّيخ عثمان بن فودي.

ومن الدّراسات الأجنبية الّتي تطرقت للموضوع ما يلي:

Ismail A. B. Balogun: The Life and Works of 'Uthmān Dan Fodio: The Muslim Reformer of West Africa, Islamic Publications Bureau, 1975 .

Abdullah Hakim Quick :Aspects Of Islamic Social Intellectual History In Hausaland Uthman Ibn Fudi,1774-1804 C.E,A Thesis Submitted In Conformity With The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Graduate Department Of History, In The University Of Toronto, 1995.

المنهج المتّبع في الدّراسة:

اتبعنا في هذه الدّراسة المنهج التّاريخي الوصفي والمنهج التّاريخي التّحليلي، حيث وظفنا الأوّل في تتبع مختلف الوقائع والأحداث التّاريخية المتعلّقة بحياة الشّيخ عثمان بن فودي ودعوته وجهاده، أما الثّاني وظفناه في تحليل هذه الوقائع وتفسيرها من خلال جمع الرّوايات التّاريخية من مصادرها المتنوّعة ودراستها ومقارنتها.

الخطّة المعتمدة في الدّراسة:

للإجابة على إشكالية الدّراسة ومختلف التّساؤلات الّتي تندرج تحتها كانت خطّة البحث على النّحو التالي : مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة.

الفصل التّمهيدي وقد جاء بعنوان **بلاد الهوسا قبل قيام حركة الشّيخ عثمان بن فودي** حيث تمّ التّطرق فيه إلى الإطار الجغافي لبلاد الهوسا و مختلف الإمارات الّتي تكوّن هذه البلاد، و أبرز الـعناصر السّكانية وعالجنا فيه الأوضاع السّياسية والاجتماعية والدّينية ، ففي الأوضاع السّياسية تناولنا مظاهر التّفكك والصّراع بين إمارات الهوسا، وتدخل القوى الأجنبية فيها، أمّا الحياة الاجتماعية فبينا فيها العادات والتّقاليد البالية الّتي كانت سائدة في هذه البلاد، وما تعرّضوا له من مضايقات الحكّام وجورهم من فرض للضّرائب غير الشّرعية، أمّا الأوضاع الدّينية فقد ناقشنا فيها مدى تفشّي البدع والخرافات في مجتمعات الهوسا، والأمور الّتي ادخلوها في الدّين الإسلامي، ممّا أدّى إلى انتشار الفساد بابتعادهم عن الدّين ثم تأتي بقية فصول المذكرة.

الفصل الأوّل بعنوان **حياة ونشأة الشيخ عثمان بن فودي** و قد قسّم إلى أربعة مباحث حيث جاء المبحث الأوّل يتكلم عن مولده وما يتعلّق بأسرته و قبيلته ونشأته، والمبحث الثّاني الذي تطرقت فيه حياته العلمية مشايخه و تلاميذه، وعقيدته ومذهبه، والمبحث الثّالث فكان مضمونه عن رحلاته الدعوية والعلمية في بلاد الهوسا، والمبحث الرّابع ثناء العلماء و الملوك عليه ورؤية الشّيخ لأوضاع بلاد الهوسا وكيف شخّصها ثمّ ذكر وفاته.

الفصل الثّاني الّذي جاء تحت عنوان **جذور حركة الشّيخ عثمان بن فودي** فكانت تغطيته أيضا بأربعة مباحث فجاء المبحث الأوّل يبرز انتشار الإسلام، و المبحث الثّاني يبين انتشار اللّغة العربية، أمّا المبحث الثّالث تناولت فيه التأثر بالشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والمبحث الرّابع يدور حول انتشار الطّريقة القادرية وأثرها.

الفصل الثّالث فتناولت فيه **حركة الشّيخ عثمان بن فودي وجهاده ضدّ ممالك الهوسا**، وهو بدوره مقسّم إلى أربعة مباحث فكان المبحث الأوّل قد تناول التّعليم في حياة عثمان ودوره في نشره أمّا المبحث الثّاني فجاء ليحدّد علاقة الشّيخ عثمان بن فودي مع ملوك وعلماء ومجتمع بلاده، والمبحث الثّالث يتحدّث عن هجرته وتأسيس الدّولة بمبايعته أميرا للمؤمنين ، والمبحث الرّابع تطرّقنا فيه لبداية المواجهة العسكرية.

الفصل الرّابع المعنون بـ: **تأثيرات حركة الشّيخ عثمان بن فودي عل ى غرب افريقيا** موزّع على أربعة مباحث حيث تناول المبحث الأوّل تأسيس الدّولة وتنظيم اتها السّياسية و الإدارية، فيما يخص الخلافة والوزارة والجيش، أمّا المبحث الثّاني فقد تضمّن ال تّنظيم الاقتصاد ي والمالي للدّولة، كالزراعة والصناعة والتّجارة ونظام الزكاة والفيء والغنائم والضّرائب أمّا المبحث الثّالث فجاء ليبيّن الدور الكبير للشّيخ في ترسيخ دعائم الإسلام واللّغة العربية، والمبحث الرّابع يبرز مختلف مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرات الشّيخ عثمان بن فودي في الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا.

التّعريف بمصادر ومراجع الدّراسة:

المخطوطات:

من بين المصادر الّتي اعتمدنه ا المخطوطات الّتي خدمت الموضوع بشكل هام، حيث أمدتنا بمعلومات قيمة حول تاريخ المنطقة نذكر منها:

مخطوط تبشير الأمة الأحمدية لعثمان بن فودي، الأرشيف الوطني كادونا، المادّة رقم 2، المرجع O/R6.

ومخطوط كتاب النّسب لعبد الله بن فودي، الأرشيف الوطني كادونا، المادّة رقم 1، المرجع O/AR 27. (نسخة مصورة)

الوثائق المنشورة باللّغة الانجليزيّة:

نذكر منها **حوليات كانو** الّتي نقلها إلى الانجليزية بالمرPalmer :

H. R .Palmer:The Kano Chronicle, Vol 38,The Journal of the Royal Anthropological, Institute of Great Britain and Ireland, 1908.

و من الوثائق المنشورة أيضا **وثيقة أهل السّودان:**

D. H. Bivar: The Wathiqat Ahl Al-Sudan: A Manifesto of the Fulani Jihad, Vol. 2, No. 2, J.A. H, 1961.

بالإضافة إلى **كتاب تعليم الإخوان:**

G. Martin: Unbelief in the Western Sudan: 'Uthmān dan Fodio's "Ta'līm al-ikhwān", Vol. 4, No. 1, Middle Eastern Studies, 1967.

المصّادر العربية:

اعتمدنا في هذا الموضوع على المصادر الّتي ألّفها الشّيخ **عثمان بن فودي** و الّتي عكست لنا الصّورة الكاملة لمجتمعات بلاد الهوسا نذكر منها على سبيل المثال **إحياء السّنّة وإخماد البدعة** الّذي يبين جانب الدّعوة في محاربة البدع، والخرافات الّتي انتشرت في بلاد الهوسا. و**كتاب نور الألباب**: تحقيق إسماعيل حامت، المجلة الإفريقية، مج، 1898،42، الّذي ذكر فيه المصائب والبلوى الّتي حدثت في البلاد السودانية وكتاب **فتح البصائر لتحقيق العلوم البواطن و الظّواهر** : تحقيق سيني

موموني الّذي بين فيه صفات العالم وظيفته في مجتمعه مما يدلّل على اهتمام الشّيخ بإصلاح المجتمع. وكتاب **نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزّمان**، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير. وكتاب

بيان وجوب الهجرة على العباد ونصب الإمام وإقامة الجهاد، تحقيق ثاني يوسف برنن تد.

واعتمدنا على كتاب **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التّكرور** لمحمّد بلّو الّذي يعتبر من المصادر التّاريخية الهامّة عن تاريخ غرب افريقيا بصفة عامّة، و تاريخ بلاد الهوسا خاصة، كما أنّ مؤلّفه ممن عايشوا أحداث الجهاد بل كان من المشاركين فيها فنقل لنا جوانب كثيرة تتعلّق بحياة عثمان بن فودي وجهاده ضدّ حكّام بلاد الهوسا، ومن المصادر الهامّة أيضاً كتاب **تزيين الورقات** لعبد الله بن فودي تحقيق مورفين هيسكت (M. Hiskett)، حيث نظّم ديوانه الّذي يحتوى على عشرين قصيدة في أغراض مختلفة من مدح ورثاء وهجاء وفخر ونصيحة ووصف بالإضافة إلى تخميسه لقصيدة الشيخ عثمان في مدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم كما يحتوي على أشعار ذات صلة وثيقة بالجهاد، و يعتبر هذا الكتاب وثيقة تاريخية ذات أهمّية أوّلية، أما الجانب الشّعري فيها فقيمته تكمن في محتوياته لأنّ صاحبه أيضاً قد عايش هذه الأحدث التّاريخية.

المراجع العربية:

من أهمّ المراجع الّتي استفدنا منها كتاب: **الدّعوة الإسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني لحسين عيسى عبد الظاهر** الّذي تحدث فيه عن بعض الجوانب الهامّة في حياة هذه الشّخصية خاصّة في تأسيس الدّولة الّتي غيّرت مجرى الأحداث في غرب افريقيا.

وكذلك كتاب: **الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا لعبد لله عبد الرزاق إبراهيم** : الّتي دعمتنا بكثير من المعلومات المتعلّقة بموضوع الدراسة بالإضافة لكتاب: **الجهاد الإسلامي في غرب افريقيا لأحمد كاني** الّذي استفدنا منه في توضيح الكثير من الجوانب الّتي تخصّ حركة **الشّيخ عثمان بن فودي** .

كما اعتمدنا على كتاب **حركة المدّ الإسلامي في غرب افريقيا لعبد الفتاح مقلد الغنيمي** الّذي أمدّنا بنظرة شاملة عن انتشار الإسلام في غرب افريقيا عامة وبلاد الهوسا خاصّة، وتأثيراته

الحضارية، وكذا كتاب **الإسلام في نيجيريا لعبد الله آدم الآلوري** النّيجيري الذي تطرّق فيه لعدّة جوانب من حياة الشّيخ عثمان بن فودي، وكذلك دراسة **أحمد مهدي رزق الله** : **حركة التّجارة والإسلام والتّعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية** ، والّتي تطرقت لبعض جوانب خلافة سكوتو ومؤسّسها الشّيخ عثمان بن فودي.

كل هذه المؤلّفات جاءت تصبّ في موضوع الدّراسة الخاصّة بشخصية الشّيخ عثمان بن فودي وإن اختلفت في مواضيعها فإنّها منسجمة في معانيها و محتوياتها الّتي أمدّتنا بأفكار خاصّة بغرب افريقيا يصعب على الدّارس أن يصل إليها لولا مثل هذه الكتابات.

المراجع المعربة:

كما اعتمدنا على جملة من الكتب المعربة الّتي لها صلة بموضوع البحث من أهمّها كتاب **الدّعوة إلى الإسلام** لمؤلفه توماس أرنولد Tomas Arnold، ترجمة حسن إبراهيم حسن، الذي يتكلم عن انتشار الإسلام واللغة العربية ، وكتاب بانيكار Madhu Panikar ، **الوثنية و الإسلام تاريخ الإمبراطورية الزّنجية في غرب افريقيا** ، الّذي يوضح جوانب كثيرة عن العادات، والتّقاليد الزّنجية و كذا تاريخ الإسلام في افريقيا ، وكذلك كتاب هوبكنز Hopkins : **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تر أحمد فؤاد بلبع، الّذي قدّم معلومات قيّمة من النّاحية الاقتصادية عن غرب افريقيا.

المقالات:

اعتمدنا على مجموعة من البحوث والمقالات منها:

- الجمل شوقي عطاء الله: **عثمان دان فوديو و سياسة الجهاد الإسلامي الّتي اتبعها في ضوء مخطوط فريد بوثائق الرباط**
- العراقي السّيد أحمد: **بلاد إفريقيا الإسلامية عبر التّاريخ الدّور الحضاري و الثقافي**،
- منغا محمد الأمين: **اللّغة العربية واللّغات الإفريقية الأخرى**، مقال منشور ضمن مجلة معهد الدّراسات الإفريقية، الرباط.
- إسماعيل رفاعي الحاج: **دور المخطوطات العربية الإسلامية لقادة الخلافة الصّكتية، في إثراء اللّغة العربية في نيجيريا**، مقالة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للغة العربية الثاني، دبي، 2013.

المقالات المعرّبة:

ومن المقالات المعرّبة اعتمدنا على مقال:

هانويك جون: **اللّغة العربية ومظاهرها في غرب افريقيا، مجلة معهد المخطوطات العربية** ، مج 24, ج 1، مصر،1978.

المصادر الأجنبية:

ومن المصادر الأجنبية كتاب الرّحالة **كلابرتون** Clapperton :

Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa,1822-23 and 1824, London, 1926.

الّذي زار المنطقة و سجل ملاحظاته حول الدّولة السّوكوتية، و أيضا هنري بارث Henry Barth كان ممن زاروا المنطقة أيضا، ودوّنوا مشاهداتهم الّتي ظهرت في كتاب:

Travels'and Discoveries of north and central africa, vol1, new york, 1857.

المراجع الأجنبية:

اعتمدنا على مجموعة من الكتب الأجنبية منها كتاب:

J. S. Trimingham, Islam in West Africa, Oxford, 1959.

M. G. Smith, Government in Kano1350-1950, West view Press.

John O. Hunwick, Arabic Literature of Africa, The writings of central Sudanic Africa Vol.2. Volume 13

كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من المجلاّت الأجنبية الّتي تتضمّن مقالات تخصّ موضوع الدّراسة، وتتحدّث عن جوانب مختلفة من حياة الشّيخ عثمان منها:

F. Daniel, Shehu dan Fodio, Vol. 25, No. 99,J. R.A.S, Oxford University Press, 1926.

بالإضافة إلى مقال:

H. El-Masri The Life Of Shehu Usuman Dan Fodio Before The Jihādf, Vol. 2, No. 4 , J.H.S.N, 1963.

الصّعوبات الّتي اعترضت البحث:

لم تخلُ هذه الدّراسة من الصّعوبات الّتي واجهتنا أثناء البحث أبرزها أنّ هذه النّخبة كانت بعيدة عن اهتمام الدّارسين بسبب تعرضها للاستعمار البريطاني من جهة، ونقص المصادر والمراجع باللّغة الفرنسية من جهة أخرى، ناهيك عن انعدامها في المكتبات العمومية رغم السّفر الذي قمت به للمكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة، ومكتبات أخرى مثل المكتبة الوطنية التّونسية، لم أجد ما كنت أصبو إليه من كتب تخصّ بلاد الهوسا عامة، وكتابات تهتم بشخصية الشّيخ عثمان بن فودي بالإضافة إلى التّرجمة من اللّغة الانجليزية إلى اللّغة العربية، كما أن المشكل الأسري ومشاق العمل، وبعد المسافة بيني وبين الأستاذ المشرف زاد من الأمر صعوبة، رغم هذا فقد عملت جاهداً لأوفّق ما بين الصّعوبات والحمد لله على إتمام هذا العمل والله ولي التّوفيق.

الفصل التّمهيدي:

بلاد الهوسا الإطار الجغرافي وأوضاعها قبل قيام حركة الشّيخ عثمان بن فودي:

1- مدلول كلمة الهوسا

2- الإطار الجغرافي

3- إمارات بلاد الهوسا

4- شعوب بلاد الهوسا

5- الأوضاع السّياسية

6- الأوضاع الاجتماعية

7- الأوضاع الدّينية

1- مدلول كلمة الهوسا:

تطلق شعوب الهوسا هذا الاسم على بلادهم،كما يطلق هذه الكلمة اسماً على لغتهم فهو اسم يطلق ويراد به كل شعوب المنطقة الّتي تتكلّم هذه اللّغة باعتبارها لغة قومية فكلمة الهوسا تعني: اللّغة والنّاس الّذين يتحدّثون بها، والولايات الّتي يتركّز فيها الشّطر الأكبر من الشّعوب الناطقة بها[1].

أ- الهوسا لغة:

وهناك رأي لعلماء اللّغات يعطي تفسير آخر لكلمة الهوسا، لأنها لغوياً هي كلمة مركّبة من مقطعين: **هو** (Hau) بمعنى اركب، و **سا** (Sa) بمعنى ثور؛ أي أنّ اسم القبيلة هو **اركب الثور**. ويعتقد الكثير من المؤرّخين أنّ لغة الهوسا كانت موجودة ومستعملة، إلّا أن استخدام الثّور كوسيلة للنّقل كانت غريبة عند أهل غوبير أو أنّهم أخذوها من عرب بغداد[2].

ب- الهوسا اصطلاحا:

تطلق لفظة الهوسا على الّذين يتكلّمون لغة الهوسا، فلا يوجد جنس يختصّ بهذا الاسم، لأنّهم جماعات قَبَلِية وعرقية كثيرة امتزجت فيما بينها من السّودانيين أهل البلاد الأصليين والطّوارق والفولاّن[3] "لسانهم واحد وعلى كلّ إقليم أمير نظير للآخر"[4]. فالهوسا مجموعة لغوية أكثر منها مجموعة عرقية قبلية وقد قاموا أوّل الأمر في إسبن[5] ثم طردهم الطّوارق منها. والهوسا في العصور الوسطى كانت منقسمة إلى مجموعتين أصلية وفرعية[6].

وكان من نتائج هذا المجتمع المتعدّد الأعراق أن تقاسم لغة مشتركة وهي الهوسا. ممّا ساعد على قدرة

---

(1) حسين عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غربي افريقية و قيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1991، ص 61.

(2) ناجي علي بن أيوب، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت، دت، ص 33، الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في افريقيا و مساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط 1 1994، ص309.

(3) شوقي عطاء الله الجمل و آخرون، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، المجلد الثاني، القاهرة، 1997، ص 203.

(4) محمد بلّو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح علي عبد العظيم و آخرون ، 1964، ص ص 3- 4، عثمان فودي ،كتاب نور الألباب ، تح إسماعيل حامت ، المجلة الإفريقية، مج، 42، 1898، ص2.

(5) تقع مدينة أسبن شمال إمارة غوبر أنظر الملحق رقم 1.

(6) ك. مادهو بانيكار، الوثنية و الإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، تر وتح أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة ط2، ج1 ، 1998، ص 200.

التّجانس وسهل أيضا تمازج واندماج الجماعات العرقية الأخرى الّتي وصلت في شكل هجرات متلاحقة فعلى سبيل المثال قبائل الفولاّن عندما وصلت إلى أرض الهوسا في أوائل القرن الخامس عشر، فضّل الكثير منها الاستقرار في المدن، وعلى إثر ذلك فقــدت قبائل الفولاّن بداوتها، و تخلّ الكثير منهم عن رعي المواشي، وأعمال الزّراعة، وفقدت معها أيضــا لغتها الفلفــلدية (لغة الفولاّني)، وأصبحوا يتحدّثون الهوسا في مكان لغتهم[1].

2- الإطار الجغرافي:

بلاد الهوسا[2] تشكّل جزءاً من إقليم السّافانا الّتي يمتدّ عبر إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، وتقع في المنطقة الممتدّة بين جنــوب الصّحراء الكبرى شمالاً وإقليم الغابات الاستوائيــة جنوباً وبحيرة تشاد شرقا ونهر النّيجر الأوسط في الغرب . وكانت تعرف عند العرب ضمن ما يطلق عليه اسم بلاد السّودان، أرض السُّود، والسّودان هو اسم عام [3]، وتحتلّ الجزء الأكبر من المنطقــة بين بحيرة تشاد ونهر النّيجر في الغرب الأوسط [4]، واعتُبرت بلاد الهوسا الحدّ الفاصل بين مملكتين قوّتين في منطقة غرب إفريقيا القوة السّياسية في الشّرق، الممثّلة في دولة البرنو بالسّودان الأوسط، والقوّة السّياسية في الغرب الممثّلة في السّنغاي بالسّودان الغربي [5]، بينما مناطق السّافانا من جهة الغرب كانت مصدراً هامًّا للذّهب والرّقيق ومختلف المواد الأوّلية ممّا جعلها محلّ اهتمام الكثيرين باعتبارها مركز نشاط واستغلال للمواد الّتي يحتاجها السكّان في المنطقة، فكانت جزءا من سياسة بعض حكّام الهوسا ومقصداً لهم، بالرّغم من أنّهم لم يتمكّنوا

---

(1) USMAN Muhammad Bugaje، A Comparative Study Of The Movements Of Uthman Dan Fodio In Early Nineteenth Century Hausaland And Muhammad Ahmad Al-Mahdi In Late Nineteenth Century Sudan, A Thesis submitted in partial fulfillment of Master Degree in African and Asian Studies, Institute of African and Asian Studies, University of Khartoum, sudan, 1981, p 20.

(2) تكتب في بعض المصادر حوصة أنظر دائرة المعارف الإسلامية ج 8 ص 136 مادة حوصة وآخرون التزموا كتابتها حوس أنظر إنفاق الميسور لمحمّد بلّو و لكنّ الغالب و المشهور من الباحثين التزموا كتابتها هوسا.

(3) عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 11.

(4) H.A.S. Johnston, The Fulani Empire of Sokoto, Oxford University Press, London. 1967 ,p 1.

(5) أنظر الملحق رقم 02 القوي السّياسية في غرب إفريقيا بورنو وممالك الهوسا والسنغاي.

من السّيطرة الكاملة على هذه الموارد[1].

وبحكم موقعها الجغرافي، فهي تُعَدُّ ملتقى الأجناس المختلفة كالطّوارق والفولاّنيين وغيرهما ، ممّن توافد إلى هذه البلاد من جهات متعدّدة، حيث أنّها أصبحت مكاناً لاجتماع سلالتين متميّزتين عرقياً ولغوياً: السّلالة السّودانية الأصل والسّلالة الحامية[2]، ولهذا أصبحت لها مكانة تاريخية هامّة، خاصّة عندما تدفّقت عليها قوافل التّجارة من بلاد المغرب الإسلامي عبر الصّحراء الكبرى، ونقلت إليها كل ما له علاقة بالحضارة العربية الإسلامية، وربطت علاقاتها الخارجية التّجارية بمختلف المراكز التّجارية عبر مختلف المسالك والطّرق التّجارية، واتّسع حجم المبادلات من السّلع والمنتجات، وازدهرت الحياة الاقتصادية، ونشطت التّجارة النّهرية خاصة عبر نهر النّيجر[3] الّذي ساهم توزيع تجارة المغرب الإسلامي، وقد أكّدت الكثير من الدّراسات، أنّ للأنهار دور حضاري كبير في توجيه الشّعوب، وتوحيد تحرّكاتها، وإنشاء حضاراتها، ونهر النّيجر كغيره من الأنهار قامت على ضفافه دول وممالك منذ القدم، ولعلّ أبرزها مملكتي مالي وسنغاي وقامت هذه الممالك بدور كبير في نشر الحضارة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا وبلاد الهوسا[4].

3- إمارات بلاد الهوسا:

أجمع المؤرّخون أنّ تاريخ إمارات بلاد الهوسا يكتنفه الغموض إلى حدّ كبير [5]، فالأقاليم الّتي تعيش فيها قبائل الهوسا تتألّف من سبعة ممالك، وهي تمثّل مجموعة من دول المدن، و لعل الأقرب تفسيراً أنّها قد تشكّلت خلال القرن الحادي عشر ميلادي والقرن الثّاني عشر الميلادي، بإتّحاد عدد من المدن المسوّرة الّتي شكّلت وحدات سياسية من الهوسا [6]، هذا ما ذهب إليه بعض المؤرّخين حيث يقول ترنجهام

---

(1) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة – محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1988، ص ص 209-226

(2) H.A.S. Johnston، Op.cit , P1.

(3) يعتبر نهر النّيجر من أهمّ معالم غرب القارّة الأفريقية ، على طول 4100كيلومتر، ينبع من مرتفعات فوتا جالون ، وتتّصل به عدّة أنهار أخرى، يجري بالمنطقة المدارية، و يخترق بلاد الهوسا من جهة الغرب، و يصبّ في المحيط الأطلسي عند خليج غينيا. محمد أنور، نهر النيجر ثالث أكبر انهار إفريقيا، مجلة افريقيا قارتنا، ع 7، القاهرة، 2013، ص 1-2. أنظر أيضا إقليم غرب افريقيا، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، م12 ،1999، ص ص41-43.

(4) محمد بن علي السكاكر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن محمد فودي، دراسة تاريخية مقارنة،كلية العلوم الاجتماعية، الرياض،1407هـ، ص 19.

(5) J. S. Trimingham، Islam in West Afric, Oxford, 1959, p.134.

(6) Ibid، p196.

Trimingham: بأنّ هذه المدن المسوّرة كانت تدعم نفسها ذاتيا، وكانت تساعد القرى الصّغيرة وتقدم لها الحماية مقابل تقديم الولاء والطّاعة لها، ومازال زعماء هذه المدن في سعيهم لضمّ المزيد من القرى والبلدات تحت سلطتهم عن طريق الإقناع، أو التّحالف أو الإكراه، وهكذا على ما يبدو كان تشكّل الوحدات السّياسية لدول الهوسا[1].

وقد اجتهد كلّ ملك في تحصين عاصمته، وتنميتها اقتصادياً عن طريق التّجارة، والصّناعة التّقليدية، خاصّة وأنّ المعادن متوفّرة في المنطقة كالحديد والنّحاس، كما أنّ المنطقة تكثر فيها المواشي مما أهّلها لأن تكون رائدة في الصّناعة النّسيجية[2].

تعددت الكتابات حول أصول إمارات الهوسا الّتي أرجعتها إلى أصول مختلفة منها الأصول عربية من بغداد و حسب بعض الرّوايات والأساطير المتواترة والأكثر تداولاً ترى أنّ هناك بطلاً يدعى باياجيدا Bayajidda؛ أي رجل الشّرق الّذي قتل الحيّة المقدّسة وتزوّج بابنة الملكة دورا [3]، ومنها أنجب أولاداً أسّسوا ما يعرف بدول الهوسا السّبعة Haussa Bakwai، وكلمة باكواى بلغة الهوسا تعني العدد سبعة أي إمارات الهوسا السّبعة وهي:دورا Duara– كانو Kano – كاتسينا kashina– غوبر Gober– زاريا Zaria– رانو Rano – بيرم biram[4]. وهناك سبع إمارات أخرى غير أصلية تدعى Bennza Bakwai ويتكلّم سكّانها لغة الهوسا كلغتهم الأم، وتتمثّل في كلّ من كبي وزمفرا وجواري وجوكون ويوربا ونوبي ويوري[5].

وقد دخل الإسلام هذه البلاد منذ القرن الثّامن الهجري، والرّابع عشر ميلادي على يد التّجار المسلمين، الّذين قَدِمُوا إليها عن طريق شمال إفريقيا، إلاّ أنّ الإقبال على الإسلام كان بطيئا ولم يكن شاملا لجميع طبقات الشّعب في هذا الوقت، وإنّما كان مقصوراً على بعض الأمراء، الّذين وجدوا في اعتناقهم الإسلام عاملا مساعدا لهم لتثبيت نفوذهم وإحكام قبضتهم على زمام الأمور فأنشأوا علاقات دينية إلى جانب العلاقات التّجارية القائمة بينهم وبين التّجار الوافدين، وقد تفاوتت هذه الإمارات في قوّتها في فترات مختلفة وأهمّها:

---

(1) Ibid، p 127.

(2) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للنشر و الطباعة، الكويت، 1982، ص 80.

(3) بالمر، قائمة ملوك دورا، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 4 مرجع 10 O/AR، ص ص1-25.

(4) أنظر الملحق رقم 01 ممالك بلاد الهوسا.

(5) بوفيل، المرجع السّابق، ص366.

أ- إمارة دورا Duara:

تقع إمارة دورا في الجزء الشّرقي من بلاد الهوسا، ويحدّها من الشّمال زندر والصّحراء، ومن الجنوب كانو ومن الشّرق دولة بورنو، ومن الغرب كاتسينا، وقد اعتبرت هذه الإمارة من أقدم إمارات الهوسا، فهي الموطن الأصلي للسّلالة الحاكمة في كل إمارات الهوسا بايجيدا، والّذي نزل فيها وتزوّج من أميرتها وتعاقب أبناؤه على الحكم(1).

ويورد بعض المؤرّخين أنّ دورا سكنتها شعوب تكوّنت نتيجة لعدّة هجرات، وكان من أوائل الوافدين إليها قوم من مصر العليا، ومن الحبشة ومن العرب، ومنهم تكوّنت نواة قبيلة الهوسا القديمة في حوالي القرن الثّامن ميلادي(2)، وكانت تُحكَمُ عن طريق الأَميرات من رقم واحد إلى رقم سبعة عشر، وذلك في القرن العاشر الميلادي، واستمرّ حكم الهوسا إلى عهد جيرو Jeero السّلطان السّابع والأربعين آخر ملوك وسلاطين غوبر، الّذي خلفه الأمير عبده أوّل أمير في خلافة سوكوتو في بداية القرن التّاسع عشر(3).

ب- إمارة كانو Kano:

تعد كانو إحدى إمارات الهوسا الأصلية، و أوفرها حظاً في حفظ تاريخها دون سواها فتاريخها موثوق بفضل حولياتها، وثراء رواياتها الشّفوية(4)، وتعدّ الأشهر في بلاد الهوسا، وهي إقليم شاسع مترامي الأطـراف على بعد 500 ميل شرق نهر النّيجر، ويحدّه من الغرب إقليم أغاديس(5)، ويحتوي هذا الإقليم على أنهار وجبال ووديان وسهول، مما ساعد على وجود الأشجار المختلفة فهي بلاد بركة (6)، ومدينة هذا الإقليم لها سور مبني بالرّكائز والطّين، ودُورُها مبنية بنفس المواد (7)، لقد كانت كانو من أعظم الإمارات في بلاد الهوسا فهي الأكثر سكانا، وموقعها المركزيّ أَهّلها لتكون ملتقى القوافل التّجارية الّتي تدفّقت من غات وغدامس عبر طرابلس، حيث كانت أسواقها عامرة ومزدحمة بالتّجار والحرفيين، الّذين كانوا متلهّفين للعمل كسماسرة

---

(1) مجهول، قائمة ملوك دورا، جمع بالمر، الأرشيف الوطني كادونا، المادة4، المرجع O/AR10، ص 1-25.
(2) عبد الله آدم الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت،1965،ص ص72.
(3) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السّابق، ص315.
(4) تاريخ تأليف هذه الحوليات حوالي1890م، واعتمدت على نصوص قديمة سابقة للجهاد، و تذكر حوالي 48 ملكا من ملوك الهوسا بعد 1807م من باغودا إلى محمد بلو و هي مكتوبة بالعربية ونقلها بالمر إلى الانجليزية1908م.
(5) الحسن الوزان، وصف افريقيا، تـر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج 2،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ص173، مارمول كربخال، افريقيا، تر: محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، ج3، 1989ص 207 .
(6) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص44.
(7) الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص173.

لشراء الفائض من السّلع، وتصديرها إلى المدن المجاورة[1]، كما كانت أَسْبَقَ مَمَالك الهوسا دُخولا في الإسلام وذلك في القرن الثّامن الهجري أي الرّابع عشر ميلادي، في عهد الملك ياجي بن تساميا حين وفد إليها جماعة من العلماء الونغارة من مالي دعوا ملوكها إلى الإسلام فاستجابوا لهم، وقد قاد هذا السّاركن [2] حروباً طويلة ضدّ الوثنيين في إمارته، وانتصر عليهم وحطّم أوثانهم وبنى مسجداً في مكان الصّنم الّذي كانوا يعبدونه[3].

وقد احتلت كانو مكانه كبيرة في عهد الملك التّاسع يعقوب، حيث نشطت حركة هجرة الفلاتة، كما هاجر إليها عرب الشّمال وقبائل الصحراء، وانتعشت تجارة الملح، ونما التّبادل التّجاري بينها وبين مناطق الجنوب، وقصدها كبار التّجار والأعيان والأثرياء، وازدهرت فيها العلوم الدّينية وانتشر التّعليم في المساجد والكتاتيب القرآنية [4] .

ومن أشهر ملوكها محمد رمفا (1436-1499م)، إذ في عهده شهدت كانو أزهي عصورها وقدمها الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وقطنها وتولّى بها القضاء والإفتاء [5]، وطلب منه الأمير أن يكتب له رسالة في أمور السّلطنة وشؤونها وكيفية ممارسة الحكم فكتبها له عام 898هـ/1492م، وقد شَيّد الأمير رمفا عددا من المساجد، وشجع التعليم، وبنى عددا من الدور والمساكن، وبنى حولها سوراً له سبعة أبواب[6]، فكانت مركزا ثقافياً، وتجاريًّ هاماًّ في بلاد الهوسا، فأصبحت مقصداً للطّلاب والعلماء، وكذا قوافل التّجارة[7].

إلاّ أنّ النّزاعات القائمة بينها وبين جاراتها سلبتها أهمّيتها، وفي القرن الحادي عشر الهجري السّابع عشر الميلادي، أصابها ضعف شديد جرّاء الهجوم الّذي شنّته عليها كلٌّ من برنو من الشّرق وكبي وكاتسينا من الغرب، وخلال القرن الثّامن عشر الميلادي تعرّضت كانو لغزو من طرف زمفرا وغوبر، فتدهورت

---

(1) M. G. Smith، Government in Kano1350-1950, West view Press, pp 22-23.

(2) **السّاركن**، بلغة الهوسا و تعني الملك أو الحاكم.

(3) H. R . Palmer، The Kano Chronicle, Vol 38, The Journal of the Royal Anthropological, Institute of Great Britain and Ireland, ,1908, pp70-72

(4) يحي بوعزير، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ط خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 116.

(5) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق، ص82 .

(6) يحي بوعزير، المرجع السابق، ص 116.

(7) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق ،ص ص82.

أوضاعها الاقتصادية والسّياسية، وغادرها عدد كبير من النّاس، وبقيت تصارع صامدة، حيث تمكّنت من استعادة استقلالها عدّة مـرات، إلى أن دخلت تحت نفوذ الشّيخ عثمان بن فودي في مطلع القرن التّاسع عشر الميلادي، لتقع في بداية القرن العشرين وهذه المرّة تحت وطأة الاستعمار البريطاني[1].

ج- إمارة كاتسينا kashina:

تسمّى كاتسينا اشتهرت كاشنة باسم زوجة الرّجل الّذي أسّس المدينة ويدعى جنزما [2]، تقع إلى الشّرق من إقليم كانو، فيها جبال وسهول، وأراضيها وعـــرة مـن منتجاتها الشّعير والدّخن [3]،كانت تتشكل من مقاطعات تتكلّم لغة الهوسا كلّها، أشهر هذه المقاطعات دوربي، وتا، وكوشيي فيما كان ذلك حوالي القرنين الثّالث عشر والرّابع عشر الميلاديين [4]، وسكّانها من الفولّان والبربر والعرب والونغارة والطّوارق، وقد تحضّرت، وازدهرت بأسواقها، وأصبحت مقصد القوافل التّجارية من بلاد المغرب وبورنو وسنغاي[5].

ولوقوعها على طريق القوافل التّجارية الممتدّ من بلاد برنو إلى تمبكتو ثم إلى بلاد المغرب فقد نالت شهرة واسعة في مجال التّجارة، وبذلك احتلّت من بين جميع دول الهوسا مكانة مرموقة، تُنافس فيها كانو كمركز اقتصادي وعلمي كبيرين ، ونظراً لموقعها الجغرافي الّذي جعلها أكثر احتكاكا مع روّاد التّجارة سواءً من جهة الغرب أو من جهة الشّمال [6]، ولماّ تسرّب إليها الإسلام عن طريق التّجار الوافدين إليها من الوانغارة والعرب والبرابرة، أصبحت من أكبر مراكز الثّقافة الإسلامية لغرب إفريقيا، حيث نبغ علماؤها أمثال عبد الله ثقة وابن الصّباغ وابن منسى ومحمد مود بن محمد، كما زارها علماء كثيرون أمثال جلال الدين السّيوطي(ت1509) وغيرهم[7]. وفي عهد الملك محمد كوراو (849-901هـ/ 1445-1495م) حلّ حلّ بها الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 1503)وفي الفترة نفسها بنى مسجداً في غوبر[8].

---

(1) يحي بوعزير، المرجع السّابق، ص 117.

(2) عبدا الله آدم الآلوري، المرجع السّابق،ص78.

(3) الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص 173.

(4) مهدي آدامو ، الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، م ج 4، 1988،ص 280.

(5) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق، ص79.

(6) بوفيل، المرجع السابق، ص368.

(7) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق، ص ص 79- 80.

(8) مهدي آدامو، المرجع السّابق، ص 280.

ثم يأتي عهد الملك إبراهيم سورا (899-905هـ/1493-1499م) الّذي عُرف بشدّته وحزمه فكان يجبر النّاس على أداء الصّلاة ومن يمتنع كان مصيره السّجن، وقد سُجّلت له مراسلات مع الإمام السّيوطي[1]، ويذكر أنّ كاتسينا تعرّضت لعدة حملات عسكرية أهمّها الحملة الّتي وجهت من طرف الأسقيا الحاج محمّد الأوّل في حدود 919هـ/ 1513م ضُمّت على إثرها إلى مُلْك الأسقيين [2]، حتّى كان عهد الملك مقجن خالد Magajin Halidu الّذي يعتبر آخر ملوك كاتسينا ليخلفة عمر دان لاجي 1222هـ/ 1807م كأوّل حاكم لخلافة سوكوتو في كاتسينا[3].

د- إمارة غوبر Gober :

يعتبر ابن بطوطة هو أوّل من ذكر اسم مملكة من ممالك الهوسا، وهي جوبير، وكان الهوسـا لا يزالون على الوثنية عند زيارة هذا الرّحالة لبلاد السّودان عام 745هـ/1353م [4]، وذكرها الحسن الوزان باسم كوبر[5]، وعرفت في الكثير من الكتابات بجوبير أو غوبير وهي اسم للقبيلة وبلادها [6]، تقع غوبر في أقصى أقصى الشّمال الغربي من بلاد الهوسا جنوب الصّحراء الكبرى، وتبعد عن نهر النّيجر أربعين ميلاً [7]، تتميزّ تتميزّ أرضها بالجدب والقحط[8]، وتضمّ عدداً من القرى الصّغيرة، وكان أغلب سكّانها يعيشون في البادية ، ، ومع قساوة طبيعتها إلا أنها كانت تتمتع بالقوة فـقد فرضت غوبر نفوذها على الممالك المجاورة لها حتّى

---

(1) نفسه ، ص 280.

(2) عبد الرحمن السعدي،تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، ط 1، 1898، ص 78.، محمود كعت،تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، مطبعة بردين، أنجي، 1913، ص 77، عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص 39. عبد الفتاح مقد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب افريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،1985،ص153.

(3) H. R. Palmer، History of Katsina, Vol. 26, No. 103, J.R.A.S, Oxford University Press, 1927, pp225.

(4) ابن بطوطة شمس الدّين أبي عبد الله محمد، تحفة النظار و غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق عبد الهدي التازي، مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية، الجلد الرابع،1997، ص275.

(5) الحسن الوزّان، المصدر السّابق، ص170.

(6) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق، ص83.

(7) الحسن الوزان ،المصدر السّابق، ص 170.

(8) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص44.

أصبحت في نهاية القرن الثّاني عشر الهجري الثّامن عشر ميلادي أقوى ممالك الهوسا جميعاً. وقد بلغ عدد ملوكهـــا ثلاثة
عشر ملكا قبل سقوطها تحت لواء الشّيخ عثمان بن فودي(1).

هـ – إمارة زاريا Zaria:

زاريا المعروفة قديما باسم زكزك (2)، وعرفت بعدة أسماء منها زازو Zazzau ، وزغزغ. وزارية إقليم واسع و كبير (3) متاخم لإقليم كانو من جهة الجنوب الشّرقي، وتبعد عن كاتسينا بنحو خمسين ميلاً وسكانها أغنياء يمارسون التّجارة بشكل كبير (4)، مماّ جعلها تتمتّع بنشاط تجاري كبير (5)، وبالإضافة إلى التّجارة كان هناك نشاط زراعي مهم لوفرة المياه وكثرة الحبوب، وقد تأثرت بكانو في مختلف المجالات خاصة المفاهيم والقيم الإسلامية(6)، ظهرت قبيل القرن الخامس عشر مدينتان على المسرح السّياسي هما ترونكو وكوفينا حيث بسطت كلاً منهما سيطرتها على المدن الأخرى، وفي نهاية القرن الخامس عشر ميلادي استطاع ملك ترونكو القائد بكوا أن يتسلّم السّلطة من كوفينا وعبر هذا التّطور السّياسي استقرّ ملوك زازو وبنوا عاصمتهم الجديدة، المسماة زاريا نسبة لابنة للقائد بكوا، وفي سنة 919هـ/ 1513م ضمّها الأسقيا الحاج محمّد الأوّل إلى ملكه (7)، ومنذ القرن السّادس عشر الميلادي أخذت في التوسّع شرقاً وغرباً على حساب جاراتها(8)، وبظهور خلافة الشّيخ عثمان بن فودي في مطلع القرن التّاسع عشر ميلادي على ممالك الهوسا أصبحت زاريا جزء من هذه الخلافة وتمثل إحدى مقاطعاتها(9).

و– إمارة رانو Rano :

---

(1) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق ،ص83.

(2) نفسه، ص 75.

(3) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص44

(4) الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص174.

(5) مارمول كربخال، المصدر السّابق، ص 208 .

(6) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السّابق، ص ص161-162.

(7) الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص 174.

(8) مهدي آدامو، المرجع السابق، ص281.

(9) M.G.Smith، Government In Zazzau1950-1800, International African Institute, Oxford University Press, London,1960, p73.

تعتبر رانو أصغر إمارات الهوسا حيث تقع في الجزء الجنوبي الشّرقي، ويحدّها من جهة الشّرق مملكة البورنو، ومن الغرب تحدّها جواري، ومن الجنوب يحدّها إقليم بوووم وأرض الكواررفا، وتحدّها كانو جهة الشمال[1]، أمّا الرّوايات تقول أنّها قبل أن تكون إمارة ذات سيادة كانت عبارة عن مقاطعة من الهوسا تسمّى رمنغابا أو زمنكوجي مستقلة عن كانو [2]، وفي حوليات كانو الّتي تذكر أن في السّاركن ياجي بن تساميا أمير كانو هو من أخرج ساركن رانو من عاصمته وذهب إلي رانو وبوبو ومكث بها سنتين[3].

وقد استفادت من جارتها مدينة كانو كثيراً، حيث انتقلت إليها روافد الحضارة بعد أن تسرّب إليها الإسلام، وأسلم حكّامها وسكّانها، فبنيت دور العبادة، وانتشرت بها المدارس، وازدهرت بها الحياة العلمية كما نشطت بها الحركة التّجارية، ووفد إليها التّجار والعلماء والدّعاة[4].

ز- إمارة بيرم biram:

المعلومات حول إمارة بيرم قليلة جداً، حيث لا توجد كتابات تفيدنا بمعلوات عن تطورها و دورها في المنطقة، ويذكر محمّد بلّو في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور أنّها من إمارات الهوسا الأصلية فقط[5]، وأكثر ما يُقال عنها أنّها تقع في منطقة سهليه في الجهة الشّرقية من بلاد الهوسا، وكانت شبه مستقلة عن مملكة البورنو. وفي هذا تقول الرّوايات أنّها تأسست مثلها مثل الإمارات الأخرى بواسطة أبناء بايجيدا، ولكن ليس من الأميرة دورا، بل ينتسب بيرام بن بايجيدا للزوجة الأولى البرنوية، وقد أُطلق عليها اسم المؤسّس، لكن البعض يرى أن الاسم الأصلي لها هو جاران جاباس وهي مجموعة قرى كانت في إطار التّنظيم المحلّي، وتقوم على الزّعماء المحلّيين وعلى علاقات القرابة والأصل الواحد[6].

لقد أخذ الصّراع مأخذه بين إمارات الهوسا بغرض التّوسّع الواحدة على حساب الأخرى، فكانت تعيش حالة توتر دائم في العلاقات الّتي بينها من جهة، بالإضافة إلى الاعتداءات والضّغوطات، الّتي تحدث من جانب القوتين الكبيرتين المجاورتين لبلاد الهوسا، وهما مملكة البورنو الإسلامية من جهة الشّرق، ومملكة

---

(1) خالد علي عبد القادر، انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر ونيجيريا وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية،ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014، ص68.

(2) مهدي آدامو، المرجع السّابق، ص282.

(3) H. R Palmer، The Kano Chronicle, op.cit, pp70-72.

(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السّابق،ص 163.

(5) محمد بلّو، المصدر السّابق، ص 44.

(6) عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السّابق، ص315.

مـالي ثم مملكـــة سنغاي الإسلاميتين من جهة الغرب(1). وهذا التّوتر أدّى إلى عدم استقرارها، مما أثّر على مجتمعات المنطقة في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية.

الظّاهر مما سبق، يتبيّن لنا أنّ هذه الممالك لم تكن متحدة فيما بينها، وإنّما تسودها حالة من الفوضى والحروب المتتالية. إذ يعبر عن ذلك الدّكتور عبد الرحمن زكي:"احتفظ الغوبراوة – سكان غوبر– بسيادتهم في الشّمال الغربي، كما كان لبرنو السّيادة على الشّمال الشّرقي، وكانت مملكة جكون قد بسطت كلمتها على شعب الكوارفة، وأمّا نوبى في الجنوب، فظلّت سيِّدة نَفسها بالرّغم من ضعفها بسبب المعارك الدّاخلية أمّا كاتسينا، وزاريا فقد كانتا مستقلتين اِسمياً، لكنّهما كانتا ترزحان تحت حماية برنو، هكذا باختصار كان الموقف السّياسي لإمارات الهوسا حين تدفّقت جحافل الفولاّن عليها بزعامة عثمان دان فوديو"(2).

4- شعوب بلاد الهوسا:

تعيش في المنطقة قبائل وشعوب مختلفة الأعراق [3]، امتزجت واختلطت وتصاهرت فيما بينها عبر قرون عديدة نتيجة الهجرات المتوالية على المنطقة من كلّ أنحاء افريقيا، لكن أهمّها وأشهرها على الإطلاق شعوب الهوسا والفولاّن، بحكم تأثيرهم على المنطقة وتَحَكّمهم في مختلف أنشطة الحياة.

أ- شعب الهوسا Hausa :

هم شعب واسع الانتشار كثير العدد، أصحـــاب حرف مهرة وتجّار حاذقون (4)، وهم بذلك يمثّلون إحدى المجموعات العرقية، الأكثر أهمّية من سواها في افريقيا ويُطلق شعب الهوسا على أنفسهم اسم هوساوا Hausawa للجمع، وبهوشي Bahaushe للمفرد. وأمّا جيرانهم فيسمونهم بأسماء مختلفة فالفولاّنيون يطلقون عليهم اسم هابي Habi ، والكانوري Kanuri ينادونهم أفنو Afno، أمّا اليوربا يسمّونهم غمبري Gambari(5)، وبما أنّ قبائل الهوسا والفولاّني كانت تعيش متقاربة، فقد نشأت بينهما علاقات تزاوج، كما ظهرت بينهما سمات ثقافية مشتركة.

---

(1) شوقي عطاء الله الجمل و آخرون، الموسوعة الإفريقية، المرجع السّابق، ص203.

(2) عبد الرحمن زكي، الإسلام و المسلمون في غرب افريقيا، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة يوسف، ج2، ص 84.

(3) أنظر الملحق رقم: 04 المجموعات العرقية في شمال نيجيريا.

(4) كارلتون أس. كون، إدورد أ. هنت الابن، السلالات البشرية الحالية، تر محمد السيد غلاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص 156.

(5) داود الطاهر محمد، شعب الهوسا الموطن و اللغة، مجلة الفيصل، ع319، الرياض، 2003م،ص 74.

ب– قبيلة الفولاّني Fulani:

يعدّ الرّحالة هنري بارث من بين أهمّ المستكشفين لأدغال إفريقيا، وقد وصف الفولاّني بأنّهم الأكثر ذكاءً من كلّ القبائل الأفريقية .هم بالتأكيد واحدة من الألغاز العظيمة إفريقيا .كانوا يعيشون في السّودان لِما يزيد على ألف سنة،كما أنّ الخصائص الجسدية تختلف كثيراً عن الخصائص الجسدية لدى الشّعوب السّودانية الأخرى الّتي لا يمكن أنْ نَشك في أنّها نشأت في مكان آخر[(1)].

وقد اختلف المؤرّخون في أصول الفولاّن ، فمنهم من أرجعهم لأصول عربية ، ومنهم من جعلهم ذو أصول بربرية، منحدرين من منطقة أدرار نحو الجنوب[(2)]، ومنهم من يقول بأنّهم من أصل هندي أو فارسي نزحوا من بلاد آسيا، وآخرون يذهبون إلى أنّهم من أصل مصري؛ لأنّهم يشبهون صوّر المصريين المنقوشة على القبور من عهد الهكسوس [(3)]، وقيل أنّهم جنس مستقّل له خصائصه، نشأ بين الأجناس المختلفة ثم امتزجت فيما بعد بالمصاهرة، ومن العلماء من يرجع كونهم من صعيد مصر نظرا للملامح النّفسية والاجتماعية الظّاهرة على الشّعب الفولاّني والّتي تشبه الملامح الموجودة في مصر، يقول الدّكتور عبده بدوي:" إذا كان المؤرّخون قد اختلفوا حول أصل الفولاّنيين، فإنّ هناك ما يشبه الإجماع على أنّ مَقْدمهم كان من صعيد مصر بالرّغم من القول بأنّهم من أصل هندي أو فينيقي أو يهودي. ..فالّذين كتبوا عنهم يوردون فيما يكتبون – دون قصد– ملامح نفسية واجتماعية تشبه من قريب أو من بعيد الملامح الموجودة في مصر ... فهم يذكرون فيما يذكرون أنّهم قوم مسالمون، هادئون، بارعون في زراعة القطن؛ والقمح، كرماء متعاطفون؛ يشبهون التّماثيل المصرية القديمة"[(4)] .

أمّا الفولاّنيون أنفسهم فإنّهم يردّون أصلهم إلى الصّحابي الجليل عقبة بن نافع الّذي فتح بلاد المغرب زمن عمرو بن العاص في مصر، يقول عبد الله بن فودي: " فحيّنا توردب الّذين جاؤوا من فوتا وهم فيما نسمع أحوال جميع الفولاّنيين، ولغة الفولاّنيين لغتهم؛ لأن عقبة بن عامر المجاهد الّذي فتح بلاد المغرب زمن عمرو بن العاص في مصر وصل إليهم، وهم قبيلة من قبائل الرّوم فأسلم ملكهم من غير قتال، وتزوّج عقبة ابنة ملكهم اسمها بجّ مغّ، فولد الفولاّنيين جميعاً. هذا ما تتواتر عندنا وأخذناه من الثّقاة الّذين يخرجون من بلاد فوتا، أعني العلماء منهم فتكلّموا بلغة أمّهم، و لم يعلموا لغة أبيهم لقلّة من يتكلّم بها هنالك في

---

(1) H.A.S. Johnston، op.cit ,p17.

(2) عبد الله عبد الرزاق، المسلمون و الاستعمار الأوربي في إفريقيا، منشورات عالم المعرفة، عدد139، الكويت، 1989، ص 29 .

(3) Lady lugard ، A Tropical Dependency ,frank cass co, 1964, p 379.

(4) عبده بدوي،مع حركة الإسلام في افريقيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر،1970، ص 171.

ذلك الوقت[1]، لقد كان الفولاّنيون شعباً من الرّعاة، موطنه الأصلي في حوض السّنغال، وقد انتشرت فروع هذا الشّعب وجماعاته في كلّ المساحة الواسعة الممتدّة من السّنغال إلى إقليم تشاد، واشتهرت منهم أربعة فروع كبيرة هي:

أ- الفولاّنيون السّنغاليون المعرفون بفولا فوتاتور .

ب- الفولاّنيون الغينيون المعرفون بفولا فوتاجالون.

ج- الفولاّنيون في إقليم ماسينا و بلاد الهوسا.

د- الفولاّنيون في أدماواه في جنوب شرقي نيجيريا و بلاد الكمرون[2] .

تطلق فولبّي للجمع، وبولو Pullo للمفرد، وللفولاّن أسماء متنوّعة تطلق عليهم من قبل الشّعوب المختلفة: تطلق الفولاّني من طرف الهوسا والمغاربة، والفلاتة Felata من قبل الكانوري وتيدا وأبناء شرق السّودان. أمّا Peuls أو Peuhls فتطلق من طرف الكتّاب الفرنسيين [3]. وتدعى لغتهم الفلفلدي في نيجيريا وماسينا؛ والبولار في السّنغال، و Pulpule في فوتا جالون [4].وقد هاجروا من بلاد فوتاتور الواقعة في منطقة وادي السّنغال في القرن التّاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، واستوطنوا مدينة كوني konni في مملكة غوبر الهوسوية، وهم ينقسمون إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأوّل: هم البدو، لم يختلطوا بقبائل الهوسا، وعُرِفوا باسم بروروجي Broroen، وهم يشتغلون برعي البقر والمواشي، وهم دائماً شبه رُحَّل يتنقّلون من مكان إلى آخر في طلب أطيب المراعي لمواشيهم.

أمّا **القسم الثّاني**: فهم سكّان المدن وعُرفوا باسم فولاّن غيدا أي المهجنين أو المختلطين لاختلاطهم بقبائل الهوسا، وأكثرهم يشتغلون بالعلم والتّجارة وقد نبغ منهم علماء كثيرون [5]، وكان اختلاطهم مع السّكّان يتّسم بالحرّية، وذلك بالتّزاوج معهم واعتناق مبادئهم الإسلامية، وكانوا أذكياء متفوّقين[6].

---

(1) M. Hiskett، Material Relating to the State of Learning among the Fulani before Their Jihād, Vol. 19,B. S .O. A. S, University of London, p552.

(2) حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، سلسلة دعوة الحق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة، عدد الرابع، ص137.

(3) J. S. Trimingham، op.cit, p 11.

(4) Ibid, p 12.

(5) عبد الله آدم الآلوري، المرجع السّابق، ص93، Ibid ، p 12

(6) Kalu Ezera،،Constitutional Developments in Nigeria، An Analytical Study of Nigeria's Constitution-Making Developments and the Historical and Political Factors That Affected Constitutional Change Cambridge University Press, 1960,p298.

وفي الوقت الّذي بدأ فيه تدفّق الفولاّنيين إلى المنطقة، كانت الصّلة الّتي تربط بين هذه الممالك تخضع في كثير من الأوقات للحروب المتواصلة، وكانت البلاد مرتعاً خصباً للفتن الدّاخلية والاضطرابات المتكرّرة والتّنافس الشّديد بين الأمراء ، في محاولة إخضاع بعضهم البعض لأسباب سياسية، أو اقتصادية، ومن هذه القبيلة الشّهيرة ظهر الشّيخ عثمان بن فودي، الّذي غيّر مجرى التّاريخ بدعوته الإصلاحية، وأقام خلافة إسلامية في بلاد الهوسا خلال القرن الثّالث عشر الهجري التّاسع عشر ميلادي.

5- الأوضاع السّياسية:

السّمة الغالبة في تاريخ العلاقات بين إمارات الهوسا هو الصّراع فيما بينها من أجل التّوسّع على حساب بعضهم البعض، وتأمين المصالح الاقتصادية، فقد شهد القرن الثّامن عشر الميلادي قيام زمفرا كدولة من الدّرجة الأولى، لتعقبها غوبر التي كانت تقع في الجزء الغربي لبلاد الهوسا، وكان لها تأثيراتها على المنطقة، كانت لدولة زمفرا الّتي كان لها السّبق في الظّهور القدرة على تأمين استقلالها ،لكن في السّنوات الأخيرة بدأت تنهار؛ لأنّها كانت تعاني من مشاكل كثيرة؛ ولأنّ استقلالها كان ضعيفاً مما صعب الاحتفاظ به(1).

ومع تقهقر كبي في العقد الأخير من القرن السّابع عشر ميلادي من خلال الهجوم الثّلاثي لزمفرا وغوبر وآهير، وبهذا ضمنت زمفرا أمنها وسلامتها بسيطرتها على باقي المناطق التّابعة لكبي ، بالرّغم من هذا فإنّ ذلك لم يكن كافياً، فحاولت التّوسّع نحو الشّمال والشّرق فقط، الأمر الّذي جرّها إلى الدّخول في صراع مع جاراتها القوية آهير وكاتسينا وكانو(2) .

وبالنّسبة لمملكة غوبر فقد ظهرت في النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر ميلادي على ضفاف نهر ريما وقد كان الغوبريون في البداية مجرّد لاجئين في أراضي زمفرا، ولما ازداد عددهم، وأصبح يكفي للسّيطرة على حقول كبي وأدار وبتاريخ 1166هـ/ 1752م، أصبحوا قادرين على إلحاق هزائم نكراء بمملكة كبي كما دخلت في معارك مع زمفرا وانتصرت عليها، فأصبحت غوبر أقوى ممالك الهوسا(3).

6- الأوضاع الاجتماعية:

---

(1) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad Maishanu، The Jihād And The Formation Of The Sokoto Caliphate, Islamic Studies, Vol. 38, No. 1, Islamic Research Institute, International Islamic University, Islamabad, 1999, P121.

(2) Ibid، P121.

(3) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad Maishanu، op.cit, P122.

تسيطر على هذه البلاد حالة اجتماعية متردية، فالظّلم كان منتشراً في أوساط المجتمع، والضّرائب تُفرض على النّاس بلا هوادة. لقد كان الملوك يعتمدون على جيوشهم الخاصّة ورجال البلاط لتحقيق مطامعهم، فكانوا بعيدين منعزلين عن شعوبهم، وكانت علاقتهم بالمجتمع منقسمة إلى سادة وأتباع، أمّا السّادة فكان عمادهم الظّلم، يخشون على ملكهم من جيرانهم، ومنافسيهم، بينما أفراد الشّعب سواءً أكانوا من الفلاّحين أو أصحاب المهن، فقد عانوا من الضّرائب الباهظة، بسبب طغيان رجال السّلطة طمعاً في جباية الأموال [1]، وكانت تتوفّر بالمدن الأموال، بَيْدَ أنّها تذهب إلى جيوب حفنة من الحكام. إذا كان الحكّام يلجؤون إلى العنف والقسوة في معاملتهم مع الرّعية، وإذا كان الفلاّحون والصّناع يُعانون من كثرة وثقل الضّرائب الّتي تُفرض عليهم، فكيف يكون المجتمع الّذي يحكمونه. لا يكون إلاّ مجتمعاً غارقاً في الفوضى وعدم الاستقرار. فهذه الأمور تعكس الحالة المتدهورة الّتي وصل إليها المجتمع في ذلك الوقت.

7- الأوضاع الدّينية:

كانت مجتمعات بلاد الهوسا تعيش حالة متردّية ومزرية؛ نتيجة الأوضاع السّيّئة؛ مماّ أدّى إلى انتشار الفوضى فقد كانت مظاهر الكفر والفسوق والعصيان صفة غالبة، والنّادر القليل ممّن صحّ دينه، حيث فقدت اتّجاهها العقائدي الإسلامي الثّابت، فكان النّاس يتظاهرون بالإسلام شكلياً خاصّة في الأعياد والشّعائر الدّينية، ويَعكفون على عبادة الأوثان، وممارسة العادات والتّقاليد المخالفة للإسلام[2].

لقد كانت ممارسة الدّين في بلاد الهوسا مجّرد انحرافات بوري، وهي ديانة روحية عبارة عن قرابين تقدّم لأشياء مثل الأشجار والجبال، وقد أصبحت ممارستها عملاً شائعاً بين المسلمين الّذين اكتفوا بتعلم الدّين شفهياً، غير أنّهم بهذه الأعمال استمرّوا في إتّباع الوثنية؛ لذا كان الهدف تطهير تلك الممارسات، وكل ما يخالف الشّريعة الإسلامية، وإعادة النّاس للسّنّة على أساس تعليم وتطبيق كل ما جاء به النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام [3]، فكانت الدّعوة عملاً شاقاً محفوفاً بالمخاطر جراء شدّة عداوة الخصوم من الحكّام وعلماء السّوء، هذا ولم تسلم الثّقافة العربية من علماء السّوء، الّذين اتّخذوا من الممارسات الخاطئة عن طريق

(1) أحمد طاهر، افريقيا فصول من الماضي و الحاضر، دار المعارف، القاهرة،(د ت)، ص82.

(2) عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 2000، ص 96.

(3) Mukhtar Umar Bunza،The sokoto caliphate after 200 years ، A Reflection, Being a paper presented at the ulam'conference on the bieentenary commemoration of the sokoto caliphate helde at attahiru bafarawa institute for qur'an and general studies, sokoto, 23-24 july 2004, p 4.

الشّعوذة و الدّجل منهجاً للكسب المادّي، و كذلك العلماء الّذين يدارون الملوك فيوافقونهم في أيّ عمل فأحلّوا لهم أخذ الضّرائب (المكوس) غير الشّرعية، مع علمهم أنّ ذلك مخالف للشّرع يجب منعه، كمـا أنّ هؤلاء العلماء لا يجيدون اللّغة العربية، ماعدا القليل منهم والّتي اكتسبوها من خلال احتكاكهم بالعرب في المدن[1].

وفي نهاية الفصل التّمهيدي الّذي تعرّفنا فيه على مدلول كلمة الهوسا لغة، واصطلاحاً، والإطار الجغرافي لبلاد الهوسا، وإماراتها السّبع، وتعرفنا على شعوبها من الهوسا، والفولاّن، وأحوالها السّياسية والاجتماعية والدّينية، وفي هذا الجوّ الإفريقي لهذه المنطقة الجغرافية ظهرت شخصية دينية كان لها أكبر الأثر في تأسيس خلافة إسلامية ذاع صيتها واتّسعت رقتها، وبسطت سيطرتها بمبادئ إسلامية صحيحة كل هذا كان وراءه مجهودات فردية ساهم فيها إلى حدّ بعيد الشّيخ عثمان بن فودي.

- فمن هذا الشّيخ ؟.
- وكيف كانت حياته العلمية ؟.
- وما هي أهمّ رحلاته الدّعوية ؟.
- وما هي أبرز خصائصه الصّوفية ؟.

كل هذا سنحاول أن نجيب عنه في الفصل الأوّل من هذه الدّراسة.

(1) M.Hiskett،An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the Sixteenth to the Eighteenth Century, Vol. 25 No. 1/3, B.S.O.A., Cambridge University Press,1962, pp. 580-581.

الفصل الأوّل: ترجمة الشّيخ عثمان بن فودي.

- المبحث الأوّل:

مولده ونشأته.

- المبحث الثّاني:

الحياة العلمية للشّيخ عثمان بن فودي.

- المبحث الثّالث:

رحلاته الدّعوية والعلمية.

- المبحث الرّابع:

تصوّفه وخصاله ووفاته.

لدراسة علم من الأعلام وآثاره يتطلّب معرفة الجوانب الهامّة من حياته الّتي لها علاقة في تكوينه، وما يؤثر فيه تأثيراً مباشراً في توجيه أفكاره مثل نشأته، ومحيطه العائلي والاجتماعي، وعليه فإنّه للتّعرف على أفكار الشّيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، وحركته الجهادية، وتأثيره الكبير في غرب إفريقيا كان لابدّ من التّطرّق لحياته من نسبه ومولده ثمّ نشأته وتعلّمه، وتصوّفه وخصاله، وأخيراً وفاته.

المبحث الأول: ترجمة الشّيخ عثمان بن فودي.

1– اسمه ونسبه:

هو الشّيخ عثمان بن محمّد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمّد غورطو بن جبّ بن محمّد ثنب بن أيّوب بن ماسران بن بوب باب موسى الّذي سمي بجكولو[1]، وموسى جكولو هذا هو الّذي سار بقبيلة التّوردب إلى بلاد الهوسا[2]، حيث استقرّوا واستطاعوا التّأقلم مع القبائل الأخرى، بل كان لهم دور كبير في هذه المنطقة. أمّا أمّه فهي حواء بنت محمّد بن عثمان بن حم بن عال[3]وجدّته لأبيه هي: مريم بنت جبريل بن حم بن عال[4]، وينتهي نسب العائلة إلى أصل واحد وهو جدّهم موسى جوكولو[5].

2– مولـــده:

لم يرد اختلاف كبير بين المؤرّخين فيما يخصّ مولد الشّيخ عثمان بن فودي فمنهم من يقدّمه بسنة ومنهم من يؤخّره بسنة، لكن أغلب الكتابات تتّفق على مكان ولادته المعروف حيث ولد في قرية مارتا Maratta بأرض مملكة غُوبِرْ Gobre من بلاد الهوسا، وبالنّسبة لتاريخ مولده فأغلب الّذين ترجموا له

(1) M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning among the Fulani before Their Jihād, Vol. 19 No3, B. S. O. A. S, University of London ,1957, p. 552,

(2) عبد الله بن فودي، كتاب النسب، المادة 1، المرجع 27 o/ar،ص1.

(3) نفسه، ص2.

(4) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963, Pp 40-41.

(5) أنظر شجرة عائلة الشّيخ عثمان بن فودي في الملحق رقم 1.

يذكرون بأنّ مولده يوم الأحد آخر تسع وعشرين 29 من شهر صفر 1168هـ(1)، الموافق لـ : 15 لشهر ديسمبر عام 1754م(2). ونشأ في كنف والدين صالحين كان لهما الأثر الكبير في تربيته تربية صالحة.

3- أسرتـــــه:

ينتمي الشّيخ عثمان بن فودي إلى أسرة عُرفت بالعراقة، والمكانة العلمية المرموقة، فكان جدّه الحادي عشر موسى جوكلو زعيماً في قومه الّذي انتقل بهم من فوتاتور إلى بلاد الهوسا، وجُلّ أفراد أسرته أصحاب علم وثقافة بدءاً من الأبوين وجدّته وأعمامه وأخواله وأخوه الأصغر عبد الله الّذي أشار إلى بعضهم في كتابه إيداع النّسوخ، كلّ هذا انعكس على شخصيته العلمية الّتي نقلها إلى أبنائه فيما بعد(3) .

4- زوجــــاته:

كان للشّيخ عثمان بن فودي أربع زوجات وهنّ:

ميمونة ابنة عمه، وعائشة، وحواء، وعائشة، لقد كان الشّيخ يتّحرى العدل بين زوجاته فكان مثالاً في نقل صورة العدل بينهن إلى تلاميذه، وكان من عدله أنّه ما بات ليليتين في دار واحدة منهن ليلا يطيل لتكون النّوبة بثلاثة لا ستّة، ولم يقسم لأم ولده ليلة واحدة حتّى صار وفاه الأجل، بل كان في مرضه الّذي توفي فيه ينقل من دار إلى دار حتّى تعذّر حمله فجمعهنّ في دار واحدة إلى حين وفاته(4).

كما كانت زوجاته على قدر كبيرٍ من الخصال الحميدة، حيث كنّ صالحات تقيّات متعلّمات، إذ شاركن في الدّعوة والإصلاح إلى جانب الشّيخ(5).

---

(1) التاريخ الميلادي مع التاريخ الهجري أنظر محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية، ط1، المطبعة الميرية، مصر، 1893، ص 584-585 ، وانظر أنطون بشارة قيقانو، جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية،ط3، منشورات دار المشرق، بيروت،1997.و انظر إبراهيم جمعة، السنين الهجرية و ما يقابلها من السنين الميلادية، الدارة، س 2، ع1 ، 1976 ص 243 – 1258

(2) هناك من يذكر أن مولده كان سنة 1169هـ ولم يذكر شهر مولده كالأستاذ عبد الله الآلوري في كتابه الإسلام في نيجيريا .ص 94.

(3) M. Hiskett, Material, Op.cit, p 552.

(4) عبد القادر بن مصطفى، مجموع يشير، المعهد الإسلامي للدراسات الإفريقية الدولية، ص2.

(5) نفسه، ص 1-2.

5- أولاده:

رُزق الشّيخ عثمان بن فودي الكثير من البنين والبنات، وأودع فيهم حسن التربية وغرس فيهم الأخلاق الفاضلة، حتّى أصبح منهم العلماء والصّلحاء الّذين رفعوا لواء الدّين، وقاموا بنشره ونشر العلم مثل أبيهم.

فكان من أولاده البنين: محمّد سعد، علي، محمّد ثنب، محمد بلّو، أبو بكر، عمر، محمد البخاري، محمد حاج، الحسن.

وله من البنات: خديجة، عائشة، فاطمة، حفصة، عائشة أخرى، سودة، أسماء، حنة.

وقد تفوّق العديد من أبنائه منهم محمّد سعد الذي حفظ القرآن وبرع في عدة علوم أخرى، وكذلك برز ابنه محمّد ثنب فكان عالما فقيها و متصوفاً، ومن أشهر أولاده على الإطلاق محمد بلّو الّذي صاحبه وشاركه في دعوته وجهاده، فخدمه وآزره، وكفاه المهمّات ممّا أمره[1]، بل أصبح خليفته من بعده على مملكة سوكوتو[2] .

7- قبيلته:

على الرّغم من أنّه لا يمكننا معرفة الموطن الأصلي لقبائل الفولاّن قبل هجرتهم إلى غرب أفريقيا ، ومع ذلك كما هو معروف أنّهم وصلوا إلى أعالي السّنغال في القرن الحادي عشر ميلادي، و ذلك نتيجة غزو المرابطين لمملكة غانا في 469هـ/ 1076م بقيادة أبوبكر بن عمر، كما كانت هناك هجرات جديدة داخل السودان الغربي من طرف الفولاّنيين، وكان معهم موسى جوكلو الجدّ الحادي عشر لعثمان بن فودي، هاجر مع قومه، واستقر في برني كوني Birnin Kwoni إحدى ولايات غوبر ببلاد الهوسا ثمّ انتقلوا إلى مارتا Marata ، مسقط رأس الشّيخ عثمان بن فودي، وخلال طفولته انتقلت العائلة مرة أخرى إلى قرية ديجل Degel[3]، وكانت هذه القرية تتكوّن أساسا من مجموعة أسر علمية هدفها الأساسي نشر

---

(1) محمّد بلّو ،المصدر السّابق، ص21.

(2) حسين عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غربي افريقية و قيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1991،ص 218.

(3) Ismail A. B. Balogun, The Life and Works of Uthman Dan Fodio، The Muslim Reformer of West Africa, Islamic Publications Bureau, 1975,p18.

الإسلام وتعليم النّاس مبادئ الدّين وأصوله، وتكوّنت فيها مدارس وحلقات علمية، وأصبحت مركزاً علميا مشهورا يقصده الطّلاب من كل الجهات والنّواحي، مثلها مثل المراكز الأخرى كأغاديس Agdiss ويندوتو yindouto وكرمن رنكو Karmin Renko وغيرها من المراكز الّتي اشتهرت في بلاد الهوسا(1).

ينتمي الشّيخ عثمان بن فودي إلى قبيلة فولاّنية تسّمى تورب أو التّوردب، كما يقول أخوه عبد الله : " وإنّ قبيلتنا الّتي تسمّى التّوربي الّذين جاؤوا من فوت وهم فيما نسمع هم أحوال جميع الفلاّنيين..." (2)، وهم أوّل من عمّروا هذه البلاد قبل الهوسا والطّوارق (3)،كما أنهم كانوا أهمّ القبائل الّتي نشرت الإسلام وعلومه وحضارته في جميع بلاد السّودان.

8- ألقـــــابه:

عُرف الشّيخ عثمان بعدّة أسماء وألقاب كانوا ينادونه بها فكان يكنّى بـ: أبو محمّد (4)، وهو ابنه محمّد بلّو أَنْجَب أبنائه، ومن الألقاب المشهور بها أيضاً ابن فودي، وهو لقب والده والّذي يعني الفقيه في اللّغة الفولاّنية(5)، كما لُقِّب أيضاً بالشيخ وهو اللقب الّذي اشتهر به كثيراً، وكانت كلمة شيخ بكل ما تحمله الكلمة من معنى هي وصول العالم إلى مرتبة عالية من العلم، وقد استخدم محمّد بلّو هذا اللقب كثيراً وذكره في كتابه الإنفاق تكراراً ومراراً(6)، وتنطق في لغة الهوسا محرّفة قليلا فهم ينطقونها شيخو(7).

ومن أبرز الألقاب التي بيّنت مكانته، لقّب أمير المؤمنين حين بايعته جماعته في دار الهجرة، كما كان يُلقّب بنور الزمان؛ نظراً لما قام به من أعمال جليلة في سبيل نشر الإسلام، فكان كالمصباح الّذي ينير الطّريق في ذلك الزّمان، وهناك ألقاب كثيرة ترمز إلى دعوته وجهاده وأعماله، مثل المجدّد لدين الله ومحي السّنّة إلى غيرها من الألقاب والأسماء الّتي تفيد التّبجيل.

---

(1) محمد كاني، المرجع السّابق، ص 61.

(2) عبد الله بن فودي، النسب، المصدر السّابق، ص 1.

(3) M. Hiskett, Material, Op.cit, p 552.

(4) محمّد بلّو، المصدر السّابق،ص 57.

(5) M. Hiskett, Material, Op.cit, p 552.

(6) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص57.

(7) H. R .Palmer, The Kano Chronicle, The Journal of the Royal Anthropological, Vol 38 Institute of Great Britain and Ireland, ,1908,pp 79-82-86.

9- نشأته:

لم يَكنْ يُعرف الكثير عن حياة عثمان في الطّفولة باستثناء بعض الأساطير والكرامات الواردة في الأدب الفولاّني[1]، ومما ذكره محمّد بلّو رواية المرأة الصّالحة الّتي تدعى أم هانئ حيث قالت:" يظهر في هذا القطر السّوداني ولي من أولياء الله، يجدّد الدّين، ويحيي السّنّة، ويقيم الملّة، ويتّبعه الموفّقون، ويشتهر في الآفاق ذكره، ويقتدي العام والخاصّ بأمره، ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة. ومن علامتهم أنّهم لا يعتنون برعي البقر كعادة الفلاّتيين، ومن أدرك ذلك الزّمان فليتّبعه "[2]، لكنّ المعروف أنّه شبَّ في قرية تسمّى بديجل ، وقرأ القرآن على والده الشّيخ محمّد فودي، وبعد أن أكمله وانتهى من حفظه، شرع يتنقل من عالم إلى عالم آخر يتعلّم الفقه، ودرس العربية والعلوم الإسلامية على يد الشّيخ عبد الرحمن بن حمدا، وارتحل من مكان إلى مكان طالباً للعلم كعادة الطلاب في ذلك الزمان.

قال ابن خلدون في مقدّمته : "وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشّبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن و حفظه من سواهم" [3]، وهذا النّص إن صدق على أهل المغرب وشمال افريقيا، فإنّه يصدق على منهج تعليم أطفال المسلمين في بلاد غرب إفريقيا، والهوسا بوجه خاص لأنّ منهجهم نفس المنهج المغربي، وعلماؤهم الأوائ ل من المغرب والبربر، ومما يؤكّد ذلك ما قاله الشّيخ عبد الله بن فودي نفسه : "وقد تركني أبي في يده بعد قراءة القرآن وأنا ابن ثلاثة عشر سنة" [4]

فقد نبت وتربّى في بيئة دينية صالحة، أسهمت في تكوين شخصيته، الأمر الّذي هيّأ له ظروف العلم والعمل والإصلاح بصورة أكثر وأكبر، حيث كان أبوه عالماً وعمه وجدّته كذلك، زد على ذلك رغبته الكبيرة في الاستفادة العلمية، بفضل النّشأة الصّالحة الّتي نشأها ودرج عليها، والتّربية الإسلامية الصّحيـحة

---

(1) H. El-Masri, The Life Of Shehu Usuman Dan Fodio Before The Jihād, Vol. 2, No. 4, J.H.S.N, 1963, pp 435-448.

(2) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 57.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص280.

(4) M. Hiskett, Material, Op.cit, p553.

الّتي ألفتها نفسه، وامتزجت بها روحه، فصارت جزءاً لا يتجزّأ من حياته المليئة بالهدى والصّلاح منذ الصّغر فتطلّعت للعلم والثّقافة.

المبحث الثّاني: الحياة العلمية للشّيخ عثمان بن فودي.

1- حياته العلمية :

اقتبس الشّيخ عثمان بن فودي طريقة التّعلم والتّعلِيم من المناهج التّقليدية الإسلامية، الّتي كانت تتميّز بالحزم، وقد انتقلت هذه المناهج إلى بلاد الهوسا عن طريق تمبكتو، والّتي بدورها وصلت إلى تمبكتو عن طريق بلاد المغرب، واستمرّت لقرون عديدة تنتقل حيث ينتقل المسلمون، وهذه المناهج تعلم بها الشّيخ عثمان بن فودي في صغره، إذ أخذ قسطاً من العلوم الدّينية والقراءة والكتابة[1].

يقول ابن خلدون في مقدّمته بخصوص العلم والرّحلة في طلبه ، أنه على قدر مُبَاشَرَةِ أهل العلم ولقاء المشايخ تحصل الفائدة لطالب العلم، فتَنمُو ملكته، فتكون أشدّ استحكاماً وأقوى رسوخاً[2]، وهذا ما انطبق على التّعليم في عصر ابن فودي ، فلم يكن مقتصراً على شيخٍ واحدٍ يتلقّى منه الطّالب فنون العلم المختلفة، وإنّما كان طالب العلم يأخذ العلم من على أكثر من شيخٍ وفي أكثر من مكانٍ، وذلك بعد حفظه لكتاب الله، حتّى إذا نبغ الطّالب وتكوّنت لديه الملكة العلمية في فنٍّ من الفنون، أُجيز في ذلك الفنّ، ومنه يصبح قادراً على تدريسه، لقد تعلّم الشّيخ ابن فودي على يد كثيرٍ من العلماء والمشايخ، في علوم متعدّدة وكان لهم الأثر الكبير في حياته العلمية، ومن هؤلاء الّذين تلقّى عنهم العلم نذكر من شيوخه.

---

(1) Abdullah Hakim Quick, Aspects Of Islamic Social Intellectual History In Hausaland Uthman Ibn Fudi, 1774-1804 C.E,A Thesis Submitted In Conformity With The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Graduate Department Of History, In The University Of Toronto, 1995, pp 75-79.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المرجع السّابق، ص ص591-592.

2- شيوخـــــه:

المعلومات الّتي تتعلّق بالحياة الأولى للشّيخ عثمان بن فودي غامضة في الكثير من جوانبها، خاصّــة حياته العلمية، إلاّ ما كتبه في كتابه أسانيد الفقير، أو ما كتبه أخوه عبد الله في كتابه إيداع النّسوخ، الّذي يحفظ لنا جملة من شيوخه وبعض العلوم الّتي درسها، والكتب الّتي قرأها واستفاد منها [(1)]، تلقّى الشّيخ مبادئ العلم في أسرته على يد والده ووالدته حوّاء وجدّته رقيّة. فيلاحظ أنّ البيت الّذي خرج منه الشّيخ عثمان بن فودي بيت علمٍ لدرجة أنّ النّساء يؤخذ عنهن العلم ، حيث حفظ القرآن منذ صغره على يد والده محمد فودي [(2)]، فكان والده عالماً فقيهاً قد رسم له الطّريق بتلقينه القرآن الكريم، و بعض العلوم خاصّة الّتي تتعلّق باللّغة العربية.

ثمّ أخذ يتدرّج في تحصيل العلوم الدّينية الأخرى على يد علماء بلده فكان ممن أخذ عنهم العلم احد العلماء المشهورين بالعلم والتّقوى والصّلاح المعروف بالشّيخ ببدو الكبوي حيث أخذ العشرينات ونحوها وأخذ علوم النّحو من الشّيخ عبد الرحمن بن حمَّدَا، وقرأ المختصر في الفقه المالكي على يد عمه المعروف ببدور بن الأمين، وفي الفقه على يد خاله محمد ثنب بن عبد الله، وأخذ التّفسير على الشّيخ أحمد بن محمد الأمين، وحضر مجلس هاشم الزّنفري ، وسمع منه التّفسير من أوّل القرآن إلى آخره، ودرس الحديث على يد الشّيخ الحاج محمد بن راج، وقرأ عليه الحديث الشّريف جميعه ثمّ أجازه بجميع مروياته[(3)].

كان لعائلة الشّيخ عثمان بن فودي دور كبير في تحصيله العلمي، وهذا بلا شك كان حافزا شجعه على تلقّي الكثير من العلوم في وقت قصير، كما أنّ وفرة الكتب العلمية في هذه البلاد كانت سببا في نجاح

---

(1) Ahmad Tahir, The Soclil Writings Of Shaykh Uthman B. Fudl A Critical And Analytical Study, Institute Of Islamic Studies Mcgill University ,Montreal ,1989,P70.

(2) محمد فودي كان يلقب يفودي أي الفقيه باللّغة الفولاّنية. و هذا اللقب يدلّ دلالة على ما كان يتمتّع به والده من منزلة عالية رفيعة في قومه و عشيرته و أمه حواء و جدته رقية أيضا كانتا معروفتين بالعلم و المعرفة، و أخوه عبد الله عالم جليل له مؤلّفات عديدة في التّفسير و الفقه و اللّغة و السّياسة الشّرعية.

(3) M. Hiskett, Material, Op.cit, P 554.

العملية التّعليمية، بالإضافة إلى وجود العلماء بكثرة وفي بلده، مما يدل على أن المنطقة فلم يكلّفه ذلك عناء السّفر لطلب العلم من البلاد البعيدة، إلا ما كان من سفره لطلب العلم عند بعض العلماء أمثال الشّيخ جبريل بن عمر [1] من أكابر الشّيوخ الّذين استفاد الكثير من علمه م وآرائهم في قرية أغاديس من بلاد آهير[2]، حيث لازمه مدة سنة، لأنّه كان من أكبر العلماء في ذلك الزّمان، ولم يفارقه إلاّ بعد أن سافر الشّيخ جبريل إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، ولم يصاحبه الشّيخ في رحلة الحج لأن أباه لم يأذن له بذلك[3]. مما سبق يتّضح لنا أنّ أهَمّ شيخٍ تربّى علي يديه الشّيخ عثمان بن فودي هو الشّيخ جبريل بن عمر والّذي قام بواجبه تجاه تلميذه مرّتين: الأولى عندما قَدّم له علوماً مفيدة ساهمت في تكوين شخصيته العلمية والسّياسية؛ والثّانية عندما كان أوّل من بايعه على الجهاد في سبيل نشر الإسلام في تلك المنطقة، واعترف له بالولاية وعقد له الرّاية. وفي المقابل لم يكن الشّيخ أقلّ سموّاً من معلّمه؛ فقد كان يردد بشكل دائم هذا البّيت من الشّعر:

فموجة أنا من أمواج جبريلا إن قيل في بحسن الظن ما قيلا"[4]

(1) الشّيخ جبريل بن عمر الأغدسي من بين العلماء الذين احتلوا في بلاد النيجر والسودان الغربي مكانة مرموقة، كان ممن حملوا لواء العلم و الإصلاح في زمانه، أخذ العلم في بلاد أهير والهوسا ومن شيوخه على حبّو، والشّيخ الحاج عثمان، والشّيخ على عثمان، رحل إلى الحجاز وأخذ عن الشيخ يوسف الحفناوي، والشيخ مرتضى الزبيدي الذي أجازه في كثير من العلوم، ثمّ رجع بعد سنوات طلب العلم في الحجاز ومصر إلى أغاديس وتصدر للتدريس وناهض بعض التقاليد السائدة في بلاد السودان الغربي المخالفة للإسلام، تتلمذ على يديه الكثير من الطلبة من بينهم عثمان بن فودي وأخوه عبد الله، وقد قام الشيخ جبريل بدور كبير في نشر الإسلام وتصحيح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات وكان له تأثير البارز على الحركات الإصلاحية في السودان الغربي خاصة حركة تلميذه عثمان بن فودي، توفي الشيخ جبريل عام 1789، ودفن في قرية آريوا بإقليم تاوا في النيجر، أما آثاره العلمية فمعظمها ضاع ولم يبقى منها إلا القليل مثل منظومته التي أوردها تلميذه عثمان بن فودي في كتابه شفاء الغليل، ومنظومة أخرى أوردها في كتابه الأخر نصائح الإخوان، وذكر أحمد البدوي بأنه عثر على مخطوطتين لكتابه البلوغ النافع على أصول الكوكب الساطع في قسم المخطوطات بجامعة قار يونس بليبيا. أنظر علي يعقوب شيخ الإسلام في السودان الغربي جبريل بن عمر الأغدسي حياته وحركته الإصلاحية، مقالة مجلة الرابطة، ع 548، الرياض، 2012، ص ص 65-67.

(2) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص 94.

(3) M. Hiskett, Material, Op.cit, p 555.

(4) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص55.

ومن أشهر الكتب الّتي نهل منها العلم كُتُبُ الشّيخ احمد بن إدريس (ت684هـ/1285م) وكتاب مختصر خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت776هـ/1374م) وكذلك مؤلفات الشّيخ محمد يوسف السّنوسي (ت 896هـ/1490م) في التّوحيد: العقيدة الصّغرى والوسطى والكبرى على مذهب المالكية وكُتُب كلاً الجزائري عبد الكريم المغيلي التّلمساني (ت909هـ/ 1503م).من جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي(ت921هـ/1515م)، وكتاب الشّفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي (ت1149هـ/1736م)

3- سند الشّيخ عثمان فودي :

أخذ الشيخ عثمان بن فودي علمه بطريقة السّند الّتي تعتمد على السّماع والحفظ وأشهر شيوخه من ناحية القرآن وتفسيره:

- والده محمد بن عثمان: أخذ عنه القرآن، وعلومه، وتفسيره.
- ابن خاله أحمد بن محمد بن الأمين: أخذ عنه التّفسير.

ومن أشهر شيوخه من النّاحية السّنّية[1]:

- خاله الحاج محمد بن راج بن م ودب بن حم بن عال: سمع منه جميع صحيح البخاري، وأخذ عنه الحديث، وأجازه[2] .
- جبريل بن عمر وابنه أبو التّوفيق عمر: روى عن مرتضى الزّبيدي أيضاً كأبيه[3].

وأشهر شيوخه من النّاحية الفقهية:

- أبو الأمانة جبريل بن عمر: أخذ عنه الإجازات الكثيرة منها الفقه وطرق التّصوف، وجبريل هذا يروي عن مرتضى الزّبيدي[4].
- عمه عثمان بِنْدُور بن الأمين بن حم بن عال: أخذ عنه الفقه من كتاب مختصر خليل.

---

(1) أنظر سند الشّيخ عثمان السّماعي لرواية الحديث الشّريف الملحق رقم 09.

(2) M. Hiskett ,Material, Op.cit, p 553.

(3) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, pp 31-32.

(4) M. Hiskett, Material, Op.cit, p 555.

- خاله ثنب بن عبد الله بن محمد بن سعد: أخذ عنه الفقه، وقرأ شرح الخراشي على المختصر[1].

4- سند الشّيخ عثمان فودي السّماعي في صحيح البخاري:

الإجازة مصطلح علمي ابتكره علماء الإسلام في بداية عصور الرّواية، كان يهدف إلى توثيق العلوم المتمثّلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم ومرويات السّنّة المطهّرة، يحصل من خلالها المجاز على حقّ الرّواية أي الإذن في الرّواية والمشاركة في السّاحة العلمية، فمن نال إجازة في تلاوة القرآن الكريم أو رواية حديث أو كتاب فقد دخل صرح العلوم الشّرعية، ونال الإذن في المساهمة في نقل العلم ونشره بين النّاس، وللشّيخ عثمان ثبتان: أسانيد الفقير[2]، وأسانيد الضّعيف، وقد بَيَّن فيهما شيوخه الّذين يزيدون عن المائة، حيث أجازوه في أنواع الفنون الّتي أخذها عنهم.

قال الشّيخ عثمان بن فودي: " ولكون رواية البخاري عندي سماع بخلاف رواية مسلم، فإنّها كانت عندي إجازة"، وأخذ جميع الأحاديث الّتي وردت في هذا الكتاب سماعاً وإجازةً من أربعة علماء، أهمهم خاله الحاج محمد بن راج بن مودب بن حم بن عال. قال الشّيخ عبد الله بن فودي : " وأخذ علم الحديث من خالنا وعمنا الحاج محمد بن راج بن م ودب بن حم بن عال، فقرأ عليه صحيح البخاري جميعه، وأنا أسمع، ثم أجازنا جميع مروياته ممّا أخذه من شيخه المدني السّندي الأصل أبي الحسن علي"[3]

وذكر الشّيخ عثمان بن فودي أسانيده في الجامع الصّحيح للبخاري فقال في ثبته أسانيد الفقير: "أما الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، فقد أخبرنا به شيخنا الحاج محمد بن راج بن مودب بن حم بن عال، ثم أجازنا به أيضا، عن شيخه أبي الحسن السّندي سماعاً عليه بقراءة عبد الرحيم المجاور في رباط قراباش في المسجد النّبوي من باب فيه شعر الجارية ويوم الوشاح إلى آخر الكتاب، قال ثم قرأت عليه بعد ذلك من أول الكتاب إلى ذلك المحل، قال أخبرنا شيخنا محمد حياة المتقدّم قراءة عليه وأنا

---

(1) Ibid, P 554.

(2) Umar Al-Nagar, The Asanid Of Shehu Dan Fodio: How Far Are They A Contribution To His Biography?., Vol. 13, Sudanic Africa, 1979-1987 (2002), pp 108-110.

(3) M. Hiskett, Material, Op.cit, P 554

أسمع في مسجد النّبي عليه الصّلاة والسّلام بمعظمه وإجازة لسائره، عن الشّيخ عبد الله بن سالم البصري إجازة عن شيخه سماعاً الشّيخ محمد البابلي [1]. وذكر عبد الله بن فودي هذا السّند في قصيدة ضمن كتابه تزيين الورقات [2]

5- تلاميـــــــــذه:

تخرّج على يد الشّيخ عثمان بن فودي الكثير من طلبة العلم، وأسند مهمّة التّعليم للمتفوّقين منهم وانتشروا في بلاد الهوسا يعلمون النّاس دينهم، من أهمّ تلامذته نذكر :

أ- مالم موسى: هو من أكبر تلاميذ الشّيخ عثمان بن فودي، وأشهرهم الّذي نصّبه في بداية الجهاد على رأس الجيش وفتحت على يده مملكة زاريا، وبعد فتحها نصبه أميرا عليها عليها سنة 1223هـ/1808م.

ب- الشّيخ عبد الله بن فودي : يعتبر من أهم الذين أخذوا العلم من الشّيخ عثمان بن فودي ، حيث لازمه في سنٍّ مبكّرة، فبعدما أتمّ حفظ القرآن على يد والده وهو ابن الثّالثة عشر، انتقل إلى أخيه وأخذ عنه الآداب والنّحو والفقه والتّفسير والحديث وعلم التّصوف [3]، ويذكر الشّيخ عبد الله فضل أخيه عثمان عليه حيث يقول في حقّه:"... وحصل لي بحمد الله التّبصر في الدّين من فيضان نوره، ومن تواليفه المفيدة العربية والعجمية، فما ألّف كتاباً من أوّل تواليفه إلى الآن إلاّ كنت أوّل من نقله عنه غالباً، وصحبته حضراً وسفراً ما فارقته منذ أنا يافع إلى أن حصل لي الآن خمسين سنة، والحمد لله على ذلك" [4].

ج- ابنه محمد بلّو: قد عاش الشّيخ محمّد بلّو ما بين سنتي 1195-1253هـ/1737-1880م درس العلوم الإنسانية على يد والده، والعربية والبلاغة على يد عمه، واستكمل تكوينه المعرفي من خلال ما تلقّاه

---

(1) John. O. Voll, Uthman B. Muhammad Fudi's Sanad To Al-Bukhari As Presented In Tazyin Al-Waraqat, Sudanic Africa, Vol. 13, Africanae Bulletin Of Information، Selected Articles 1979-1987 (2002), pp. 111-115.

(2) أنظر سند الشّيخ عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي في قراءتهما لصحيح البخاري في الملحقين رقم 09، 18.

(3) M. Hiskett, Material , Op.cit, P 553

(4) Ibid, P 553.

على يد عدد من علماء بلاد السّودان كان في عهد والده الشّيخ عثمان بن فودي ساعده الأيمن، وشاركه في الحركة الدّعوية والجهادية الّتي قادها من أجل نشر الدّعوة الإسلامية، بل كان له النّصيب الأوفر في التّخطيط لها ودفعها في الاتجاه الذي سارت عليه ، ثم كان عليه عبء تنفيذ هذه المخطّطات والوصول بها لأهدافها، خاصة وأن الشّيخ فضل في ختام حياته أن يعتزل شؤون الحكم والإدارة، ثم واصل حمل هذه الأمانة بعد وفاة والده، إذ تولى حكم المملكة الّتي أسّسها والده لمدة عشرين سنة أي إلى أن توفي سنة 1253هـ/1837م.

6 – عقيدة الأشعرية عند الشّيخ عثمان بن فودي:

كان الشّيخ عثمان بن فودي أشعرياً كسائر علمائه[1] وهذا ما ذكره هو بنفسه في فاتحة بعض تآليفه فمن ذلك يقول: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً قال الفقير المضطر إلى رحمة ربّه عثمان بن محمد فودي الفلاني نسباً المالكي مذهبا الأشعري اعتقاداً الحمد لله ربّ العالمين[2].

7– المذهب المالكي عند الشّيخ عثمان بن فودي:

المذهب السّائد في السّودان الغربي هو المذهب المالكي، شأنه شأن بلاد المغرب الإسلامي، وأنّ كُتب الفقه المالكي مثل العشماوية، ومتن الأخضري والرسالة[3]، ومختصر خليل، وشروحه المختلفة تكوّن المجموعة الرّئيسية في الفقه المالكي الّتي يتداولها الطّلاب والعلماء في هذا الجزء من القارّة الإفريقية.وقد أشار الشّيخ عثمان بن فودي أنّه على مذهب الإمام مالك في مواضع كثيرة من تآليفه [4]، كما بيّنه في إحدى فتاويه في كتابه إرشاد الأمّة أنّ البلاد السّودانية حكمها حكم بلاد المغرب الّذي ينتشر فيها المذهب المالكي باعتباره

(1) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا،المرجع السّابق، ص 96.

(2) Uthman Dan Fuduye, Usuul'l-Wilaayat, Edited And Translated Muhammad Shareef, Institute Of Islamic, African Studies International, Published By Sankore 2000, P 1.

(3) يعد كتاب الرّسالة الفقهية أو ما يعرف بـ، رسالة ابن أبي زيد القيرواني للشّيخ الإمام الفقيه الحجة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير (ت 386 هـ) وهي من أشهر وأنفس الكتب المالكية.

(4) Uthman Dan Fuduye، Usuul'l-Wilaayat, Op.cit, p 1.

مذهباً سائداً بين عامّة النّاس فلا يفتى إلاّ على مذهب مالك حيث يقول في ذلك :" إنّنا لا نفتي في بلادنا هذه إلاّ بمذهب إمامنا مالك رضي الله عنه لفقد بقية المذاهب فيها كما فقدت في بلاد المغرب" [(1)]. وقد استثنى العوام من النّاس ، الّذين يعملون أعمالاً صحيحة عند تلك المذاهب ، ويسألون عنها فلا تمنع ؛ لأنّ العامّي لا مذهب له إلاّ الاسم وفي مسالة التّقليد عند العلماء فقد جعل لهم ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة أهل الورع، و قد رأينا بعض مشايخنا يلتزمها، وهي أن يأخذ بالأحوط، ويلتزم الأشدّ في المذهب...ويفعل الأتمّ والأكمل في كلّ شيء، ويترك ما اختلف في تحريمه.

المرتبة الثّانية: هي الوسطى، وهي أن يلتزم مذهبا واحداً، لا يخرج عنه.

المرتبة الثّالثة: أن يأخذ بالرّخص والأسهل في كل مذهب، ولا بأس بذلك عند الضّرورات، وما رأينا أحداً من المقلّدين يستغني عن تقليد إمام آخر في وقت الضّرورة[(2)].

من خلال سيرته العلمية فالكتب الّتي درس الشّيخ متونها مالكية المذهب ، وقد عكس ذلك على مؤلّفاته فيما بعد.

المبحث الثّالث: رحلاته العلمية والدّعوية.

1- الرّحلة عند الشّيخ عثمان بن فودي:

في بداية حياة الشّيخ عثمان بن فودي كان يرتحل من مكان إلى مكان قاصداً العلماء والمشايخ ليأخذ عنهم مختلف صنوف العلوم، وبعدها أخذ بدوره ينشر الدّعوة خاصة في بلاد الهوسا. بوعظه ودروسه وتاب على يديه خلق كثير من النّاس ما لا يحصى عدده.

وكان الشّيخ يخرج للآفاق والبلدان البعيدة والقريبة للإفادة والوعظ ثمّ يرجع إلى محلّه بقرية ديجل [(3)] وكان بصحبة أخيه عبد الله الّذي لم يفارقه في حلّه وترحاله، فكان سنده القويّ في دعوته في بلاد الهوسا [(4)]

(1) عثمان بن فودي، إرشاد الأمة إلى تيسير الملة، ص 7-8.

(2) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، ص36.

(3) محمد بلّو، المصدر السّابق، ص95.

(4) M. Hiskett, Material, Op.cit, p553.

وقد بدأ الشّيخ مهمته بشكل دعوي، وهو ما أسماه في أدبياته الجهاد القوليّ، واتّسمت هذه المرحلة بالدّعوة والإرشاد، ورفع المستوى التّعليمي العام، ومستوى الوعي الاجتماعي العام، كما أرسل رسائل إلى كلّ المدن والقرى يدعوها إلى الله، موضّحاً أهمّية الإسلام في إحياء الأمّة وخلاصها من مشاكلها الواقعية الّتي تعيشها[1]، ومن رحلاته في طلب العلم:

2- رحلته إلى أغاديس:

لقد كان الشّيخ عثمان بن فودي جادا في طلب العلم لذلك سار في رحلة علمية بغية التّحصيل والاستفادة من علماء البلاد المجاورة، فذهب إلى قرية أغاديس Agades ، وقصد الشيخ جبريل بن عمر ولازمه مدّة سنة يتعلم منه ولم يفارقه إلا بعد أن توجه الشّيخ جبريل إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحجّ، ولم يصاحبه الشّيخ عثمان بن فودي في رحلة الحجّ، ولم يكن الشّيخ عثمان بن فودي ليصاحبه في رحلة الحجّ لأنّ أباه لم يأذن له بذلك[2]، وقد يكون هذا السّبب الّذي هَيَّج أشجانه وعواطفه ليكتب قصيدته المشهورة الّتي تعتبر من أوائل ما كتب في الشّعر باللّغة العربية[3] حيث يقول فيها :

هل لي من مسير نحو طيبة مســـرعاً	**لأزور قبر الهـــاشمي محمّد**
لما فشا رباه في أكنافـــــــــهـــا	**وتكمش الحجاج حول محمّـد**
غـودرت مهمل الدموع مـــــــزبدا	**شوقاً إلى هـــذا النّبي محمّد**
وقسمت بالرحمن مالي مفصــــــــل	**إلا حوى حـــب النبي محمّد**

وقد كان الشّيخ عثمان بن فودي شديد التّأثر بهذا الشّيخ؛ لما عرف عنه من أخلاق وفضائل وتمسّكه بشرع الله الكتاب والسّنّة، حيث أعدّه من العلماء الكبار في زمانه، وبهذا كان الشّيخ جبريل قد أثّر في حياته علمياً وفكرياً وحركياً وتزويده بالتّصور الإسلامي للحياة[4]، كما اعتبر من أوائل من قام بهدم العوائد الذّميمة

---

(1) أحمد كاني، المرجع السّابق، ص73 .

(2) M. Hiskett, Material, Op.cit, p555.

(3) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, p 26. أنظر القصيدة كاملة في الملحق رقم 19،

(4) أحمد كاني، المرجع السّابق، ص 62.

في بلادنا السّودانية ، ويقول الشّيخ فيه:" فو الله لا ندري هل نهتدي إلى سبيل السّنّة وترك العوائد الذّميمة، لو لا تنبيه هذا الشّيخ المبارك. وكلّ من أحيا السّنة وهدم العوائد الذّميمة في بلادنا السّودانية هذه فهو موجة من أمواجه(1).

بعدما أصبح الشّيخ عثمان بن فودي متمكّناً من عدّة علوم، قام للتّدريس والوعظ والإرشاد وتصحيح عقائد النّاس، وهدم البدع وإقامة السّنن، ولم يكتف بهذا بل سافر إلى عدة أماكن ليتلمس بنفسه الحياة الاجتماعية، والأخلاقية للناس، ولكي يدرس كيفية إرساء قواعد الإسلام، وكانت مهمّته أيضاً إقناع النّاس بحسن نواياه وإخلاصه، وكان يتخذ من بلدته ديجل نقطة انطلاق ينطلق منها إلى أماكن كثيرة وبعدها يرجع إليها للاستمرار في بث دعوته، وكان يساعده في ذلك تلاميذه المخلصون الّذين يلازمونه ولا يفارقونه حضراً أو سفراً ومن رحلاته الدّعوية :

3- رحلته إلى كبي:

تعتبر رحلة الشّيخ عثمان بن فودي إلى مملكة كبي أولى رحلاته الدّعوية، وتمثّل انطلاقة لتوسيع نشاطه خارج بلاده غوبر، كان ذلك سنة 1194هـ/1780م وعمره قد جاوز الخامسة والعشرين سنة، ورافقه في هذه الرحلة أخوه عبد الله، وهناك دعا الناس وأرشدهم وعلّمهم مبادئ الّدين، وما يتعلّق به في كلّ الأمور بإصلاح الإيمان والإسلام والإحسان، وأمرهم بترك العادات السّيئة من البدع والخرافات، فتاب الكثير منهم وحين رجع تبعه خلق كثير من هذه البلاد، زرافات ووحداناً مستمعين إلى وعظه، مما أدى إلى شهرته في جميع أنحاء مملكة غوبر، وزادت مكانته رفعة بين أتباعه وتلاميذه، وفي الفترة الّتي رجع فيها إلى بلدته ديجل قيل أنّ ملك غوبر باوا كان يريد القيام بزيارته ليُهديه خمسين رأساً من الأنعام(2).

4- رحلته إلى زمفرا 1198هـ/1783م:

بعد ما وفّق الشّيخ عثمان بن فودي في رحلته الأولى ، سافر مع أخيه عبد الله وجماعته إلى بلاد زمفرا وكان ذلك سنة 1198هـ/1783م، وعمره يوم ذاك قد ناهز الثّلاثين سنة، وإقليم زمفرا يومها كان تابعاً

(1) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص55.

(2) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, p 27.

لمملكة غوبر[1] وقد مكث فيه خمسة سنوات كاملة في جهاد متواصل، ويرجع السّبب في ذلك إلى أنّ غالبية أهلها من الوثنيين مع قلّة من المسلمين، فكانت بلاداً غارقةً في ظلمات الجهل؛ لذا استوجب المكوث مدة طويلة لترسيخ الدّين وتثبيت قواعده، إلى جانب دعوة الوثنيين إلى الإسلام [2]، وبهذا استطاع الشّيخ أن يكسب الكثير إلى صفّه فكان سبباً في ازدياد شعبيته وكثرة جماعته.

وقد حدث في هذه الرّحلة الطّويلة أموراً كثيرة، ذلك أن أهل زمفرا كانوا حديثي عهد بالإسلام وكانوا يأتون إلى مجلس الشّيخ مختلطين نساءً ورجالاً للتّعلم، فأثار هذا السّلوك حفيظة بعض العلماء فعارضوه بشدّة وعلى رأسهم الشّيخ مصطفى القوني، وأنكروا على الشّيخ وجماعته هذا الاختلاط في مجالس العلم، واعتبروه من الأمور المخالفة للشريعة الإسلامية، بل قالوا أكثر من ذلك بأنه سبيل لنشر الرّذيلة والمفاسد الأخلاقية، وبدأت الشّائعات تنتشر بأن مجلس الشّيخ أصبح مكاناً للفساد الأخلاقي ولم يصل الأمر إلى هنا فقط بل إنّ الشيخ مصطفى القوني ألّف بعض الأبيات ألقاها على الشّيخ عثمان بن فودي يطلبه فيها بأن يمنع النّساء من حضور مجلسه، يقول في بعض أبياتها[3]:

عليك منا تحيات مبـــــــــاركة	**شم من مسكا و سكاً من يلاقونــــا**
أيا ابن فودي قم و انذر أولى الـ	**جهل لعلهم يفقهون الدين و الدّونا**
فامنع زيارة نـسوان لوعظك إذ	**خلط الرّجال بنسوان كفى شينـــــــا**
لا تفعلن ما يؤدي للمصائب إذ	**لم يأمر الله عيبا كان يؤذينـــــــــا**

لقد ساق هذا العالم اتّهامات خطيرة رفضها الشّيخ عثمان بن فودي، ولم يقبل بها لما رأى فيها من بطلان ذلك؛ لأنّها لا تستند إلى أيّ دليل شرعي، فليس من المنطق أن تصبح مجالس العلم بحضور النّساء مرتعاً لنشر الفساد، وردّا على هذه الاتّهامات طلب من أخيه عبد الله أن يردّ على هذا العالم بما يناسب ذلك وفي هذا الشّأن قال أبياتاً منها[4]:

---

(1) حسين عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص 274.

(2) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, p 39.

(3) Ibid, p 27.

(4) Ibid, pp 28-29.

يأيّها الّذي قد جاء يرشـــــدنا سمعا لما قلت فاسمع أنت لما قلنـــا
نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا وقلت سبحان هذا كان بهتانـــــــا
إنّ الشّياطين إن جاؤوا لمجلسنا هم يبثون سوء القول طغيانـــــــا
لسنا نخالط بالنّســوان كيف وذا كنّا نحذر لكن قلت سلمنـــــــا

بعد هذا السّجال العلمي تطوّرت الأمور إلى أبعد الحدود، فقد قامت معارضة شديدة أثارها بعض العلماء حول قضية خروج المرأة للتعلّم، فكانت هذه الأخيرة قد أثارت مسائل فقهية معقدة، جعلت الشّيخ يكتب فيها بعض الكتب منها كتاب تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النّسوان علم فروض الأعيان من دين الله تعالى الرحمن. ويذكر سبب تأليفه هذا الكتاب؛ أنّ بعض النّاس كانوا يعترضون على حضور النّساء لمجلس وعظه، معتمدين على آراء بعض العلماء ولإقناعهم ساق الشّيخ عثمان بن فودي أدلة فقهية من المدخل لابن الحاج العبدري [1] وقال في المدخل يجب تعليم الزّوجة والأولاد والعبيد وجميع من حكمه، يلزم إيمان إحسان ووضوء وصلاة وصوم وحيض ونفاس، وما يحتاجون إليه من التّصرفات، وما يقع من البدع فإن لم يكن عالما تعلّم من العالم الثّقة ويعلمها كما سمع. فإن لم يفعل أذن لها في الخروج للتّعلم. فإن أَبَى خرجت بدون إذن، ويجبره الحاكم على ذلك كالنّفقة بل التّعلم أعظم"[2].

6- رحلته الثّانية إلى كبي:

رجع الشّيخ عثمان بن فودي إلى بلاد كبي في رحلة دعوية ثانية بصحبة أخيه عبد الله، ومجموعة من أتباعهم لتبليغ الدّين الإسلامي لسكّان المنطقة وما جاورها، فاجتازوا الجهة الغربية من نهر كورا إلى بلد يقال له ألو حيث دعوهم إلى الدّين وعبادة الله وحده ثم رجعوا إلى قريتهم ديجل [3] وما زال الشّيخ ماضٍ في دعوته في مقره بقرية ديجل وعبر رحلاته، حتّى ضاق به ذرعاً سلاطين الهوسا.

---

(1) هو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي الشّهير بابن الحاج و لد سنة 1152هـ في منطقة تحكجة الواقعة في الشمال الشرقي من موريتانيا، في أحضان أسرة شرف وعلم و زهد صلاح. تفقه بأبي جعفر بن رزق و تأدب بأبي مروان بن سراج وسمع الكثير من أبي يعلى الغساني، ومحمد الفرج، وحازم بن محمد.
(2) ابن الحاج العبدري، المدخل ، ص 93.
(3) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, P39.

7- رحلته إلى بلاد زوم:

وفي عام 1207هـ/1792م رحل الشّيخ عثمان بن فودي بصحبة أخيه عبد الله ومعهم بعضٌ من جماعتهم إلى بلاد زوم، وجالوا في هذه البلاد يدعون النّاس إلى دين الله، ويرشدونهم، ووصلوا إلى أميرها في زقو وفي هذه الرّحلة أيضاً تاب على يدي الشّيخ خلقٌ كثيرٌ، وانضموا إليه، وبذلك تدّعمت حركته بأتباع جدد من هذه البلاد(1).

ومن خلال الرّحلات الّتي قام بها الشّيخ عثمان بن فودي في أنحاء بلاد الهوسا، استفاد من أمرين: الأمر الأوّل هو دخول الوثنيين إلى الإسلام من جهة، وتوبة المسلمين بالرّجوع إلى عقيدة التّوحيد الصّحيحة، أمّا الأمر الثاني، فقد فَهِمَ عِلَل هذه البلاد الدّينية والاجتماعية والسّياسية والاقتصادية، فبدأ بمعالجتها بتربيتهم وتفهيمهم عقيدة التّوحيد، وتعليم النّاس كل ما يتعلّق بأمور دينهم.

ولم يزل يجاهد في هذهالأفكار؛ يتنقّل من قريةٍ إلى قريةٍ، ومن مكانٍ إلى مكانٍ آخر يصحبه في جميع هذه الرّحلات الدّعوية أخوه عبد الله، حتّى اشتهر أمره وعلا صيته، وكثرت جماعته، وقويت شوكتهم حتى اضطر أعداؤهم أن يحسبوا لهم ألف حساب، زد على ذلك طباع الشّيخ عثمان، ونفسه القويّة الّتي لم تكن تعرف المهادنة أو المصالحة أو الاستسلام على حساب الدّين، فلم يكن يبالي بالملوك والحكّام في زمانه ولم يذهب إليهم أو يتودّد لهم، كما فعل غيره من العلماء، حيث التفّوا حول الملوك يطلبون الرّزق منهم ويسعون في رضاهم ، ولمّا اشتهر أمر الشّيخ ، وفد إليه النّاس من كل صوب ، يتأدّبون بآدابه وينتفعون بمواعظه، ويدخلون في جماعته أفوجاً(2).

8- منهج كتاباته:

لقد تميّز عثمان بن فودي عن بقية العلماء المسلمين وغيرهم من المؤلّفين الّذين عرفهم السّودان الغربي في القرن التّاسع عشر ميلادي، فجُلّ كتاباته ميّزتها البساطة في العبارة والوضوح في الفكرة وقد أصبح ضليعا في اللغة العربية، نظراً لدراسته المعمقة للنّحو العربي والصّرف والبلاغة والشّعر، و لقد كان مقدار معرفته

---

(1) Ibid, p 39.

(2) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7، ج6، 1986، ص227.

بالعلوم الإسلامية، هو القدر نفسه الّذي بلغه العلماء المسلمين في ذلك الزّمان، بالإضافة إلى أنّه كان يطبّق ما تعلّمه لحلّ مشكلات مجتمعه، فكان يكتب لتوجيه ونصح مجتمعه، زد على ذلك أنّه كان يكتب باللّغتين الفولاّنية والهوساوية في الكثير من المواضيع الّتي تتعلّق بالتّعليم ، ومحاربة البدع والخرافات أخرجها على شكل أشعار، وقد قيل أنّه مارس الدّعوة بلغة التّمثيق وهي لسان الطّوارق.

لقد كان ما كتبه الشّيخ تلبيةً لحاجة ذلك الزّمان ، ويُزَوّد أتباعه بكلّ ما هو ضروريّ ؛ ليفهموا ويزيلوا تلك البدع والخرافات، بالإضافة إلى العلم الّذي كان منتشرا آنذاك ، الّذي لم يكن يوافق ما جاء به الشّرع وقد كانت كتاباته المنهج الدّراسي الّذي يستخدمه الطّلبة كأساس للتّعلّم ، فهذه الكتابات هي عبارة عن أجوبة لأسئلة طرحت على الشّيخ في أحد جولاته العلمية ، هذا الصّنف من الكتابة لم يعطينا فكرة عن موقف الشّيخ حول بعض القضايا فحسب بل قدّم لنا حتّى الكيفية الّتي تعالج بها المشاكل الاجتماعية والسّياسية، فالمدقّق في أشعاره الّتي كتبها ومؤلّفاته باللّغة العربية ، تجعل طالب التّاريخ قادراً على رؤية الشّيخ ليس مجرد رجل دينٍ فقط ، بل يجده أيضا ناشطاً سياسياً، ومصلحاً اجتماعياً قد غيّر من أفكار ونمط الحياة في بلاد الهوسا[1].

9- أشهر مؤلّفاته:

لقد ألّف الشّيخ الكثير من الكتب [2]، متّخذاً من الكتابة أسلوباً من أساليب الدّعوة، فبعد ما كان ينتقل هو من مكانٍ إلى مكانٍ ومن بلدٍ إلى بلدٍ، أصبحت كتبه ورسائله وأشعاره تتناقل في أرجاء بلاد الهوسا، فأصبحت مرجعا أساسياً في إصلاح المجتمع هناك، ومن أشهر هذه الكتب الّتي اعتمد عليها في دعوته كتاب إحياء السّنّة وإخماد البدعة:

- إحياء السنة و إخماد البدعة :

يعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب الشّيخ ، وقامت عدد من العلماء من جامعة الأزهر بالإشراف على تحقيقه وطبعه سنة 1381هـ/1985م، وقدّم له الأستاذ الدّكتور محمد البهي، وقد سلك الشّيخ في

(1) Abdullah Hakim Quick, Op.cit, pp 91-93.

(2) أنظر مؤلّفات الشّيخ عثمان بن فودي الملحق رقم 17.

قضية الفصل بين ما هو من الإسلام وما ليس منه، وجعله بأسلوبٍ سلسٍ وسهلٍ، وفي الوقت نفسه في غاية القوة والوضوح. بدأ المؤلّف بحدّ الكتاب والسّنّة والإجماع، وبيان البدع وأقسام البدع وما ينكر منها وما لا ينكر، ثمّ أفاض في ذكر آثار الصّحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، في بيان اتّباع السّنّة. ثمّ بين فضيلة خير القرون، وما يجب علينا نحو سلفنا الصّالح من الإجلال والتّقدير، وفيها يبيّن ما هي السنّة الّتي يجب إتّباعها في مجال العمل التّطبيقي للإسلام، وما يجب اجتنابها في هذا المجال. وفي مجال العقيدة أراد مؤلفه رحمه الله الفصل بين الإسلام ومبادئه، وبين ما دخل عليه من الآراء الدخيلة.

والكتاب يقع في مائتين وتسعٍ وثلاثين صفحة ، ويشتمل على ثلاثٍ وثلاثين باباً تناول فيه بيان طريق السّنّة في العقائد والعبادات والعادات، وبعض الاعتقادات والمعاملات، وقدّم لها بثلاثة أبواب :

الأوّل: عن حدّ الكتاب والسّنّة والإجماع، وأدّلة وجوب اتّباعها لأنّها مصدر التّشريع الإسلامي.

الثّاني: عن حدّ البدعة وأقسامها، وأدّلة وجب تركها، وهجر أصحابها.

الثّالث: عن الأدلّة والآثار الموجبة لإتّباع السّنّة وآثار القرون الفاضلة.

وقد اعتمد على كتب وآراء الفقهاء المالكية كثيراً، لاسيما كتاب المدخل لابن الحاج ، فإنّه نسج على منواله، كثيراً تارة ينقل عنه وتارة أخرى يقتبس منه، ومنها موافقته لمن قال بانقسام البدعة إلى خمسة أقسام وهذا في التّقسيم العلمي: واجبة ومحرّمة ومندوبة ومكروهة ومباحة ، ومنها قوله بناءً على أخذه بالتّقسيم السّابق: أنّ البدع منها ما يُنكر، ومنها ما لا يُنكر، وأنّ منها ما هو حسن، ومنها ما هو قبيح.

ومنها: أنّه عند ذكره لـ: باب الإيمان وما أحدث النّاس فيه من بدع ذكر بعض الأسماء والصّفات واستدّل بالقرآن على ثبوتها ، مثل: واجب الوجود مستدلاً بقوله تعالى:﴿ أفي الله شكّ فاطر السّموات والأرض ﴾[1]، القديم مستدلاً بقوله: (هوّ الأوّل)، وليس من أسماء الله أو صفات واجب الوجود والقديم وإنّما حدثت التّسميات من قبل أهل الكلام ، ومنها أنه ذكر أموراً لا تعدّ من البدع، تابع فيها ابن الحاج في المدخل كصب الماء في الأذن حال الغسل وصوت مجّ الماء من المضمضة أثناء الوضوء، وبسط الفرش في المسجد واتّخاذ المراوح فيها ونسخ القرآن وكتب العلم، وتعليم الصّبيان فيها، وغير ذلك من البدع[2].

من خلال محتوى هذا الكتاب يتبين أنّ الشّيخ عثمان بن فودي طرح العديد من القضايا والمشكلات الّتي كانت سائدة في مجتمعه، وقد حاول معالجتها، بالدّعوة متخذا تأليف الكتب طريقاً لذلك.

---

(1) سورة ابراهيم، الآية 10.

(2) عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخماد البدعة، تح: أحمد عبد الله باجور، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، 1985.

المبحث الرّابع: تصوّفه وخصاله ووفاته.

1- الشّيخ عثمان بن فودي والتّصوف :

لقد سلك ابن فودي مسلك أهل الطّرق الصّوفية في تربية النّفوس بالأذكار والأوراد، حيث كان قادرياً في الأصل وأنشأ طريقة منسوبة إليه باسم الطّريقة الفودية، وهي فرع من فروع الطّريقة القادرية وسلسلته في القادرية متصلة بالشّيخ محمد المختار الكنتي في ورد أهل البيت [1]، ويذكر ابنه محمّد بلّو أنّه كان يستفتح كلامه في مجالس الوعظ بخطبة إمامه الشّيخ عبد القادر الجيلاني [2]، كما يستفتح في تآليفه ورسائله بخطبة العلماء المغاربة فيأتي بالبسملة ثم الصلاة والتّحية وبعدها التّحميد [3]، وكان كلامه في مجالس التّصوف يدور حول تعليم النّاس حفظ الأعضاء الظّاهرة والباطنة من المعاصي، وصفات القلب (المهلكات والمنجيات) ليتحلّى المسلم بالمنجيات ويتخلّى عن المهلكات[4]، يقول الشّيخ في عمدة البيان:" ثم اعلم أخي أنّ الصّفات المهلكات والمنجيات في النّفس لا حصر لها لكثرتها، لكن يجب عليك أن تقلع الأصول في فساد النّفس من الصّفات المهلكات من نفسك ...فإذا قلعتها هدمت فروعها" [5]، فيحدّثهم عن صفات القلب المهلكة كالعجب، والكبر، والحسد، والغضب، والبخل، والأمل، وسوء الظّن بالمسلمين كما يحدّثهم عن صفات القلب المنجية كالتّوبة، والزّهد والتّوكّل، والرّضى، والإخلاص.

2- ثناء العلماء والملوك عليه:

السّيدة الصّالحة أمّ هانئ الفولاّنية، روى أنّها قالت: "يظهر في هذا القطر السّوداني ولي من أولياء الله يجدّد الدّين ويحي السّنّة ويقيم الملّة ويتّبعه الموفّقون، ويشتهر في الآفاق ذكره، ويقتدي العام والخاص بأمـره ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة، ومن علامتهم: أنّهم لا يعتنون برعي البقر كعادة الفلاّتيين، ومن أدرك ذلك الزّمان فليتّبعه"[6].

---

(1) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص95.

(2) نفسه ، ص72.

(3) عثمان بن فودي، المسائل المهمّة الّتي يحتاجها إلى معرفتها أهل السّودان، تح: حسين عيسى عبد الظاهر، حولية كلّية الشّريعة والقانون و الدّراسات الإسلامية، جامعة قطر، ع3، 1984، ص185.

(4) محمد بلو، المصدر السّابق، ص84-85.

(5) عثمان بن فودي، عمدة البيان في العلوم التي وجبت على الأعيان، تح: قيق أبو ألفا عمر محمد شريف بن فريد، المعهد الإسلامي الإفريقي للدراسات الدولية، سنكري. ص 25.

(6) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص57.

كما أنّ الشّيخ العلاّمة عبد الله بن فودي قد أشاد بأخيه في كثير من تآليفه، وممّا قاله في حقّه: "..وحصل لي بحمد الله التبصّر في الدّين من فيضان نوره، ومن ت آليفه المفيدة العربية والعجمية، فما ألّف كتاباً من أوّل تآليفه إلى الآن إلا كنت أول من نقله عنه غالباً، وصحبته حضراً وسفراً؛ ما فارقته مذ أنا يافع إلى أن حصل لي الآن قريب من خمسين سنة، والحمد لله على ذلك" ثمّ أنشد أبياتاً يمدحه فيها منها هذه الأبيات(1):

بحمد الله أبدأ مـا أقـــول — على نعـم علينا لا تـــزول
على خير الورى صلوات ربّي — شفيع الخلق إذ هالت حبـول
وأصحاب له و الآن طـراً — بحـار الجود غيرهم ضحـول
رجال الله أنصار الرّســول — هــو الضّرغام ثمّ هم شبـول

وهذا ابنه وخليفته السّلطان محمد بلّو، يقول عن والده:" كان صلباً في الدّين، لا تأخذه في الله لومة لائم، يحكم بالقسط والعدل ولو في القربى، لا تأخذه حمية الجاهلية، بل لا يزيغ عن الحق"(2).

وممّن أشاد به أيضا شيخ الطّريقة القادرية الشّيخ المختار الكنتي، ما قاله تلميذ الشّيخ عثمان الشّيخ سيدنا وهيب الأموي أنّ الشيخ سيدي مختار بن أحمد الكنتي القادري خرج ذات يوم وسأل هذا الجهاد فأخبروه بما يقع ثمّ قال: "..سيدنا عثمان بن فودي وليّ من أولياء الله، وجهاده حقّ، وسيملك هذه البلاد"(3).

انتقلت أخبار الجهاد إلى ملوك البلاد البعيدة، ومن الملوك الّذين أشادوا بالشّيخ عثمان بن فودي السّلطان المغربي المولى سليمان بن عبدالله حين وصله خبر دعوته الإصلاحية ومن صداها أن بعث السّلطان برسالتين (4)، حين بلغه ما هي عليه أحوال الشّيخ عثمان بن فودي من الورع والصّلاح والتّفاني في الجهاد ومحاربة البدع، فأبدى تجاوبه معه، وإعجابه بحركته، وكتب في هذا الشّأن رسالتين سنة 1225هـ / الموافق لـ 1810م، سار بهم رجل عالم صالح من أهل توات(5).

---

(1) M. Hiskett, Material, Op.cit, p554 -553.

(2) محمّد بلّو، المرجع السّابق ، ص 67.

(3) نفسه، ص225.

(4) هو السّلطان المغربي المولى سليمان بن عبد الله 1206-1238هـ/1791-1822م اشتهر بالفضل والنّزعة إلى السّلم.

(5) محمّد بلّو، المرجع السابق، ص 202.

ويورد محمّد بلّو نص الرّسالتين، فالرّسالة الأولى موجّهه من السّلطان المغربي إلى أمير آهير وهو الأمير محمّد الباقر، يشير فيه بوصول هَدِيته وخطابه الذي يذكر فيه حال الفقيه الصّالح عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح، الّذي أقام بهذه البلاد منار الإسلام، وأحيا سنّة النّبي عليه السّلام، وأخمد البدعة والضلالة، وهدم أركان الجهالة، وشنّ الغارات على بلاد الكفر حتى كسر شوكتهم، وأضعف مملكتهم وقهر الطغيان والفساد وعلابه الإيمان وساد وزاد"، كما شرح الشّيخ عثمان بن محمد بن منصور حال حامل الخطاب وأثنى على[1]

ويعقّب السّلطان في خطابه لأمير آهير قائلاً له: فاشدد يدك عليه، و أدم إحسانك إليه، أمّا الرّسالة الثّانية فهي موجهة من السّلطان المغربي إلى الشّيخ عثمان بن فودي، وفيها يُبارك له فيها عمله حيث نَوَّه "بما قام به الشّيخ من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، حتّى دخل النّاس في دين الله أفواجاً، وترادفت عليه وجوه الإسلام أمواجاً. وصار بلطف شمائله إنسان العين من عين الإنسان، والنّاس لا يمدحون رجلا ما لم يروا عنده آثار إحسان وهذا من أعظم منح الله و أتمّ النّعم"[2].

كما كان محلّ احترام العلماء في زمانه، يجلّونه ودخل الكثير منهم في صفه وأصبحوا من أتباعه المقرّبين ساهموا معه في الدعوة والإصلاح في بلاد الهوسا.

3- خصاله وشمائله:

جمع الشّيخ عثمان بن فودي صفات كثيرة وخصال فريدة، فكونه عالماً مجدّداً ومصلحاً له مكانته الكبيرة، فقد وصفه الكثيرون وعدّدوا شمائله، منهم ابنه محمّد بلّو، ومن الخصال الحميدة الّتي ذكرها :"واعلم أنّه نشأ عفيفاً متديّناً، ذا خلال مَرْضِيَّة ... انتهت إليه الإمامة، وضُربت عليه آباط الإبل شرقاً وغرباً، وهو عَلَم العلماء، ورافع لواء الدّين، أحيا السّنّة وأمات البدعة، ونشر العلوم ... فسّر القرآن سنين بحضرة أكابر العلماء و الصّلحاء، مع إمامته في الحديث ... متعبّداً ناسكاً، تصدّر للتّدريس وبثَّ العلم ... وعليه مدار الشّورى والفتوى، مُعَظماً عند الخاصّة والعامّة، مجدّداً على رأس هذا القرن، خطيباً بليغاً، شاعراً فصيحاً فاضلاً حسن الخلق، جميل العشرة، كريم الصّحبة ... كثير الحياء والشّفقة على الخلق، متواضعاً ... وَقَّافاً على حدود الشّريعة ... وكان حليماً رحيماً بالمؤمنين ... وبالجملة فالوصف يقصر عن مزاياه، وهو شيخ علماء وقته"[3].

(1) نفسه، ص 202-203

(2) نفسه، ص ص 204-205

(3) نفسه، ص 66.

من الشّخصيات البارزة الّتي كان لها احتكاك كبير مع الشّيخ عثمان بن فودي الوزير غطاط بن ليم حيث ذكر له خصالاً كثيرةً منها: تربية النّاس بالهمّة قبل المقال، وحسن الدّعوة إلى الله، وحسن السّياسة والذّب عن الضّعفاء، وقوّة القلب والجسد[1].

5- وفـاتـه:

عاش الشّيخ عثمان بن فودي ليرى خاتمة أعماله وكان يشعر أنّ مهمته في الحياة قد أُنجزت، فقد وجد أنّ الدين الإسلامي كان يرزح تحت وطأة الجهالة وعليه أن يزيحها عنه، ويرفع شأنه عالياً، كما حوّل حياة الفلاّنيين من حياة التّنقل والرّعي، إلى أن أصبحوا سادة القوم في كل بلاد الهوسا، لقد كان إنساناً يملك إيماناً صادقاً واعتقاداً دينياً عميقاً، ويؤمّن بلا حدود بدعوته إلى هذا الدّين، كما أثّرت شخصيته القويّة على أتباعه فأكسبتهم ثقةً كتلك الّتي يمتلكها، وأظهرت طباعه الحسنة وزهده في الحياة، صورة مغايرة لأبّهة وخيلاء الوثنيين، وكان دوماً يعزو انتصاراته لله وحده، وانسحب من الحياة السّياسية بعد تقسيم إمبراطوريته إلى حياة العلم والتّحصيل حتّى توفي سنة 1233هـ/1817م ودفن في مدينة سوكوتو[2].

لقد مات الشّيخ عثمان بن فودي بعد ما قضى حياته في الدّعوة والهجرة والجهاد، فكانت حركته الإصلاحية الجهادية الّتي أسّس بها دولة عملت للإسلام طويلاً، فأثّرت في حياة النّاس، ولا يزال تأثيرها إلى اليوم في البلاد النّيجيرية، وما جاورها من البلدان الإفريقية رغم ما يعانيه المسلمون من ضعف وتمزّق بسبب النّزاعات والحروب الأهلية[3].

وفي ختام الفصل الأوّل الّذي تعرّفنا من خلاله على مولد عثمان بن فودي ونشأته وأسرته وعلى جوانب من حياته العلمية، وشيوخه وتلاميذه، ورحلاته العلمية والدّعوية في بلاد الهوسا، وتصوّفه وخصاله، وذكر وفاته، وقد اتّضح لنا مما سبق أن الشّيخ عثمان بن فودي المجدّد المصلح، ذو شخصية راسخة في العلوم الإسلامية، وقد تلقّى تكويناً تربوياً وعلمياً أهلّه بأن يكون في هذه المكانة العالية، وقد تعدّدت مصادر تكوينه ومعارفه فهي من مشارب مختلفة أهمّها بلاد المغرب الإسلامي وعلمائها، الّذين كان لهم دور

---

(1) أبو ألفا عمر بن محمد شريف بن فريد، معاونة الأمير الصنديد في منهج التعليم المفيد، المعهد الإسلامي الإفريقي للدراسات الدولية،2008، ص ص 1- 6.

(2) F. Daniel، Shehu dan Fodio, Vol. 25, No. 99,J. R.A.S, Oxford University Press, 1926, p282.

(3) عبد القادر سيد عبد الرؤوف، الدّعوة في العصر الحديث حركات البعث الإسلامي، كلية أصول الدين، القاهرة، ص57.

في نشر الإسلام، ومختلف العلوم في هذه المنطقة.

- فمتى كان وصول الإسلام إلى المنطقة وانتشاره بها ؟.
- وكيف انتشرت اللّغة العربية في بلاد الهوسا وما مدي تأثيرها؟.
- ما مدي تأثير الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي ؟.
- وما هي تأثيرات الطّريقة القادرية ؟.

نتعرّف من خلال الفصل الثّاني على هذه المؤثّرات ودورها في سقل شخصية الشّيخ عثمان بن فودي وكيف قادته للقيام بحركته الإصلاحية التّجديدية في غرب إفريقيا.

الفصل الثّاني: جذور حركة الشّيخ عثمان بن فودي.

– المبحث الأوّل:

انتشار الإسلام.

– المبحث الثّاني:

انتشار اللّغة العربية.

– المبحث الثّالث:

التّأثر بالشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي.

– المبحث الرّابع:

تأثيرات الطّريقة القادرية.

بعد ما تعرفنا في الفصل الأوّل على جوانب من حياة الشّيخ عثمان بن فودي من حيث مولده ونشأته، وحياته العلمية، والدّعوية سنرى في الفصل الثّاني على انتشار الإسلام في بلاد الهوسا، وما رافقه من حركة علمية دينية باللّغة العربية، وعوامل التّأثير والتأثّر الّتي كانت سائدة في الحواضر الإفريقية البارزة كحركة الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشّيخ المختار الكنتي، وما مدى تأثير الطّريقة القادرية في الشّيخ كل هذا سنحدّث عنه في هذا الفصل.

المبحث الأوّل: انتشار الإسلام في بلاد الهوسا.

1- انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

كانت للفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب أثرها المباشر في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، الّذي انساب إليها عن طريق الرّحلات التّجارية الّتي ربطت ما بين شمال الصحراء وجنوبها فقد تأثّر الأفارقة بالعرب المسلمين لم رأوه فيهم من صفات حميدة كالصّدق في القول، والوفاء في المعاملة، ومن المعروف أنّ الإسلام لم ينتشر بمجرد ظهوره وإبلاغه للنّاس، كما أنّه لم يتحقّق بالقهر، وإنّما كان حمله وتبليغه من طرف جماعة آمنوا به إيماناً كاملاً، وساروا على نهجه بقدر استطاعتهم، وبذلوا جهدهم في نشره، وجنّد العديد من الدّعاة المسلمين أنفسهم لخدمة الدّعوة إليه [1]، ومن الكُتّاب الغربيين الّذين قالوا بذلك، ممن اتّصفوا بالنّزاهة والموضوعية منهم هوبير ديشان Hubert Deschamps حيث يقول:" إنّ انتشار دعوة الإسلام لم تقم على القسر، وإنّما قامت على الإقناع الّذي يقوم به دعاة متفرّقون من المرابطين، لا يملكون حو لاً ولا قوّة إلاّ إيمانهم العميق بدينهم، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتّسرب السّلمي البطئ من قومٍ إلى قومٍ " [2]

2- دور المغاربة :

بفتح المسلمين لشمال إفريقيا، بدأ الإسلام ينتشر من هناك نحو جنوب الصّحراء، ثمّ صوب السودان

---

(1) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة1986، ص ص200-216.

(2) هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء،ترجمة أحمد صادق حمدي، دار الكتاب العربي، القاهرة1956، ص128.

الغربي جنوب الصّحراء الكبرى ، ويرتبط دخول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي بطبيعة العلاقات بين شمال الصّحراء وجنوبها ، وقد تدفّق الإسلام من بلاد المغرب إلى بلاد السّودان الغربي بشكل مكثّف، وفي نطاق واسع، خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي(1)، والّتي كان لها الأثر الأكبر في دخول الإسلام(2)، حيث لم تكن الصّحراء حاجزاً بين بلاد المغرب وبلاد السّودان. فقد أدّت التّجارة دوراً بارزاً في توسيع شبكة الاتّصال بين المنطقتين، ومن ثَمَّ تَسرَّبَ الإسلام إلى بلاد السّودان(3).

ومن الأمور الّتي دفعت المغاربة إلى نشر الإسلام والثّقافة العربية هو حبهم الشّديد للدّين الّذي قدّموا له النّفس والنّفيس من أجل تبليغ هذه الدّعوة في جميع أنحاء غرب افريقيا، ويعلّق عبد الرّحمن السّعدي على هذا التّدين الشّديد عند حُكَّام المغرب حين قال:" وهم على دين الإسلام، واتّباع السّنّة، وهم يجاهدون السّودان"(4)، كما كانت لطرق القوافل التّجارية الّتي تربط بين شمال القارّة وبين السّودان الغربي والأوسط غرب إفريقيا من أهمّ المنافذ الّتي تسرّب منها الإسلام إلى قارّة إفريقيا، ومن أهمّها الطّريق الّذي يبدأ من جنوبي تونس ويتّجه إلى بلاد الكانم والبورنو في حوض بحيرة تشاد، والطّريق الثّاني يبدأ من توات جنوب الجزائر ويتّجه صوب تمبكتو ثم إلى بلاد الهوسا(شمال نيجيريا حالياً)، والطّريق الذي يبدأ من مرّاكش ويصل إلى مصبّ نهر السّنغال والمناطق المجاورة الأخرى(5).

3- دور المرابطين:

ينتسب المرابطون إلى صنهاجة ويعدّ يحي بن إبراهيم الجدّالى الزّعيم السّياسي لتلك الحركة، في حين

---

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص143.

(2) F. Garrard, Myth and Metrology، The Early Trans-Saharan Gold Trade Timothy Vol. 23, No. 4 , J.A.H, 1982, p 443.

(3) سحر عنتر محمد أحمد مرجان، فقهاء المالكية و آثارهم في مجتمع السودان الغربي، في عهدي مالي و صنغي628-1000هـ / 1230-1591م، مكتبة الثقافة الدّينية، ط1، القاهرة، 2011، ص 27 .

(4) السّعدي، المرجع السّابق، ص25.

(5) شوقي عطاء الله الجمل وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المرجع السّابق، ص ص75-76.

يعدّ عبد الله بن ياسين الزّعيم الرّوحي لها، ومما تجدر الإشارة إليه أن المرابطين لم يكونوا أَوَّل من أدخل الإسلام إلى غرب إفريقيا، فقد كانوا على المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام فأبلوا البلاء الحسن بهدف نشره وتمكينه في قلوبهم مما أدّى تملكهم في البقاع الّتي دخلوها [1]، وبهذا أعطوا دفعة قوّية لنشره عندما اخضعوا الصّحراء ونجحوا في الانتصار على مملكة غانة الوثنية عام 460هـ/ 1067م[2].

وقد قامت هذه الدّولة بتكوين جبهة إسلامية قوية، امتدّت من غرب إفريقيا إلى المغرب ثم الأندلس وقد ساعدت هذه الدّولة على انتشار الإسلام وثقافته في غرب إفريقيا، ويرجع الفضل في نشر الإسلام في هذه الجهات إلى دعاة المرابطين الّذين امتدّ نشاطهم من السّنغال إلى غينيا حتى ساحل العاج والنّيجر [3] ولم يقتصر دورهم في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية فحسب بل عملوا على إصلاح العقيدة، و نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة [4]، كما أسهموا في نقل المؤثّرات الأندلسية والمغربية إلى تلك المناطق، ومنها الكتابة بالخطّ المغربي ، واتباع المذهب المالكي من الناحية الفقهية المغاربة [5]، ويعزى إليها أيضاً تأسيس الكثير من المراكز التّجارية الّتي تطوّرت وأصبحت حواضر إسلامية وعلمية كبرى، مما عزّز العلاقات الثّقافية والتّجارية بين بلاد المغرب الإسلامي والسّودان الغربي [6].

ومما سبق يتبيّن لنا الأثر الكبير لجهد المرابطين عبر هذا التّاريخ الطويل، حيث أصبحت الثّقافة العربية في منطقة السّودان الغربي تحمل طابعاً مغربياً واضح المعالم، والمذهب المالكي مذهب النّاس، والمدارس التّعليمية تنتهج منهجاً خاصاً بالمغرب الإسلامي، أضف إلى ذلك الكتب المتداولة أغلبها لعلماء مغاربة

---

(1) ابن خلدون، ديوان العبر، ج6، دار الفكر، بيروت،2000، ص 242.

(2) المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية و بدء حركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر، لعلاقات العربية الإفريقية دراسة في الآثار السلبية للاستعمار، معهد البحوث و الدراسات العربية، 1977، ص37.

(3) عبد الرحمن زكي، الإسلام و المسلمون في غرب افريقيا، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة يوسف، ج2، ص8-13.

(4) المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،المرجع السّابق، ص37.

(5) عصمت عبد الله دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، ط1،در الغرب الإسلامي، بيروت،1988،ص222.

(6) المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، المرجع السّابق، ص37.

والكتابة كانت بالخطّ المغربي، أي أنّها ثقافة مغربية على أرض إفريقية [1]، ومن خصائص انتشار الإسلام في السّودان الغربي، هو إسلام الطبقة العليا من الحكّام والملوك قبل الرعايا[2]، وهذا ما يشجّع على انتشاره بشكل واسع، فقد كان إسلام الكثير من الناس بسبب إسلام من يحكمونهم.

4- دور الممالك الإفريقية:

لقد كان للإسلام دور كبير في ظهور ممالك إسلامية عديدة في غرب إفريقيا [3]، فمنذ القرن الثّاني عشر الميلادي مثل غانة ومالي وسنغاي كان لها مكانتها وحضارتها[4]، وأوّل هذه الممالك وأقدمها مملكة غانة[5] ويُرجّح أنّ أوّل حكومة قامت في غانة يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الأوّل ميلادي. وغانة كانت أصلاً لقباً يُلقب به ملوك هذه الدولة، إلاّ أنّها اشتهرت بهذا الاسم نسبة لعاصمتها غان ة، وهي كما ذكر ياقوت كلمة أعجمية، بعدما سقطت مملكة غانة خلفتها مملكة مالي في البقعة الجغرافية وأظهرت حرصا كبيرا في نشر الإسلام وإتمام الدّور الذي بدأته مملكة غانا الإسلامية لهذا تعتبر ملكة مالي من أهم الممالك الإسلامية الّتي رسخت الإسلام في العديد من الحواضر عن طريق العلم والتعليم وركب الحجيج الذي ساهم هو الآخر من الناحية الثقافية في الربط ما بين أراضي العالم الإسلامي عامة وغرب افريقيا خاصة[6] اختفت اختفت غانة، كما اختفت إمبراطورية الصّوصو وتعتبر مالي أقوى وأغنى إمبراطورية إسلامية قامت في السودان الغربي، وترجع أصولها إلى القرن السّابع ميلادي، غير أنّها بلغت الذّروة، خلال القرن الثّالث عشر ميلادي أسّست هذه الدّولة قبائل الماندنجو الّتي سادت لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة بين نهر النّيجر والمحيط الأطلسي. وملوك مالي هم أصحاب الدّور الكبير في نشر الإسلام، وأشهر أسرة هي كيتا صاحبة

---

(1) محمود حسن أحمد، المرحلة الإفريقية من تاريخ المرابطين، المجلة التاريخية المصرية، مج12 مصر، 1965، ص118.
(2) Chailley, marcel، histoire de l'Afrique Occedental Française,p.33.
(3) أنظر الملحق رقم: 03 الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا.
(4) شوقي عطا الله الجمل، الحضارة الإسلامية العربية في غرب افريقيا سماتها و دور المغرب فيها، مقال بمجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤن الثقافية، الرباط، العدد7، 1976، ص 132.
(5) للتفصيل في هذه المملكة انظر حسن عيسى عبد الظاهر، المرجع السابق، ص ص111- 118.
(6) للتفصيل في هذه المملكة انظر المرجع نفسه، ص ص119- 138.

الفضل في تكوين هذه الدّولة الإسلامية التّاريخية. وكانت دولة التّكاررة في حوض السّنغال الأدنى قائمة في القرن الحادي عشر، وكذلك قامت دولة سنغاي[1] التي ظهرت حوالي القرن السّابع الميلادي على الضّفّة الشّمالية لنهر النّيجر، وبلغت أقصى اتّساعها في زمن أحد ملوكها وهو سنّي علي (850- 892هـ/ 1464-1492م) الّذي أخذ لقب أمير المؤمنين.

5- القوافل التّجارية:

رغم ما بين بلاد المغرب وبلاد السّودان الغربي من صحاري و براري منقطعة قليلة المياه متعذّرة المراعي وصعبة المسالك[2]، إلاّ أنّ الاتّصال بينهما قد شهد تطوراً في فترات مختلفة ذلك لأنّ العلاقات كانت قديمة، يقول باذل دافدسن:" اتّصل الغرب بالشمال الإفريقي وشماله الشرقي منذ أحقاب ممعنة في القدم"[3]، وقد قامت مراكز تجارية على مقربة من المسالك ، والطّرق التّجارية قدّمت خدمات جليلة للإسلام، فبتطوّر هذه المراكز تجارياً الّتي يرتادها التّجار بمختلف السّلع والمنتجات، سرعان ما تتحوّل إلى مراكز ثقافية يرتادها الدّاعية والمعلم والمريد، حتّى أصبح من المعروف أنّ هذه المحطّات مراكز لتبادل السّلع والأفكار، لذلك نجد أن بعض المراكز قد غلب عليها النّشاط الاقتصادي مثل جني في حين هناك مراكز غلب عليها الجانب العلمي مثل كانو، وجمعت تمبكتو الأمرين معا[4].

تعتبر الطّرق والمسالك الصّحراوية أهم وسيلة للاتّصال بين سكان المغرب الإسلامي وشعوب إفريقيا جنوب الصّحراء، حيث اجتازت عبرها القوافل التّجارية المحمّلة بمختلف السّلع والمنتجات انطلاقاً من مراكز الشّمال الإفريقي إلى المراكز التّـجارية بالسّودان الغربي، ثمّ ترجع قافلة مرّة أخرى بعد مـدّة عبر هذه الطرق إلى مواطنها محملة بسلع ومنتجات أخرى غير موجودة في مراكز الشمـال حيث يتـمّ الإقبال عليهـا بكثرة

---

(1) للتفصيل في هذه المملكة انظر عبد القادر زبادية، مملكة السنغاي، المرجع السّابق. حسن عيسى عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص ص 139-153.

(2) ابن حوقل، صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان1996، ص100.

(3) باذل دافدسن، افريقيا تحت أضواء جديدة، ص19.

(4) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية،ج7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1983،ص194.

ومن أهمّ هذه الطرق والمسالك[1]:

الطّريق الأوّل: من سجلماسة ثم ولاّتة ومنها إلى تمبكتو وجني وغاو.

الطّريق الثّاني: من تلمسان و يمر بواحة غرداية ثم توات ومنها إلى تمبكتو.

الطّريق الثّالث: من تقرت إلى ورقلة ثم إلى تمبكتو وغاو هذا الطّريق يتّصل بالموانئ الجزائرية في الشّمال[2]

الطّريق الرّابع : من إقليم الجريد جنوب تونس إلى وادي سوف وغدامس إلى مراكز الجنوب.

الطّريق الخامس: من طرابلس الغرب إلى غدامس ثم يتفرع إلى فزّان ومرزق ثم إلى غاو وبورنو.

الطّريق السّادس: يبدأ من مصر إلى واحة سيوة وزويلة وتادمكة و ينتهي إلى غاو وتمبكتو

وتجدر الإشارة بأن هذه الطّرق التّجارية المذكورة، تتحكّم بها عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية تؤدي إلى تغيير مسالك القوافل التّجارية من وقت لآخر، غير أنّ اتّجاهاتها تبقى ثابتة ، ما دامت المراكز التّجارية الواقعة عليها لم تفقد قيمتها لسبب أو لآخر [3]، وقد تركز الإسلام في بداية الأمر في المراكز التّجارية الهامّة والمدن، ثمّ توغّل إلى دواخل إفريقيا البعيدة وانتشر بين شعوب غرب إفريقيا عن طريق القوافل التّجارية الّتي لا تنقطع، وبهذا النّشاط التّجاري زاد نفوذ المسلمين، وأصبحـ ت المعاملات الإسلامية هي الوسيلة الوحيدة التّعاملات التّجارية ما بين المسلمين المتحكّمين في هذه التّجارة [4]. أمّا وسيلة النّقل لتلك القوافل فكانت الجمال التّي قدّر عددها خلال السّنة الواحدة في عصر ابن خلدون حوالي اثني عشر ألف جمل، وكـان فيها قدر كبير من الاهتمام حيث يراعي فيها تنظيماً محكماً في السّير والحـراسة، وتوفير الضّروريات خاصّة المـاء

(1) الشّيخ الأمين عوض الله، تجارة القوافل و دورها الحضاري حتّى نهاية القرن السّادس عشر، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، معهد الدراسات العربية، بغداد1984، ص 74.

(2) عبد القادر زبادية مملكة سنغاي، المرجع السّابق، ص214.

(3) بلهواري فاطمة، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و افريقيا السوداء، مجلة عصور، ع8ع-9-10-11، جامعة وهران، الجزائر، 2006-2007، ص 154.

(4) J.Spencer Trimingham، op-cit, p 28.

وعند وصولها تستقبل بحفاوة من طرف الرّسميين وغيرهم (1).

وقد كان التّجار المغاربة في تجارتهم ومعاملاتهم يكسبون احترام وودّ الشعوب السّودانية ؛ نظراً لما كانوا يتمتّعون به من أخلاق وأمانة وأدب. وقد كانوا ينقلون بضائعهم من سيوف ورماح وألبسة صوفية من شمال إفريقيا إلى غربها، ويتوزّعون لبيعها في غانة ومالي وتكرور و سنغاي وكا تسينا وكانو وبرنو ثم يعودون بريش النّعام والعاج والعبيد (2)، ومع هذه الحركة التّجارية الكبيرة قويت الصّلات، وقويت معها العلاقات الثّقافية فكان ذلك دافعاً جعل الكثير من طُلاّب السّودان الغربي يتوجّهون وبقوّة مع القوافل التّجارية صوب الشّمال، قاصدين المراكز العلمية لطلب العلم(3)، وكان للتّجار المسلمين دورٌ مهمّ في تأسيس بعض المدارس القرآنية لتعليم الأطفال (4)، وقد وُجِدَت أسرٌ عربية اتّخذت التّجارة حرفة رئيسية عُرِفت بها، وأصبحت في المدن التّجارية الهامّة في غرب إفريقيا وشمالها أحياءً خاصّة للتّجار العرب يقيمون في دورٍ بنوها فوق مستودعات بضائعهم، وحَرِص هؤلاء على أن يتعلّم أبنا ءهم في المدارس والمساجد مع الطّلبة الأفارقة(5).

ويتبيّن لنا من هذا الوصف أن التّاجر المسلم قام بدور كبير للدّعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وكيف أثرّ بشكل مباشر في عملية انتقال الثّقافة بشكلها العام، عناصرها المختلفة من عقائد ونظم وعادات قيم إلى المجتمعات غير المسلمة بشكل سلس هادئ، وبذلك يعد نموذجا حياًّ لكيفية دخول الإسلام وحضارته إلى إفريقيا الغربية عبر واحدة من أهم الوسائل ألا وهي التّجارة (6)، وبما أنّ حركة التّبادل التّجاري كانت تسير في اتّجاهين متعاكسين، فإنّه من المرّجح أنّ التّجار السّودانيين بعد أنّ أسلموا، بدؤوا ينشرون الإسلام في مناطقهم ، نظراً لمعرفة لغة أقوامهم من جهة، والمكانة المرموقة الّتي يحتلّها هؤلاء في مجتمعاتهم من جهة أخرى، وهذا ما يتناسب مع قبائل الهوسا المعروفة بنشاطها التّجاري الكبير وتنقّلاتها

(1) عبد القادر زبادية دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.
(2) آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق ، ص 40.
(3) جلال يحي، تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2010، ص 21.
(4) بلاربي،أبو بكر، اللغة العربية في نيجيريا من العصور الوسطى إلى اليوم، المجلة العربية للثقافة، تونس ,مج 7،ع 12،1987،ص 19.
(5) نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، دمشق 1960، ص 25 وما بعدها.
(6) حسن عيسى عبد الظاهر،المرجع السّابق، ص 97.

الواسعة[1]، وقد تميّزوا بمهارة فائقة في فلاحة الأرض، وبعض الحرف الصّناعية وكذلك في التّجارة، وقد أسهم الموقع المتوسّط بين السّوداني ين الغربي والشّرقي ، ووقوعها عند الطّرف الجنوبي لطريق القوافل التّجارية الصّحراوية الرّئيسية، والّذي يمتد من تونس ماراً بمدينة غات وغدامس وآهير ثمّ إلى بلاد الهوسا، ويعتبر التّجار الهوسَوِيين من أكثر التّجار مغامرة، وكانت قوافلهم تخترق الصّحراء الكبرى باتجاه بلاد المغرب بمنتجات بلاد السّودان من ذهب وعاج ورقيق وريش نعام وغيرها، كما وصلت قوافلهم مناطق الغابات في الجنوب إلى روافد وادي نهر بنوي، كما اتّجه تجارهم شرقا إلى بورنو[2].

لم يترتّب على التّجارة بين بلاد المغرب والسّودان الغربي نتائج اقتصادية فقط بل كانت آثارها الحضارية، والاجتماعية، والثّقافية أعمق وأقوى فقد أدّت إلى انتشار الإسلام وانتشار اللّغة العربية ، وعليه نخلص إلى أنّ التّجارة تعدّ من أكبر العوامل نقلاً لروافد الحضارة العربية الإسلامية من بلاد المغرب الإسلامي إلى بلاد السّودان الغربي، بل إنّ التّجارة و انتشار الإسلام في غرب إفريقيا مرتبطان كلّ الارتباط[3].

6- انتشارهفي بلاد الهوسا :

وصل الإسلام بلاد الهوسا من طريقين أولهما عبر مصر والسّودان الشرقي ، ودارفور وبراغمي وبورنو، والطريق الثّاني من المغرب الإسلامي إلى جنوب الصحراء حتّى وصل إلى المناطق الغابية والسّاحلية من السّودان الغربي[4]، ويذكر المؤرّخون أنّ الإسلام كان معروفاً لدى قبائل الهوسا منذ عام 700هـ/ 1300 م وزاد تأثيره بتدفق الهجرات، مع دخول قوافل التّجارة المحمّلة بمنتجات وسلع بلاد المغرب، ومع ذلك كانت قبائل الهوسا شديدة التّمسك بدياناتها التّقليدية وعاداتها القديمة [5]، ويرجع الفضل في انتشار الإسلام في هذه البلاد لوفود علماء الونغارة الّذين جاؤوا من مملكة مالي حاملين معهم الكتب في مختلف العلوم

(1) عصمت عبد الله دندش، المرجع السّابق، ص45-46.
(2) شوقي عطاء الله الجمل وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المرجع السّابق، ص204.
(3) أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ص371،376،383.
(4) عبد الله آدم الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السّابق، ص35.
(5) محمد أنور، قبائل الهوسا، مجلة افريقيا قارتنا، العدد6، القاهرة، 2013، ص3.

وذلك خلال القرنين الثّالث عشر والرّابع عشر الميلاديين[1]،وقد نشير إلى أنّ نزوحهم بقيادة زناتي من مالي إلى بلاد الهوسا، قد تكون سببها العلاقات السّيئة مع الملك سنّي علي [2]، ويُعتبر الونغارة من الأوائل الّذين وضعوا تقليد منحة الدّراسة في الفقه الإسلامي، واللّغة العربية، والحديث في بلاد الهوسا حيث وصل علماء من الونغارة إلى كانو في عهد الملك يعقوب Yakubu (ت 904هـ/1463م)، وذكرت حوليات كانو أنهم قد ساهموا بقدر كبير في إثراء المنح الدّراسية للمنطقة من خلال جلب كتب التّوحيد وعلوم اللّغة، بالإضافة إلى كتب تفسير القرآن الكريم و غيرها من الكتب من مختلف العلوم الأخرى [3]، حتّى أنّ قبائل اليوربا تسمّي الإسلام بدين مالي نظراً لمساهمتهم الكبيرة في نشره بينهم [4].

7– آثار الإسلام على المنطقة:

لقد ساهم الإسلام مساهمة فَعّالة في تطوي المجتمعات الّتي يصل إليها في جميع المجالات، فلم يكن ديناً فحسب؛ بل كان ثقافة وتنظيما سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، وأتح الفرصة للجميع في تغيير أسلوب الحياة إلى الأفضل وما يناسب الفرد والجماعة، ولم يهدم المجتمع القديم بل طوعه للدّين الجديد، وبين أوامره ونواهيه[5]، وقد كان المسلمون في هذه البلاد يأخذون العلوم الدّينية من علماء المغرب الإسلامي[6] وبمعاملاتهم الحسنة وتواضعهم، وصدق نيتهم في تبليغ رسالة الإسلام ومبادئه السّمحة كالأخوّة والتّسامح والتّعاون استطاعوا أن ينفذوا إلى قلوب الأفارقة الوثنيين ممّا جعل يفهمون الإسلام عن كثب، فأدّى بالكثير

---

(1) عبد الله آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص32.

(2) Lovejoy, P. E. ،The Role of the Wangara in the Economic Transformation of the Central Sudan in the Fifteen and Sixteenth Centuries, XIX, 2, J.A.H, 1978,p184

(3) Palmer, H. R,The Kano Chronicle, Vol 38,The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, 1908, pp. 58-98

(4) عبد الله آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص33.

(5) نفسه، ص 137.

(6) عبد الله آدم الآلوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية المسماة بنيجيريا من مستعمرات بريطانيا، مقال بمجلة الأزهر، المجلد السابع عشر الجزء السادس، مطبعة الأزهر،1946،ص284

منهم بالإقبال على الإسلام(1). كما كان دوره أساسياً في تنشيط حركة المبادلات التّجارية(2).

بدأ الإسلام يتجذّر، وبدأ معه تفتت النّظام القبلي، فقد سنحت الفرصة لتآخي القبائل في ظلّ هذا الدّين، وهذا حال إمارات الهوسا فقد كانت رمزاً لاتحاد قبائلها تحت راية الإسلام، وقد ساعد أيضاً على تكوين طبقة جديدة خلّفت طبقة الزّعماء القبليين، و هي طبقة النّخبة المثقّفة من رجال الدّين الّذين حملوا على عاتقهم نشر الإسلام وتعاليمه وإصلاح مجتمعاتهم (3)، واختفت العادات القبيحة مثل أكل لحم البشر وتقديم القرابين البشرية، ووأد الأطفال، وكلّ الشّرور الّتي كانت تمثّل الطّابع الأساسي للوثنية(4).

لقد كان الإسلام سراجاً للحضارة الإنسانية، الّتي دفع بها إلى الرّقي والازدهار في جميع نواحي الحياة الرّوحية والمدنية، وكانت إفريقيا الغربية مثالاً حياً لما لها من الحظوة في تلقّي هذا الدّين، ومن بين أبرز النّتائج الّتي ترتّبت على انتشار الإسلام فيها :

نشر الحضارة العربية الإسلامية واللّغة العربية ،كما كان سبباً في قيام إمبراطوريات إسلامية في غرب إفريقيا. وساعد على تنشيط التّبادل التّجاري بين شمال إفريقيا وغربها ،كما تطوّرت الصّناعة، والزّراعة في هذه المنطقة.

وأدّى انتشار الإسلام أيضاً إلى تشجيع رجال العلم والعلماء، فانتشرت العلوم وازدهرت المراكز العلمية وظهرت المدارس والزّوايا وزاد إنتاج ونسخ المخطوطات بالعربية، وحتّى باللّغات المحلّية الإفريقية وبرزت أيضاً الطّرق الصّوفية خاصّة الطّريقة القادرية، الّتي كان لها دورها، وقد ساعد على قيام حركات إصلاحية إسلامية، والّتي أدّت إلى إحداث تغيير في النّظم السّياسية والاقتصادية والاجتماعية.وكان ذلك له دور في التّأثير على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

---

(1) أرنولد توماس، المرجع السّابق، ص394 .

(2) كزافييه دو بلانهول، تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر معاوية سعيدوني،ط1 دار الغرب الإسلامي،تونس، 2008، ص363.

(3) نعيم قداح، التأثير العربي الإسلامي في مجتمع افريقيا الغربية،المعرفة، ع 14، سوريا، 1963، ص 46.

(4) نعيم قداح، المرجع السّابق، ص 137.

المبحث الثّاني: انتشار اللّغة العربية وتأثيراتها.

1- انتشار اللّغة العربية:

في المبحث السّابق من الفصل الثّاني تكلّمنا عن انتشار الإسلام في بلاد السّودان الغربي، وانتشاره يعني بالضّرورة انتشار لغته العربية كلغة للتّعبد والتّخاطب والتّعامل والكتابة وإلى غير ذلك من مختلف الاستعمالات.يقول المستشرق كارل بروكلمان:"... وقد انتشرت اللّغة العربية عن طريق القرآن الكريم انتشاراً واسعاً كما لم تنتشر أيّة لغة أخرى من لغات العالم..و قد أصبحت اللّغة الأدبية المشتركة الّتي لها المكانة وحدها في معظم الأحوال حتّى بعد ظهور الآداب المحلّية في النّواحي العلمية إلى غاية اليوم.
وتسيطر العربية القديمة أساساً في هذه الآداب، وهذا يعني سيطرة اللّغة الشّعرية غالباً، مع مفردات مناسبة للظّروف الجديدة. و بالطّبع لن تستطيع هذه اللّغة أن تتخلّص لدى العرب أنفسهم من تأثيرات اللّهجات الشّعبية الحّية كلّها "[1].

ممّا لا شكّ فيه أنّ انتشار اللّغة العربية في مختلف أقطار العالم الإسلامي عامّة، ومنطقة إفريقيا جنوب الصّحراء خاصّة، مرتبطة كلّ الارتباط بانتشار الإسلام، من هنا تبرز قيمة اللّغة العربية فهي الوعاء الكبير الذي يحمل الإسلام، فإذا كان وصول الإسلام إلى منطقة إفريقيا جنوب الصّحراء في وقت مبكر؛ أي منذ القرن الأوّل الهجري السّابع ميلاي، فإن وصول العربية كان في حدود هذا التّاريخ، وحين تحدّث البكري في القرن الخامس عن مملكة غانة قال:"إنّ تراجمة الملك وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه من المسلمين " وهذا لثقته فيهم لأمانتهم وصدقهم، وكذلك لمعرفتهم بالعربية فكانوا يستعملونها في كتاباتهم[2]، كما ذكر أنّ لهذه المملكة مدينتان كبيرتان إحداهما يسكنها المسلمون، ووصفها بأنها مدينة كبيرة بها اثنا عشر مسجداً ، ويجمعون في أحد هذه المساجد، ولها الأئمة والمؤذّنون وفيها فقهاء وحَمَلَةُ العلم والمدينة الأخرى الّتي تَبْعدها بستّة أميال يسكنها الملك وفيها أيضاً "مسجد يصلّي فيه من يَفِدُ عليه من المسلمين على مقربة من مجلس

---

(1) كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، تر، رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، السّعودية، 1977، ص30.
(2) البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1857، ص 175.

الملك"[1]، وفي القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي استولى عليها المرابطون فأصبحت مملكة إسلامية ثمّ توالت الممالك وأشهرها كانم بورنو في منطقة التشاد الحالية، ومملكة مالي ومملكة السّنغاي إلى ظهور الخلافة السّوكوتية في بلاد الهوسا إلى دولة ماسينا في مالي والدّولة الفوتية في منطقة السنغال فكلّ هذه الممالك والدّول الإسلامية قد جعلت من اللّغة العربية لغتها الثّقافية والتّعليمية والدّينية والإدارية ومعاملاتها التّجارية ومراسلاتها الرّسمية، فانتشر التّعليم باللّغة العربية، ونبغ العلماء والكتّاب والشّعراء والأدباء والمؤرّخون ممّا شجّع على نشرها وترسيخها، وزاد مكتبة التّراث الإسلامي غنًى[2].

وإذا كانت هذه الممالك الإسلامية الّتي نشأت في منطقة جنوب الصّحراء قد قامت بدور مهمّ وأساسي في نشر الثّقافة الإسلامية واللّغة العربية، فبَنت المساجد وفتحت المدارس ودُورَ التّعليم على أوسع نطاق، وشجَّعت العلماء وقرَّبت رجال الدّين وأنزلتهم المنازل الّتي تليق بهم، فإن هنالك أيضاً عواملَ أخرى تضافرت معها على ذلك: منها دور دعاة الإسلام الّذين انتشروا في أنحاء الغرب الإفريقي، ومنها دور القوافل التّجارية والتُّجار أنفسهم، ومنها الطّرقُ الصّوفية ومُريد يها، كما كانت الرّحلات أيضاً الّتي يقوم بها الحُجّاج الأفارقة إلى الدّيار المقدّسة في الحجاز مروراً بأقطار عربية كثيرة يأخذون منها العلمَ ، ويقتنون منها الكتبَ ويربطون الصّلة بالعلماء ويصطحبون معهم الدّعاة والمعلمين. ومنها أيضا هجرة بعض القبائل العربية على فترات واستقرارها في أجزاء من المنطقة.

لقد توسّع الإسلام في دواخل إفريقيا مع انعدام بيئة تتكلّم العربية أو تجيدها، وكان الفضل في ذلك لجهود كبار العلماء الّذين تحملوا عناء السّفر لمسافات بعيدة، وربما كانت الرّحلة محفوفة بالمخاطر مع صعوبة المسالك الصحراوية هذا من جهة، وتوفّر الاستعداد الفطري لدى الأفارقة لتقبّل دعوة الإسلام من جهة أخرى[3] كما توسّعت وانتشرت معه اللّغة العربية، وأصبحت لغة التّخاطب والتّعامل، خاصّة بعد الإجماع

---

(1) نفسه، ص 175.

(2) عبد العلي الودغيري،اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي و ملامح من التأثير المغربي،ط1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،2011، ص 100.

(3) الكيالي سامي، آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم، اللسان العربي، المغرب، مج7، ع1، 1970، ص 134.

بعدم قـراءة القـرآن بغير العربية، ووجوب الصّلاة إلاّ بها [1]، فكان لزاماً على من يريد التّوغل في أسرار الدّين أن يوغر في لغته، وأن يتقنها، وقدكان انتشارها انتشاراً واسعا شمل جميع ميادين الحياة.

2- عوامل انتشار اللّغة العربية في غرب إفريقيا:

لم يكن العامل الدّيني كافياً لتحليل انتشار اللّغة العربية في غرب إفريقيا، بل إن هذا الانتشار الكبير يرجع إلى عدّة عوامل. فما هي العوامل الّتي أدّت إلى تغلّب اللّغة العربية على اللّغات الأخرى؟.

من العوامل المهمّة بل والأساسية في انتشار اللّغة العربية في غرب إفريقيا عدم جواز قراءة القرآن وكتابته بغير اللّغة الّتي نزل بها، فضلاً عن عدم جواز القراءة بغير العربية في الصّلوات [2]، فكان الداخل في الإسلام يتعلّم شيئاً من القرآن، ثمّ يتّجه لتعلّم اللّغة العربية ليتفقّه في الدّين، ويتدبّر أسرار القرآن الكريم ويرجع البعض انتشار اللّغة العربية في غرب إفريقيا إلى القرابة الّتي توجد بينها وبين اللّغات السّامية الأخرى في كثير من المظاهر الصّوتية واللّفظية والنّحوية، زيادة على ذلك أنّ هناك إجماعاً بين علماء اللّغات على التّشابه بين اللّغات السّامية والحامية[3].

ومن العوامل أيضاً التي أدّت إلى انتشـار اللّغة العربية العامل الحضاري، حيث يقول علماء اللّغة أنّـه عند التقاء لغتين، إحداهما ذات تراث حضاري متفوّق، والأخرى حظها من ذلك التّراث قليل، فينتهي الأمر بتفوّق اللّغة الأولى، وهكذا حصل مع اللّغة العربية فهي تمثل تراث ذات سمات حضارية راقية وحين تمازجت معها اللّغات الإفريقية الأخرى، فلم تستطع هذه الأخيرة أن تصمد أمامها، فخضعت لها خضوعا تاماً[4].

---

(1) شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال و غرب افريقيا الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر2012، ص61.
(2) هلال عمار، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، 1988، ص 57.
(3) حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص49.
(4) نفسه، ص ص49 – 50.

3- دور الدّعاة والفقهاء:

لقد كان الدّعاة المتطوّعون يتوزّعون في كثير من مناطق غرب إفريقيا فيذهبون للدّعوة دون وجهة فلا تبعثهم حكومة، ولا تشرف عليهم إدارة، ولا تنظّمهم قيادة، بل هم موزعون في تلك البقاع ،يستعملون مختلف الوسائل الممكنة لنجاح دعوتهم[1]، ومن أشهر العلماء الذين هاجروا إلى أصقاع إفريقيا وأقاموا فيها وكان لهم حظ وافر في تعليم مبادئ الدّين وتصحيح العقيدة والرفع من مستوى تعليم اللغة العربية ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغِيلي التّلمساني (ت 909هـ/1503م) الّذي ترك أعمالاً جليلة مازالت بصماتها يشيد بها الكتّاب والمؤرّخون[2].

4- دور التّجارة في نشر اللّغة العربية:

أشرنا في المبحث السّابق من الفصل الثّاني عن دور تجارة بلاد المغرب في نشر الإسلام، ونقل الحضارة العربية الإسلامية عموماً إلى كلٍّ من بلاد السّودان الغربي والسّودان الأوسط، ونركّز هنا على دورها في نشر وترسيخ اللّغة العربية في هذه المناطق، حيث أصبحت التّجارة عبر الصحراء الوسيلة المهمّة في تدفّقها في هذه المناطق، ومن الطبيعي كذلك أن يلتقطها التّجار الأفارقة من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم فهذه العلاقة إذن هي الّتي وضعت الحجر الأساس للّغة العربية في هذا الجزء من افريقيا، وهكذا بدأ أولئك التّجار يدخلون كلمات عربية في تلك المناطق من افريقيا، فانتشرت تلك الكلمات تدريجيا حتّى توغّلت في ربوع افريقيا، واندمج بعضها في اللّغات المحلية وبخاصّة بعد انتشار الإسلام، ومما يؤكد هذا تلك المجموعة الهائلة من الكلمات العربية الكثيرة الموجودة في العديد من اللّغات الإفريقية. كالهوسا والفولاّن، والكانوري، خاصّة الأسماء التي تكثر استعمالاتها أثناء عمليتي البيع والشّراء مثل أسماء البضائع والسّلع الّتي كانت تأتي من بلاد المغرب الإسلامي[3].

---

(1) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص40.
(2) عبد العلي الودغيري، المرجع السّابق، ص100.
(3) مصطفى حجازي السيد، أدب الهوسا الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2000، ص 31.

5- دور المغاربة في نشر اللّغة العربية:

تحدّثنا في المبحث السّابق من الفصل الثّاني عن دور المغاربة في نشر الإسلام والثّقافة الإسلامية بمختلف مظاهرها في منطقة السّودان الغربي، ولكنّنا لم نتحدّث عن دورهم في نشر اللّغة العربية لغة القرآن الكريم و لماّ كان المسلمون في هذه البلاد يأخذون العلوم الدينية من علماء المغرب الإسلامي [1]،كان انتشارها يعتبر من منابعها حتّى تعلّمها أهل هذه البلاد و بدؤوا بنشرها، وكان بدء انتشار العربية في مملكة كانو على عهد السّلطان محمّد رمفا في القرن التّاسع الهجري. ولكنّ الحقيقة الّتي أصبحت معروفة لدى الجميع، هي أنّ انتشار اللّغة العربية كان شيئاً مُلازِماً بالضّرورة لانتشار الدّين الإسلامي . فحيثما توجَّه واستقرَّ، استقرَّت معه لغةُ القرآن الّتي هي أداةٌ ضرورية لفهم الوحي والتّنزيل عند المسلمين، وضرورة أيضاً لأداء فريضة الصّلاة، وحفظ السُّور وقراءة الأوراد، كما هي ضرورية لفهم الكتُب الدّينية الأساسية من حديث وتفسير وقراءات وسيرة نبوية وغيرها من العلوم الإسلامية [2]، ومن ثمَّ لم تكن العربيةُ عند المسلمين في يوم من الأيّام، مجردَ لغة دينٍ وتعبُّد فقط، بل أصبحت لغةَ تعليم وتعلُّم، ولغةَ فهم وتفهُّم، ولغة ثقافة وحضارة وفنون . ومن ثمَّ تحوَّلت لتصبح جزءً ا من العادات والتّقاليد، بل جزء اً من شخصية المسلم وكيانه وهويته[3].

إنّ الكثير من الكلمات والآيات القرآنية تمازجت مع اللّغات المحلّية للمسلمين حتّى أصبحت جزءاً من هذه اللّغات واللّهجات، ممّا يؤكّد قوة التّلازم والتّرابط بين اللّغة العربية وبين الإسلام الّذي أغناها بسحر آياته وإعجاز كلماته فاغتنت وأغنت [4]، وهنا تدخل مسألة التّأثير والتّأثّر، كما أنّ اللّغة العربية تستطيع التّطور واستيعاب ما تسرّب إليها من اللّغات واللّهجات الّتي اختلطت معها وذلك باحتوائها من جهة

---

(1) عبد الله الآلوري، تاريخ دخول الإسلام، المرجع السّابق، ص284.
(2) محمد سليمان باريا ، محمد صالح جمال، اللغة العربية أداة للتفاهم بين الشعوب النيجيرية المسلمة، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية،دبي،6-10 ماي 2015، ص 194.
(3) عبد العلي الودغيري، دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي
(4) الكيالي سامي، المرجع السّابق، ص135.

والاستفادة منها من جهة أخرى[1]، واللّغات في بلاد السّودان متباينة تسمّى إحداها السّنغاي وتستعمل في عدّة نواح، كولاّته، وتمبكتو وجني وغاو، ووانغارة بينما تدعى لغة أخرى كوبر وتستعمل في بلاد غوبر وكانو وكاتسينا وزكزك، وهناك لغة في بورنو تشبه المستعملة في كاوكاو وأخرى بقيت مستعملة في مملكة النّوبة تختلط فيها العربية والسّريانية والقبطية [2]، إلى غير ذلك من اللّغات الكثيرة الّتي قدّرها بعض الدّارسين بين 700 و1000لهجة[3].

6- المراسلات العلمية و دورها في نشر اللّغة العربية:

كانت المراسلات العلمية رافداً قوياً من ر وافد هذه النّهضة الإسلامية في غرب إفريقيا ، وكان لها أثرها البالغ في توجيه وتصحيح بعض العقائد والأفكار المنحرفة، وتعليم ونشر مبادئ الإسلام بين المسلمين، كما كان لها تأثيراتٍ وإسهاماتٍ في نشر اللّغة العربية، وهناك نماذج كثيرة من هذه المراسلات، والّتي حدثت في فترات مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نموذجاً من تلك المراسلات، فقد حفظ لنا القلقشندي رسالة بعث بها سلطان كانم عثمان بن إدريس باللّغة العربية إلى السّلطان الظّاهر سيف الدّين برقوق، وقال إنّها وردت سنة 794هـ/1394م.مما يوجب القول أنّ انتشار اللّغة العربية واضح بجلاء ومادامت أنّ الرّسالة طابعها كان رسمي، فإنّه يدلّ حتماً أنّ اللّغة العربية كانت اللّغة الرّسمية للدّولة، وتكتب بها سجلاّتها كما أنّ مضمون الرّسالة يُعبر عن مدى شيوع الثّقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد[4].

كذلك حدث مع الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عندما كان في بلاد السّودان الغربي حيث كتب فتاويه الدّينية ووصاياه السّياسية باللّغة العربية لكل من ا لأسقي محمد الكبير سلطان مملكة سنغاي الإسلامية، والأمير أبي عبد الله محمد رنفا بن يعقوب سلطان كانو؛ والرّاجح أنّه كتبها حينما كان في

(1) مسعود بوبو، من تاريخ انتشار اللغة العربية في الآفاق، مجلة دراسات تاريخية، ع ع63-64، جامعة دمشق،سوريا، 1998،ص6.
(2) الحسن الوزان، وصف افريقيا،ص39.
(3)الحاج سيلا، دور اللغة العربية في العلاقات الإفريقية العربيةالملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، السنغال،1984، ص 97.
(4) القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة،1915.

بلاط كلٍّ منهما[1].

وفي إطار نصح العلماء لبعضهم، كانت هناك بينهم مراسلات علمية ومناظرات، ومن هذه الرّسائل ما كتبه أحد علماء التّكرور يستفتي فيها الإمام السّيوطي في بعض الأمور المتعلقة بعوائد أهل السّودان المخالفة للشّريعة[2]. ورسائل عثمان بن فودي بعث بها إلي أهل السّودا ن وهي كثيرة، حيث بيّن لهم عن طريق هذه الرسائل المكتوبة باللّغة العربية كل ما يتعلّق بأحوال بلاد الهوسا من انحرافات، وبين لهم الطّريق المستقيم بإتباع الكتاب والسّنّة، ومن النّماذج أيضاً، الرّسائل المتبادلة بين الشّيخ عثمان بن فودي، وسلطان الكانم بورنو محمّد الأمين الكانمي (ت 1251هـ/ 1835م) ، في أمر الجهاد في تلك البلاد وهي كثيرة وقد بلغت حدّ الرّوعة في التّعبير دلّت على التّضلع الكبير لهؤلاء في اللّغة العربية وأساليبها[3].

7- بعض مميزات تفوق اللّغة العربية:

إنّ اللّغة العربية من أعرق اللّغات منبتاً وأعزّها جانباً، وأقواها جلادة، أبلغها عبارة، أغزرها مادّة وأدقّها تصويراً لما يقع تحت الحس، وتعبيراً عماّ يجول في النّفس وذلك لمرونتها على الاشتقاق وسعة صدرها للتّعريب، وهي لغة شاعرية حسّاسة ذات منطق وفصاحة وبلاغة وآداب[4].

وتمتاز هذه اللّغة الشّاعرية بالوفرة الهائلة في الصّيغ، وتمتاز بمفرداتها الّتي تفوق الحصر، لأنّها التهمت كلّ اللّهجات المحيطة بها، وهي تمتلك الوسيلة للتّعبير عن الإحساس الرّقيق والشّعور بالعزّة، ولها تأثيرها الشّعري الرّائع في واقعية الملاحظة[5]. لذلك لا يوجد صعوبة في نظم القصائد الطّوال ذات القافية الواحدة والرّوي

(1) محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها، تقديم وتحقيق عبدالقادر زباديه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، عام 1989، ص ص 151-191

(2) للسيوطي،الحاوي للفتاوي، ص ص284-294.

(3) محمّد بلّو، المرجع السّابق، ص...أنظر الملحق رقم 17.

(4) محمد بلي الفوتي، اللغة العربية لغة القرآن و العلم و الحضارة في إفريقيا، ع269، دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية، الرباط، 1988، ص 300.

(5) كارل بروكلمان، المرجع السّابق، ص ص29-30.

الواحد[1]، إنّها هي الصّلة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم، وبذلك قدّمت خدمة جبّارة للإنسانية جمعاء[2].

8- اللّغات الإفريقية بالحرف العربي:

لا يمكن بأيّ حال لأحد أن ينكر أنّ كلّ شعب في إفريقيا قد اقتبس من جيرانه بعض مظاهر الثّقافة، و أدخلها في ثقافته حسب أسلوبه وتصوّره[3]، فالأفارقة الّذين هم أقرب للعرب وأوثق صلة بهم هم أكثر الأفارقة استعمالاً للكلمات العربية[4]، ومما لاشكّ فيه أنّ هذه الشّعوب قد سجّلت حضورها بتدوين لغاتها، وكان للحرف العربي بصمته الواضحة، فقد جعل الحرف العربي هذه الأمم تعبّر عن ثقافتها وآدابها وتاريخها، وبالتّالي ضمان إيصال المعرفة إلى أبنائها، ووصول الثّقافة العربية الإسلامية إليها كان عبر قبائل وسيطة، أهمّها قبائل صنهاجة الّتي تشّربت ثقافتها من بلاد المغرب منذ القرن الهجري الأوّل، وهذا التّاريخ يعتبر بداية التّدوين بكبرى لغات تلك المنطقة كالفولاّني ة والهوساوية والولفية والماندينغ [5]، فكان علماء الهوسا واليوربا يكتبون لغتهم بالأحرف العربية على طراز الفرس والتّرك ويسمّونها الكتابة الأعجمية، ولقد كتبوا بها عدّة كتب علمية وأدبية ودينية[6].

لقدكانت روابط الأخوّة متينة بين شمال الصّحراء وجنوبها في إفريقيا، ومن مزاياها تسابق سكّان المنطقة إلى شراء الكتب العربية وتعلم اللّغة العربية حتى إن الجميع اخذوا يشعرون بالانتماء الثّقافي والسّياسي المشترك ، فالمسلم أخو المسلم والعربي أصبح أخاً للسّوداني، والأرض أصبحت وطن الإسلام وكانت اللّغة العربية لغة الدّولة والحكومات، ولغة الدّواوين، والسّجلات، إضافة إلى كونها لغة الدّين

---

(1) مجموعة باحثين الموسوعة الإفريقية، المرجع السابق، ص45.
(2) محمد بلي الفوتي، المرجع السّابق، ص300.
(3) علي كلطغ ديالو، الثقافة الإسلامية في افريقيا، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية ، الرباط، العدد266، 1987،ص22.
(4) الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص39.
(5) محمد الأمين منغا اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط2006، ص 23.
(6) عبد الله، آدم الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص143.

والحضارة في معظم دول إفريقيا جنوب الصّحراء (1)، وكان الخطّ المغربي انعكاس لصورتها، فقد توافق انتشار الخطّ المغربي في العالم الإسلامي موافقة دقيقة بانتشار مذهب مالك، وارتبط به وأصبح مرادفاً له(2)

المبحث الثّالث: التّأثر بالشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

1- المغيلي(3) في السّودان الغربي:

يعدّ الشّيخ المغيلي أحد العلماء المغاربة الّذين حملوا لواء العلم ونشره في مناطق عديدة من إفريقيا خاصةً النّطاق الغربي منها . ارتحل المغيلي من قريةٍ إلى قريةٍ ، ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ ، ومن مملكةٍ إلى مملكةٍ يُجالس فيها الملوك، و يخالط العلماء، وينصح الخاصّة، ويُصلِح العامّة، حتّى ذاع صيته، وشُدَّت إليه الرّحال من الأقاصي من طلبة و علماء وغيرهم، يرجون النَّهْلَ من علمه، والاستفادة من نصحه.

دخل المغيلي إلى كانو، وأقام فيها للتّدريس، ثمّ تولّى القضاء، وعمل على تأليف رسالة في شؤون الإمارة، في شكل نصائحٍ قدّمها للأمير محمد ابن يعقوب المعروف برمفا، وهذه الرّسالة معروفة بـ: تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين.ثم رحل إلى كاتسينا، وقام بمهمّة التّعليم والإفتاء، وقدّم نصائح ووصايا

---

(1) نوري، دريد عبد القادر، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون 4 – 8 هـ / 10 – 16 م، ع 30 م آداب الرافدين ،العراق، 1997، ص 93.

(2) أ .هوداس، محاولة في الخطّ المغربي، ع3، حوليات الجامعة التونسية ، تونس1966، ص 195.

(3) المغيلي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، هو الفقيه والمفسر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، عالم مشهور في الفقه والتفسير والحديث والمنطق ولد في تلمسان،أخذ العلم عن عبد الله بن يدير وعبد الرحمن الثعالبي،غادر تلمسان بسبب خلاف وقع بينه وبين ملوك بني زيان،استقر بمدينة تمنطيط في الجنوب الجزائري،أين اشتغل بالتدريس،كانت له مواقف من يهود المنطقة بسبب سيطرتهم غير الشريفة على التجارة، فحاربهم بتأييد مجموعة من العلماء،انتقل بعدها إلى منطقة غرب افريقيا ليعمل على نشر الإسلام بين سكانه، فزار كانو والتقى بحاكمها،ثم مكث بتمبكتو أين التقى الأسقيا وما دار بينهما من أسئلة وأجوبة في الفقه و السياسة و الحكم فذاعت شهرة المغيلي، بعدها رجع الى توات أين توفي ودفن هناك سنة909هـ/ 1503 له مؤلفات عديدة منها في علم التفسير،**البدر المنير في علم التفسير** وفي الفقه، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** و **تاريخ الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين** وغيرها.و كانت للمغيلي مراسلات عديدة مع السيوطي حول مسائل في المنطق. وكان معجباً بآراء أرسطو، فأصبح من ابرز علماء عصره ومن أكثرهم تأثيراً على علماء الصحراء الكبرى وإفريقيا أنظر، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الجزائر1968 ، تقديم رابح بونار. محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا، الجزائر 1974، تحقيق عبد القادر زبادية

لحَاكِمِها إبراهيم ياجي وحسب رواية هنري بارث أن المغيلي عندما رحل إلى كاتسينا أدخلة إلى الإسلام [1]

وبحسب أعماله فقد اجتمعت فيه خصال جمّة ، فهو يملك من الشّجاعة والجرأة والمروءة والسّماحة والفضل والوقار ما يمكنه لنَصْرِ أمّته، ونصْحِ إخوانه، فقد رحل من شمال الصحراء إلى جنوبها ينشر العلوم الدّينية والدّنيوية .

2- آثار الشّيخ المغيلي في السّودان الغربي :

تميّزت الحركة العلمية والفكرية في السّودان الغربي بقوّتها، وتأثّرها الكبير بالعقل المغربي، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى خصوصياتها باستقلاليتها عن السّلطة السّياسية، وأجازت الجهاد ضدّ الحاكم الظّالم، مثل المغيلي فإنّ حُكْمَه على الحاكم الظّالم حُكْم الكافر، وأجاز بأولوية مجاهدته[2] .

إذا تحدّثنا عن آثار المغيلي في السّودان الغربي ، فهي كثيرة وجليلة، وهي على مستويات راقية، مسّت طبقة الحكّام والملوك والعلماء؛ فضلا عن العامّة من النّاس، هذا لأنّه كان رجلاً من النّوع الخاص فهو يتميّز بالعلم الفائق، والفكر الثّاقب، وبعد النظر، والصّدع بصولة الحق حينما يسري الباطل وأهله؛ لذا كانت حركة التّأليف لديه غزيرة، متنوعة بتنّوع علوم عصره ، كالتفسير والحديث والفقه والنّحو والصّرف والمنطق[3]، وقام برحلات كثيرة لنشر الإسلام، ويمكن القول أنّ الدّور الّذي قام به الشّيخ المغيلي لا يضاهيه أيَّ دورٍ قام به عالم مغربي في السّودان الغربي والأوسط. فقد ترك بصمته، فكان قاضيا ومفتيا وقدم النصح وألّف الكتب العديدة وقام بتصحيح مفاهيمٍ كثيرةٍ كانت مُغيَّبة في أذهان عامّة النّاس، بل حتّى عند أهل السّياسة

---

(1) Henry Barth، Travels and Discoveries of North and Central Africa, vol1, new york ,1857 p. 474.

(2) Usman Muhammad Bugaje، The Tradition Of Tajdid In Western Bilad Al-Sudan A Study Of The G Enesis,Development And Patterns Of Islamic Revivalism In The Region Ad 1900-900, Thesis University Of Khartoum ,1991 , pp 74-195.

(3) حدث له مراسلة في المنطق مع السّيوطي.

من الحكّام[1].لقد تعلّم المغيلي من خلال تجارب الحياة ، والّتي شملت الكثير من الصّعاب والمشاكل والعداء الّذي نصبه له بعض الجماعات ذات المصالح لمكانتها ، كبعض العلماء الّذين يُطلق عليهم المغيلي اسم علماء السّوء المرتشين، ومن خلال تجربته في نازلة توات فقد اعتبر الشّيخ أنّ العقبة الكبرى الّتي تقف أمام عملية التّجديد، هم أولئك العلماء المرتشين؛ لذا بذل جهداً كبيراً لكشفهم والتّحذير منهم[2].

وبذلك يعدّ محمّد بن عبد الكريم المغيلي أحد العلماء الكبار الّذين تركوا آثارهم الإصلاحية خاصّة في الجانبين الاجتماعي والسّياسي مسّت حكاماً ومحكومين في بلاد السّودان الغربي وامتدت آثاره إلى مجاهدي مملكة سوكوتو في بداية القرن التّاسع عشر ميلادي حينما أخذوا من كتاباته ما يحتاجونه واستفادوا كثيراً من نصائحه،كما استشهدوا بأقواله وفتاويه الدّينية، وطبّقوا وصاياه في السّياسة والملك، وقد ذكر عبد الله سميث بأنّ كل قادة سوكوتو أعطوا الاهتمـام لكتاباته، والّتي أثّرت تأثيراً كبيراً على النّخبة من المسلمين في المنطقة خاصةً في الجانب السّياسي[3].

3- تأثُّر الشّيخ عثمان بن فودي بالمغيلي:

لم يكن لدخول الإسلام في بلاد الهوسا خلال النّصف الأخير من القرن الخامس عشر ميلادي أيّ بعدٍ سياسي في البداية، رغم الثّقافة الكبيرة الّتي كان يتمتّع بها علماء المنطقة، ثم أصبح الإسلام يمثّل قوّة سياسية في بلاد الهوسا، أدّى إلى تغيرات حكومية، جَلَبَت قيادات جديدة، خصوصاً في زاريا وكانو وكاتسينا اللاّتي كُنّ أكثر إسلاماً في بلاد الهوسا، ومن أبرز هؤلاء الحكّام محمّد رمفا حيث يعد من أشهرهم في كل بلاد الهوسا نظراً لما عرف عنه من الحكمة وحسن التّدبير، حيث ازدهرت كانو في عهده ازدهاراً كبيراً ويعود ذلك إلى استعانته الكبيرة بطائفة من العلماء على رأسهم الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي الّذي كان في بلاطه يمارس مهام كثيرة أهمها القضاء والإفتاء إلى جانب التّعليم وللثّقة الّتي وضعها فيه أصبح من

---

(1) عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في افريقيا الواقع و المستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص113.
(2) Ibid، p161.
(3) H. F. C. Smith، A Neglected Theme Of West African History، The Islamic Revolutions Of The Century19, J. H.S. N, Vol. 2, No. 2 ,1961, P177.

أكبر المقرّبين حيث دعاه لنصحه [1]، وبترسيخ الإسلام زادت أهمّية بلاد الهوسا، وأصبح يمرّ عليها ركب الحجيج، وكانت لمراكز التّعليم المتنامية فيها خلال القرن السّادس عشر ميلادي سمعة طيّبة؛ ممّا جعل بعض مدن بلاد الهوسا تبرز كعواصم إسلامية ذات شأنٍ بما فيه الكفاية لجذب العديد من الطّلاب والعلماء، زد على هذا تقليد الحجّ الّذي عمل على وصل المسلمين بالعالم، كما يعتبر مصدر لتدفّق الفكر والأفكار الإسلامية إلى بلاد الهوسا، وكان الإسلام في القرن الثّامن عشر الميلادي أكثر قوّةً وتمكّناً، حيث أنّ الحكّام أشهروا إسلامهم واعتمدوا على العلماء في حكمهم.

لقد تأثّر ابن فودي أوّلا بعلمائه المعاصرين له في السّودان الغربي تأثراً مباشراً[2]، وبحركة المرابطين، وفي الأندلس بحركة الدّعوة الإسلامية، كما تأثّر بحركة الموحّدين .ولقد تنوّرت أفكار ابن فودي من تلك الحركات، من خلال أثار المغيلي في غيرته على الإسلام، والدّفاع عنه باللّسان وباليد وبالسّلاح. لقد تأثّر ابن فودي بأفكار المغيلي تأثيراً كبيراً، حتّى صار ينقل من كتبه كأنّما ينقل عنه مشافهة، ولقد أورد في كتابه حصن الإفهام بعض فتاوى المغيلي. وأوعز ثقل هذا التأثّر إلى المغيلي ونسب ابن فودي نفسه إليه كالتلميذ الّذي سمع أو أخذ منه مباشرة مع ما بينهما من بعد العهد الّذي لا يقلّ عن ثلاثة قرون ،ممّا يدّل على تأثّره الشّديد وتعلّقه بهذا الشّيخ الكبير،كما استشه د به أيضاً في كتابه تعليم الإخوان، ونقل كلامه وفتاويه مستشهداً تارةً و محتجاً بها تارةً أخرى [3]، هذا وقد أورد ترجمته الّتي نقلها من كتابي أحمد بابا التمبكتي نيل الابتهاج و كفاية المحتاج[4]

---

1 Usman M. Bugaje ،The Sakkwato Model A Studyof The Origin, Development And Fruition Of The Jihad Of Uthman B. Fodye (1754-1817) This Booklet Was Originally A Paper Presented At An International Islamic Conference Held At Bayero University Kano - Nigeria (16th To 22nd April 1980), P4.

(2) حسن عيسى عبد الظاهر، بين الدعوة السلفية دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب و بين الدعوة الفلانية دعوة الشيخ عثمان دان فوديو،مجلة التربية، الكويت، ص32.

(3) B. G. Martin، Unbelief in the Western Sudan، 'Uthmān dan Fodio's "Ta'līm al-ikhwān", Vol. 4, No. 1, Middle Eastern Studies, 1967, pp64-74.

(4) Ibid, p76-77.

وقد بين الشّيخ عثمان بن فودي أنّه انتفع بكتبه حيث يقول:" قلت قد وقفنا بحمد الله تعالى على بعض تواليفه، وانتفعنا بها، منها كتاب المسائل الذي ألّفه لأسكيا، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح ورسالته الّتي ألّفها لأبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كنو، وغيرها جزاه الله عنّا الخير، وجمعنا معه في علالي جنّات الفردوس، آمين."[1]، كما ذهب بعض المؤرّخين من الغرب والعرب[2] إلى فكرة ذهاب الشّيخ عثمان إلى الحجّ وبالتّالي تأثّره بالحركة الوهّابية في الحجاز، ولما رجع إلى بلاده رجع متحمّساً ، فقام بحركته الإصلاحية والجهادية، لكنّ كل الدّلائل تثبت بأنّ الشّيخ عثمان بن فودي لم يذهب إلى الحجّ ومن ثمّة استبعاد التقائه بالشّيخ محمد عبد الوهّاب[3]، وكذا علماء الحجاز.

وقد أورد الآلوري في كتابه تاريخ الإسلام في نيجيريا أدلّة على ذلك منها[4]:

أن الشّيخ عثمان لم يغادر حدود بلاده، ولو أنّه ذهب إلى الحجّ كما يزعم البعض لكان ذلك موجوداً في كتاباته، أو على الأقل كان قد كتبه ممن سجّلوا تاريخ حياته ، وأنّ منهج الرّجلين يختلفان تماماً فالشّيخ عثمان مالكي المذهب، صوفي على الطّريقة القادرية، أمّا الشّيخ محمّد عبد الوهاب فهو سلفي على المذهب الحنفي، كما أنّ موقفه من التّصوف والصّوفية واضح و بالتّالي فهو لا ينتمي لأيّ طريقة ، والأمر الآخر نجده في كتابات الشّيخ عثمان ، حيث لم ترد أيّة إشارة ل دعوة الشيخ محمّد عبد الوهاب أو لذكر اسمه، بينما

(1) Ibid, p77.

(2) ونذكر من الكتاب العرب والغرب :عبد الفتاح الغنيمي، أحمد شلبي، عبد الرحمن زكي، احمد حسن محمود، توماس أرلوند و غيرهم

(3) الإمام محمد بن عبد الوهاب (1115 – 1206هـ) صاحب الدّعوة الإصلاحية في نجد "الوهابية" ولد في بيت علم ودين في بلدة العيينة حيث كان والده قاضي العيينة، وكان الشّيخ قوي الذهن فحفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثم درس الفقه الحنبلي، ثم رحل في طلب العلم في الحجاز والعراق، وعاد إلى نجد سنة1139هـ، وكان حريصاً على إصلاح الأوضاع في نجد بعد أن انتشرت الخرافات وعُبدت القبور، وكان له ما أراد بعد أن وقف بجانبه محمد بن سعود أمير الدرعية وأبناؤه، حتى اتسعت الدعوة والدولة لتشمل نجد وغالب الجزيرة العربية، بل تأثر بها كثير من المصلحين في العالم الإسلامي. انظر الكتب الّتي ألّفت عن الشيخ ومنها:المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر النجدي، تح عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز،1983 .أحمد بن حجر آل بو طامي "**الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفيّة** ، طبع ونشر الحكومية السعودية1395هـ.

=

(4) آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص99 و ما بعدها.

تجلّيات فكر المغيلي وفتاويه واضحة في العديد من مؤلّفات الشّيخ عثمان، وحتّى في كتابات أخيه عبد الله وابنه محمّد بلّو، بالإضافة إلى أنّهم يذكرون المشايخ الّذين نقلوا عنهم كابن الحاج صاحب المدخل والأزرق والإمام السّيوطي والشّيخ محمّد المختار الكنتي عدم تزامن انتشار الحركة الوهّابية في شبه الجزيرة العربية نفسها وجهاد الشّيخ عثمان الّذي كان في ذروته.

هذه الأدّلة وغيرها ترجّح عدم ذهاب الشّيخ عثمان بن فودي إلى الحجّ، وإن كان الحجّ فريضة من فرائض الإسلام وأمراً واجباً على كلّ مستطيع، ومهما يكن فإنّ الشّيخ كان يحثّ عليها إلاّ أنّ الظّروف كانت غير مواتية لأدائه هذه الشّعيرة.

4- المصادر المغربية لحركة عثمان بن فودي:

رغم وجود نقاط التقاء كثيرة بين حركتي محمّد الوهّاب في الحجاز، وحركة عثمان بن فودي في بلاد الهوسا، إلاّ أنّ الأدلّة الّتي ساقها عبد الله آدم الألوري عن عدم تأثّر عثمان بن فودي وحركته بالحركة الوهّابية تبيّن عكس ذلك[1]، والأدلّة القويّة الّتي تدعم موقف عدم وجود أيّة صلةٍ بالتّيار السّلفي الوهّابي، إنّما ترجع إلى منابع أخرى قريبة من ثقافته الّتي تجمع بين العقيدة الصّحيحة، وتشبّثه بالسّنّة النّبوية، والمذهب الفقهي الوسطي من جانب والتّربية الرّوحية الصّوفية البعيدة عن الغلوّ من جانب آخر، فهذه المنابع ما هي إلاّ نتاج علماء كبار من بلاد المغرب الإسلامي، ساهموا بمؤلّفاتهم في نشر عقيدة الإسلام ومبادئ، والسّنّة النّبوية الشّريفة، وهذا ما أكّدته مؤلّفات الشّيخ عثمان بن فودي، ورجال حركته وعلمائها، الّتي لا تخلو من الاستشهاد بهم وبشكل مكثّف، ومن جهة أخرى وضوح التّأثير الّذي تركه هؤلاء العلماء بأفكارهم القويّة[2]، ومن أشهر هؤلاء العلماء من القطر المغربي نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن خلدون، وأبي عبد الله بن الحاج العبدري الفاسي صاحب المدخل الذي احتج به كثيراً واستدلّ بكتاباته[3]، والشّيخ أحمد زروق، والقاضي عياض، والونشريسي صاحب المعيار، وابن أبي زيد القيرواني صاحب الرّسالة، وسحنون

---

(1) نفسه، ص ص99-102.

(2) عبد العلي الودغيري، المرجع السّابق ، ص ص74-76

(3) عثمان بن فودي، نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير ،مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث، جامعة المنصورة1990، ص24.

صاحب المدوّنة في الفقه المالكي، وأحمد المقرّي، وأحمد بن عبد الله الزّواوي أبو العباس الجزائري صاحب اللاّمية المشهورة القصيدة الجزائرية في العقائد [1]، والجزولي في شرح الرّسالة و عالم تلمسان الفقيه والمحدّث محمّد بن يوسف أبو عبد الله صاحب العقيدة الكبرى، الوسطى الصّغرى [2]هذا فضلاً عن علماء الصحراء والسّودان الغربي أمثال أحمد بابا التّمبكتي، والمختار الكنتي وجبريل بن عمر وغيرهم كثير.

لقد كانت هذه هي المصادر الدّينية والعلمية الّتي نهل منها الشّيخ عثمان العلوم واعتمد عليها في تنظيراته و كتاباته المختلفة، ولا ننسى أنّه اعتمد أيضاً على بعض المصادر المالكية المشرقية.

5- تأثير المغيلي على حركه الشّيخ عثمان بن فودي:

إنّ التّراث الإصلاحي الّذي اعتمده عثمان في مواعظه كان منطوياً أيضاً على جذور مغاربية. ففي

القرن الخامس عشر كان المغيلي قد شَجب جملةً من الممارسات الفاسدة وغير الإسلامية في منطقة إفريقيا جنوب الصّحراء . أدان الضّرائب غير الشّرعية و عمليات الاستيلاء على الممتلكات الخاصّة، واستهجن سلسلة الممارسات والشّعائر الوثنية ، وناهض العلماء و رجال الدّين المرتشين المرتزقة المنخرطين في خدمة الحكّام، هذا مع جهلهم الكبير للّغة العربية ولأصول الشّرع الإسلامي. دعا المغيلي إلى تطبيق الشّريعة من قبل حاكم قوي ملتزم بالإسلام وأدخل إلى إفريقيا الغربية مفهوم التّجديد، وقام عثمان بن فودي حاذياً حذوه بانتقاد حكام الهوسا على جملة المكوس (الضّرائب) غير العادلة وغير الشّرعية، وعلى مُصادرة الأملاك، وعلى الخدمة العسكرية الإلزامية، وعلى الرّشوة، وعلى تلقّى الهدايا وعلى استعباد المسلمين كذلك وجه سهام نقده إلى هؤلاء الحكّام بسبب إهمال الرّعية وكذا عبادة الأوثان والإيمان بقدرة الطّلاسم والرّجم بالغيب (التّنجيم)[3] .

تعتبر حركة الفوديين الممثلة في الشّيخ عثمان بن فودي قد اتّبعت أسلوب المغيلي في حركته الإصلاحية التي بدأها وهو في العشرين من عمره، سالكاً في دعوته أسلوب التّدريس والوعظ الّذي انتهجه

(1) نفسه، ص62-71.

(2) نفسه، ص24.

(3) أيرا م . لابيدس، تاريخ المجتمات الاسلامية، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، لبنان2011،ص696-697.

الإمام المغيلي في رحلته للسّودان الغربي والتّكرور، ومتّبعاً مناهج مُعلّميه وأسلافه الأوائل، وبذلك كثر أتباعه لتدخل دعوته الإصلاحية مرحلة التّحرك نحو قصر السّلطان، فدرّس فيه أكثر من خمس سنوات إذا كان المغيلي قد ألّف العديد من الكتب في مختلف العلوم كالفقه، والحديث، والتّفسير، والمنطق، واللّغة، والسّياسة الشّرعية ،فإنّ أربعة من مؤلّفاته استثارت منظّري الدّعوة الفودية، وهي الرّسائل الثّلاث الّتي ألّفها خلال إقامته في السّودان الغربي بطلب من بعض حكّامها، و رسالته الرّابعة الّتي ألّفها في نازلة يهود توات.

فإذا عدنا إلى مؤلّفات عثمان بن فودي، نجده اعتمد اعتماداً كلّياً على كلام وأفكار المغيلي، ففي كتابه سراج الإخوان في أهمّ ما يحتاج إليه في هذا الزمان ، الّذي قسّمه إلى عشرة فصول نقل في تسعة فصول منها كلام المغيلي في أجوبته للأسقيا ،فلو حذفنا هذه النّقول المغيلية لما بقي سوى بعض فقرات أو تعليقات، أو أداة ربط بين الكلام. وفي رسالةٍ أخرى لابن فودي بعنوان تنبيه الإخوان على أحوال أرض السّودان حيث خصّص الفصل السّادس في هذه الرّسالة لذكر وصيّة المغيلي لمحمّد بن يعقوب أمير كانو أمّا في رسالته وثيقة أهل السّودان وما شاء الله من الإخوان فهي عبارة عن تلخيص لرسالته الخاصّة بشؤون الرّعية والإمارة. وفي كتابٍ آخر له وهو حصن الإفهام من جيوش الأوهام فقد نقل كلام المغيلي في عدّة مواضع .وفي كتاب آخر وهو أصول العدل لولاّة الأمور وأهل الفضل فقد لخصّ فيه ما جاء في رسالة الإمارة للمغيلي، وكلام الغزالي من كتابه التبر المسبوك في نصيحة الملوك حيث عمل على تلخيص الأبواب الثّمانية الّتي تتألّف منها رسالة المغيلي في نصحه لأمير كانو، وفي رسالته المسمّاة: مسائل مهمّة يحتاج إلى معرفتها أهل السّودان، ينقل أيضاً من أجوبة المغيلي لأسرقيا في مواضع متفرّقة ويحتجّ بأقواله وآرائه[1].

لقد تجاوز تأثّر ابن فودي بالمغيلي النّقولات من كتبه، إلى الاقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع، وإلى العمل بآرائه والاقتداء بأفكاره لتدعيم مواقفه.هذا و كان يقلّده في كتاباته فقد كان المغيلي يختم كلّ فصل من رسالة الإمارة بعبارة يكررّها هي: " ورأس كل بليّة احتجاب السّلطان عن الرّعية"، وكذلك ابن فودي كان يختم كلّ فصل من رسالته إحياء السّنّة وإخماد البدعة بعبارة أخرى وهي"اللّهم وفقنا لإتّباع سنّة نبيّك

(1) حسن عيسى عبد الظاهر، المسائل المهمة التي يحتاج إلى معرفتها أهل السودان لأمير المؤمنين الشيخ عثمان دان فودي مجلّة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع3، 171،1984-201.

صلّى الله عليه وسلّم بجاهه عنده"[1] .

المبحث الرّابع: تأثير الطّريقة القادرية:

1- الطّريقة القادرية:

يكاد التّصوف في هذه البلاد يكون ضرورة لكلّ مسلم، فما من مسلم إلاّ وتجده قد اتّخذ طريقة صوفية منهجا في حياته، وهذا ما جنت عليه المنطقة منذ القرن الخامس عشر ميلادي [2]، فالطّريقة هي أسلوب عملي ويطلق عليها أيضا المذهب والرّعاية والسّلوك؛ لإرشاد المريد عن طريق اقتفاء أثر طريقة تفكير وشعور وعمل تؤدّي من خلال تعاقب مراحل المقامات في ارتباط متكامل [3]، وفي هذا الإطار تندرج الطّريقة القادرية [4]الّتي انتشرت في شمال افريقيا، خاصّة في المغرب الأوسط الجزائر و تونس، كما انتشرت معها الطّريقة الشّاذلية[5]، حتّى كانت الطّرق تنتسب إلى إحدى الطّريقتين، ومن الجزائر امتدت عبر واحات توات إلى إفريقيا جنوب الصّحراء[6].

---

(1) عثمان بن فودي، إحياء السنة و إخماد البدعة، المصدر السابق.

(2) حسين عيسى عبد الظّاهر، المرجع السّابق، ص379. أنظر أيضا، Paul Marty, Études sur l'islam et les tribus du Souda, Tome 1 , Éditions Ernest Leroux , paris, 1920,pp1-20.

(3) سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، 1994، ص 26.

(4)الّتي تنسب إلى مؤسّسها الشّيخ أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى ينتهي نسبه إلى عليّ بن أبي طالب و فاطمة الزّهراء رضي الله عنهما، و نسبته الجيلاني ولد في جيلان سنة 471هـ/1078م له عدّة مؤلّفات منها الغنية لطالبي طريق الحق، فتوح الغيب، و الفيوضات الرّبانية،و الأوراد القادرية، و الكبريت الأحمر الصّلاة على النبي، و مراتب الوجود، و الرّسالة الغوثية، و سرّ الأسرار، وجلاء الخاطر من كلام الشّيخ عبد القادر، حزب إرجاء و الانتهاء، و يواقيت الحكم، و تحفة المتّقين و سبيل العارفين. عثمان بن فودي، تبشير الأمة الأحمدية، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم2، المرجع o/r6 ، عماد عبد السّلام رؤوف، الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ط1، ،مطبعة الإرشاد، بغداد، ج1، 1974، ص ص7 .

(5) الطّريقة الشّاذلية، تنسب إلى مؤسّسها الشّيخ أبي الحسن الشاذلي(939هـ/1532م) و كان قد ظهر في مصر و برز في مريديه في المغرب الشّيخ أحمد زرّوق (963هـ/1493م)، ثم محمد نار الدرعي(1036هـ/1626م) و بهذين الشّيخين تمر السّلسلة الشنقيطية، وذكر صاحب شجرة النّور الزّكية أن محمّد الشنقطي أخذ عن الشّيخ زروق مباشرة و أخذ عنه أبو الرّضاء رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي المتوفّى 9911هـ و عليه يحتمل تزامن دخل الطّريقة الشّاذلية مع الطّريقة القادرية. أنظر خليل النّحوي، مرجع سابق، ص122.

(6) حسين عيسى عبد الظّاهر، المرجع السّابق، ص387.

ولمهامها المتعدّدة ودورها في توعية المجتمع فقد كان للزّوايا الصّوفية مكانتها العالية وسلطتها الروحية الكبيرة، وقد ارتبط انتشار الإسلام في شمال افريقيا و غربها بانتشار الطّرق الصّوفية وعلى الأخص الطّريقتين القادرية والتّجانية، وقد زاد عدد أتباع الطّرق الصّوفية خصوصا التّجار منهم، وقام اتباع هذه الطّريقة بدورا ديني وسياسي وثقافي هامٍّ، ساهم في الازدهار الحضاري للمناطق التي انتشرت فيها، وارتبط التّصوف بالعلم و كانت المحاضر [1] مقرّه الأساسي، وكانت معها الزّوايا الصّوفية كمكان هامٍّ لتدريس مختلف العلوم الإسلامية كالحديث والفقه والتّفسير وعلوم اللّغة إلى جانب تدريس السّيرة النّبوية والتّاريخ الإسلامي [2]كما أصبح التّصوف يمثّل نشوة دينية يتقرّب بها المجاهدون إلى الله واللّجوء إليها لمحاربة الاستعمار [3]، كما أدّت الطّرق الصّوفية دورها في نشر الثّقافة الإسلامية، ويحسب لها أيضا دورها الفعّال في مقاومة الاحتلال الأوربي الّذي حلّ بالمنطقة طامعا في ثرواتها[4].

2- انتشارها في غرب افريقيا:

تعتبر الطّريقة القادرية من بين أهمّ الطّرق الصّوفية الكبرى الّتي انتشرت انتشاراً واسعاً في أجزاء كبيرة من قارة افريقيا، بل كانت أسبق الطّرق الصّوفية في كلّ السّودان الغربي لنشر الإسلام وتثبيت دعائمه [5] وكان لهجرة قبائل كنتة من مراكزهم بمنطقة توات خلال القرن الخامس عشر وانتقالهم إلى ولاّتة [6] ثم تمبكتو أثره البالغ في نشرها نظراً للدّور الدّيني والقيادي البارز الّذي قامت به هذه القبائل، حيث أسهموا في نشر هذه الطّريقة، وفضلا عن ذلك ساهموا في نشر الدّين الإسلامي [7]، وحيثما وصلت موضعا أقامت فيه

---

(1) المحاضر مفردها محضرة مكان تعليم القرآن.

(2) الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية و الثقافة، تونس1987، ص 120.

(3) محمد حوتية، توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة و الثامن عشر و التاسع عشر للميلاد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص177.

(4) شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال و غرب افريقيا الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر2012، ص61.

(5) عبد القادر زبادية، دراسة عن تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، المرجع السّابق، ص231.

(6) تقع ولاتة إلى الشمال الغربي من تمبكتو، ومعناها الأرض المرتفعة، من أسمائها " بيرو " وهي حاليا من مدن جمهورية موريتانيا الاسلامية، كانت مركزا تجاريا كبيرا، إلى جانب الازدهار العلمي، حيث وفد إليها العلماء والتجار من كل النواحي من أهل مصر وفزان وغدامس وتوات ودرعة وفاس وسوس وغيرها ثم تحول النشاط عنها إلى تمبكتو"، انظر أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج6 ، 1983، ص198.

(7) R.H.Trimingham, A History of Islam in W.A ,p156-60.

فيه مسجداً، والّذي يعتبر مركزا أساسي لتعلم أمور الدّين والعبادة [1]، ومع بداية القرن التّاسع عشر كانت الطّريقة القادرية تسيطر على الحياة الفكرية والرّوحية في أكثر نواحي افريقيا الغربية مما ساعد على نشر الإسلام بشكل أوسع وأسرع فكان دخوله من حالات فردية إلى حالات جماعية [2] وتعتبر الطّريقة الوحيدة في غرب افريقيا من حيث الانتشار لتأتي بعدها الطّريقة التّيجانية[3].

وممّا يجدر ذكره أنّ أتباع الطّريقة القادرية قاموا بدورهم في نشر الإسلام في غرب افريقيا، فكانوا خير سفراء لحضارة العربية الإسلامية، كما انّه قد برهن دعاة القادرية على أنّهم أوفياء لأهمّ المبادئ الّتي كانوا يعملون بها في حياتهم، والّتي تقوم في مجملها على حبّ الجار والتّسامح وغيرها من الصّفات الكريمة الّتي يتميّز بها الإنسان المسلم المتصوّف [4]، وقد قام رجالها المتزعمون باسمها من فولانيين وسراكوليين وماسنيين بحركات الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين [5]، وكان أروع تحقق لهذه الطّريقة هو جهاد الهوسا في القرن التّاسع عشر بوحي من عثمان بن فودي[6]، حيث وصلت الطّريقة القادرية إلى ذروة انتشارها بين خلفاء سوكوتو الّذين قاموا بدور كبير في نشرها بعد إسلام الوثنيين [7].

3- فروع الطّريقة القادرية:

تفرّعت الطّريقة القادرية إلى عدّة فروع من أهمّها:

أ- الطّريقة القادرية البكّائية:

تنسب إلى مؤسّسها الشّيخ سيدي أعمر بن الشّيخ سيدي احمد البكاي، كانت له أسفار متكرّرة نحو

(1) حسين مؤنس، الطرق الصوفية و أثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، ط27.
(2) أحمد شلبي، المرجع السّابق، ص212.
(3) سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية1994، ص 178.
(4) ارنولد توماس، المرجع السابق، ص365، 366.
(5) عبد القادر زبادية، دراسة عن تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، المرجع السّابق، ص231.
(6) إيوان ميردين لويس، الحدود القصوى للإسلام في إفريقيا وآسيا، ضمن تراث الإسلام، بإشراف، شاخت وبوزوروث، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1978، ص 141.
(7) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ، الإسلام و الحضارة العربية في نيجيريا، القاهرة1958، ص ص 200-225.

الشمال، ومن جملة من لقية الشّيخ عبد الكريم المغيلي الّذي أخذ عنه أوراد الطّريقة، وقد بلغت ذروتها في عهد الشّيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1226هـ/1821م)[1].

ب- الطّريقة القادرية المختارية:

وتنسب هذه الطّريقة إلى الشّيخ سيد المختار الكنتي (ت 1226هـ/1821م)، ثم تولى قيادتها من بعده ابنه سيدي محمد الّذي قام بنشر القادرية في أجزاء كبيرة من بلاد غرب افريقيا، وعنه اخذ الشّيخ سليمان من علماء أولاد ديمان، والشّيخ أحمد بن حبيب الرحمن من تندغة [2]، قامت هذه الشّعبة على منهج شامل لحياة التّصوف، حيث درست أهمّ العلوم الصّوفية:" الصّبر، الخوف، الحب، الورع التّقوى"واهتمت بالعلوم الدّينية كالفقه والتّفسير والحديث، وقامت بتخريج الكثير من أبناء افريقيا حيث رجعوا إلى بلدانهم ليقوم كل واحد منهم بتعليم أبناء وطنه [3]

ج- الطّريقة الفاضلية:

أما الشّعبة الفاضلية فمؤسّسها الشّيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي(ت 1297هـ/1879م) كان يقيم في منطقة الحوض ثم انتقل إلى أدرار شمالي مدينة شنقيط فاتّخذ منها مقراً له، وقد سلك سياسة رشيدة حيث وزّع أبناءه في أنحاء البلاد فكان كل واحد منهم منهج، ومنطقة نفوذ خاصّة به [4]، هذا ليضمن إيصال الخطاب الصّوفي للطّريقة وتثبيت مدرستها في كافة أنحاء بلاد شنقيط (موريتانيا حاليا) وتأسيساً لآرائه و علومه ونشرها، وتعليمها للنّاس[5]، و قد انتشرت الطّريقة القادرية بفضله انتشارا كبيراً[6]

4- دور قبيلة كنتة:

---

(1) الخليل النحوي، المرجع السّابق، ص121

(2) نفسه، ص 121.

(3) عبد الحكيم عبد الغني قاسم،المذاهب الصوفية و مدارسها، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة،1999، ص180.

(4) الخليل النحوي، المرجع السّابق، ص ص121-122.

(5) نفسه، ص ص121-122.

(6) محمد الغربي، المرجع السّابق، ص562.

كان للحماسة الدّينية دور في دفع الحركات الدّعوية في غرب افريقيا، مما أدي إلى نجاحها وانتشارها والّتي حملت طابعاً سلمياً حملت معها أثراً بالغاً في نشر الإسلام على نطاق واسع خاصّة بين القبائل الوثنية[1]، وهذا ما اعتمده دعاة القادرية من وعظ وإرشاد وتعليم، ونشر الثّقافة الإسلامية مستلهمين ذلك من مختلف المؤلّفات الّتي ألّفها زعماء القادرية باللّغة العربية[2]، ويمكن القول أنّ سيدي الشّيخ المختار الكبير الّذي برز في الفترة 1726-1811م له الفضل الكبير توسيع انتشارها بالسّودان الغربي حيث نجحت في كسب قلوب الكثيرين، وقد ركز الشّيخ المختار الكبير على أهمّية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والحثّ على جهاد الكفّار، وفتح باب الاجتهاد، وأوصى بتحلّي سلوك الرّفق واللّين[3]، وحسب ما سجّله الكنتيون كان على المريد في الطّريقة القادرية أن يتحلّى بأربعة أشياء: إتباع الرّسوم وترك الإعراض ودوام الملازمة والسّعي في الأغراض وبها يعرف قدر صبره، ومنها يمتحن في مختلف السّلوكات والآداب [4] وبفضل جهود الشّيخ المختار الكبير لم تصبح الطّريقة القادرية مجرد طريقة فقد هيمنت على المنطقة إلى غاية النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر ميلادي[5].

امتدّ نشاط الطّريقة القادرية إلى بلاد الهوسا، وكان الاتّصال بين الشّيخ المختار الكبير وقادة الجهاد الفولاّني عثمان بن فودي (ت 1817)، وابنه محمّد بلّو (ت 1837)، وشقيقه عبد الله بن فودي (ت 1828)، على ما يبدو قد تمّ في المقام الأوّل من خلال تلاميذ الشّيخ المختار الكبير، الّذين جاؤوا من بلاد الهوسا، وكانوا من الّذين يتردّدون على تلك المنطقة للتّجارة أو الدّعوة، ومن هؤلاء التّلاميذ ثلاثة أسماء: ألفا نوح ابن الطّاهر الفولاّني الماسني، والإمام الصّوفي الحاج محمّد العافية، وسيدنا وهيب الأموي وكان الشّيخ ألفا نوح حين إقامته في سوكوتو قد لقّن الشّيخ عثمان بن فودي الأوراد القادرية المختارية

---

(1) أرنولد توماس، المرجع السّابق ،ص 370.

(2) مجموعة مؤلفين الإسلام و المسلمون في إفريقيا و آسيا، دار الفكر العربي، القاهر2008، ص 7.

(3) Usman Muhammad Bugaje، Op.cit, P 212.

(4) محمد حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الهجري ق18-19م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر،2008، ص 241.

(5)Usman Muhammad Bugaje، Op.cit, P 170.

وأجازه عليها[1]، ويبـدو أنّه من خـــ لال هؤلاء التّلاميذ جاءت كتابات وتعاليم الشّيخ المختار الكبير في أشعار وكتابات قادة الجهاد الفولاّني[2]

كما أن محمّد بلّو أخذ أوراد وأحزاب القادرية عن قاضي آمودي الشّيخ الحاج محمد العافية وهوّ أخذها عن الشّيخ المختار الكبير ثم أجازه عليها، وقد ذكر محمد بلّو في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ التكرور ورد الشّيخ عثمان وهو ما يسمى بورد السّلسلة القادرية الّذي لقّنه لأتباعه من المريدين [3]، لقد كان تلقّى قادة الجهاد أوراد السّلسلة القادرية من الشّيخ المختار الكبير عن طريق تلاميذته، أن أصبحوا قادريّين ومداومين على أورادها، وقد امتدحوه في قصائد عديدة و طلبوا منه الدّعاء لهم[4]

وعلى ذلك تبيّن أنّ الدّور الكبير لجماعات القادرية يعتبر من النّماذج الإسلامية الّتي جعلت الصّوفية سمة حضارية وثقافية باعتبار ما شيّدوه من دول، وما أسّسوه من مدارس وما فتحوه من بلدان خير دليل على ما قدّموه سبيلا في خدمة الإسلام في غرب إفريقيا[5].

---

(1) B. G. Martin, Op.cit, p 77.

(2) Abdal-Aziz Abdallah Batran, Sidi al-Mukhtar 'al-Kunti and the recrudescence of Islam in the Western Sahara and the Middle Niger c. 1750-1811, Ph. D. Thesis submitted to the University of Birmingham, Centre of West African Studies, 1971, pp345-346.

(3) محمد بلّو، المرجع السّابق، ص ص222-224.

(4) نفسه، ص ص220-221.

(5) مجموعة مؤلفين، الاسلام و المسلمون في افريقيا و آسيا،المرجع السابق، ص7.

6- الشّيخ عثمان بن فودي والطّريقة القادرية:

ثبت أنّ الشّيخ عثمان بن فودي على الطّريقة القادرية ولم يرغب في غيرها [1]، ويبدو تقبّله لهذه الطّريقة كانت في أكثرها مسألة اختيار شخصي روحي دفعه التّفاني في أيّ فرع من فروع الطّريقة[2]، فقد ألّف الشيخ العديد من الكتب التّربوية عندما كان في سيفاوا Syfawa الّتي تتحدّث عن منهج القادريين وسلسلتهم[3]، ومن مؤلّفاته في القادرية السّلاسل الذهبية، و السّلاسل القادرية، و تبشير الأمة المحمدية بفضائل الطّريقة القادرية، وكان جميع مشايخ ابن فودي و إخوته و تلاميذه منتسبين للقادرية، فكان لابنه محمّد بلّو كتاب مفتاح السّداد ، وللوزير غطاط بن ليم في ذلك كتاب أسماه المواهب الرّبانية في تحقيق الطّريقة القادرية.

وقد ساعدت هذه المؤلّفات الشّيخ عثمان على جعل الطّريقة القادرية أكثر انتشاراً في غرب افريقيا، بالتّصدي للبدع والخرافات، كما توجّه أتباع الطّريقة بقوّة للدّراسة والتّعلم للقضاء على الجهل، وصارت زواياها بمثابة مراكز للذّكر والصّلاة إلى جانب التّعليم، وزاد شأنها حيث أصبحت مصدراً لفتاوى التّشريع الإسلامي[4].

8- سند الشّيخ عثمان في الطّريقة القادرية:

تحدّث الشّيخ عثمان بن فودي في كتابه تعليم الإخوان عن سنده في الطّريقة القادرية المتّصل بالشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي حيث يقول:" ونريد أيضا أن نختم هذا الكتاب بذكر سندنا المتّصل إليه رضي الله تعالى عنه الّذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أحمد بن أبى بكر الكنتي الأموي، وهو سند ورد السّلسلة القادرية أجازني به الشّيخ العالم نوح وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور، وهو عن شيخه سيدي الشّريف علي بن أحمد وهو عن شيخه سيدي أبى النقاب السّيد الأمين لقب به لكونه يتلثّم

---

(1) عبد الله الآلوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية، المرجع السّابق،ط284 .

(2) Ralph A Austen ، Trans-Saharan Africa in World History ,Oxford University Press, New York, 2010. P92.

(3) علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص89.

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطّرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مبدولي، 1990، ص 46.

وهو عن شيخه أبيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه سيدي الرّقاد، وهو عن شيخه سيدي أحمد الفيوم، وهو عن شيخه سيدي عمر بن سيدي أحمد البّكاي، وهو عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله تعالى عنه"[1]. وبهذا السّند القادري يدرج الشّيخ عثمان بن فودي نفسه في سلسلة القادريين الّذي ينتهي بأحد علماء المغرب الإسلامي المتمثل في الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني.

وخلاصة الفصل أنّ بلاد المغرب الإسلامي كانت رافدا حضاريا، لإفريقيا جنوب الصحراء، وجسراً ناقلاً للإسلام واللّغة العربية، ومختلف فنون العلم الأخرى كالحديث والفقه والتّفسير، وقد تأثّرت بلاد الهوسا بكلّ ما هو مغربي بفضل علمائها الّذين وصلوها في فترات مختلفة لنشر الإسلام، وبثّ العلوم من أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الّذي أصبح قدوة في هذه البلاد، وبفضل التّصوف في الشّمال الإفريقي تكوّنت الطّرق الصوفية، ومنها الطّريقة القادرية التي أصبحت أكبر الطّرق انتشارا في افريقيا، وكان انتقالها من الجزائر عبر واحاتها بتوات إلى الجزء الغربي منذ القرن الخامس عشر ميلادي وزاد انتشارها عن طريق قبيلة كنتة وكان لها الأثر البالغ في نشر الإسلام في ربوع السّودان الغربي ومن أبرز شيوخها المغيلي وسيدي المختار الكنتي وأحمد البكاي، وحمل لواءها من بعدهم في القرن التّاسع عشر الشّيخ عثمان بن فودي الّذي يتّصل سنده في القادرية إلى الشّيخ عبد الكريم المغيلي، كما قاد الجهاد في بلاد الهوسا، وكثر أتباعه من القادريين الّذين تعلموا أورادها. وهكذا كانت شخصية عثمان بن فودي مبنية على أسس تكوينية متينة ومنطلقات صحيحة، بها ارتسمت أبعادها ونما فكره ومنهجه التّعليمي والدّعوي الإصلاحي.

- ما هو منهجه التّعليمي وما دوره في نشر العلم ؟.
- ما علاقته بمجتمعه وبحكام وعلماء بلاده ؟.
- ما هي دوافع هجرته وجهاده ؟.
- ما هي أهم معاركه وفتوحاته ؟.

(1) B. G. Martin, Op.cit, p77.

هذه التّساؤلات نحاول معالجتها والإجابة عنها في الفصل الثّالث، بالوقوف على جهود الشّيخ وسعيه الحثيث في إصلاح مجتمعه ودعوته للحكام للعدول عن الفساد ونصحه للعلماء بالرّجوع إلى جادّة الصّواب.

الفصل الثّالث: حركة الشّيخ عثمان بن فودي وجهاده ضد ممالك الهوسا.

- المبحث الأوّل:

الحياة التّعليمية في عصر عثمان بن فودي.

- المبحث الثّاني:

علاقته بالمجتمع والعلماء والملوك.

- المبحث الثّالث:

الهجرة وتأسيس الجماعة.

- المبحث الرّابع:

بداية المواجهة العسكرية.

تعرّفنا في الفصل الثّاني على عوامل التّأثير والتّأثّر من انتشار الإسلام واللّغة العربية وتأثيرهما الكبير وكذا إسهامات الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وتأثيره في المنطقة، وعلاقة الطّريقة القادرية بالشّيخ عثمان بن فودي الّذي أصبح من أبرز زعمائها، وفي هذا الفصل سنتعرف على دور الشّيخ التّعليمي وعلاقته بمجتمعه وبملوك عصره ومنافسة العلماء له، ثم قيامه بالهجرة وتأسيس الجماعة، وإعلانه الجهاد وبدء معاركه ضدّ حكّام الهوسا.

المبحث الأوّل: الحياة التّعليمية في عصر عثمان بن فودي.

1- التّعليم:

لقد كان الشّيخ عثمان بن فودي مثل أيّ مجدّد آخر، بدأ مسيرته مع التّدريس والوعظ من أجل إعداد الأرضية لمهمته المقبلة، لأنّه يعلم بأنّ التّدريس والوعظ من الأساليب الخصبة جداً لإيصال رسالته إلى النّاس، وإعدادهم للجهاد القادم، وقد بدأ التّدريس والوعظ في سنّ العشرين في بلده ديجل عام 1188هـ/1774م برفقة شقيقه عبد الله بن فودي[1]، وفي بداية تعليمه لم يهتم بالوثنيين، بل ركّز على أولئك الّذين يخلطون إسلامهم بأعمال الوثنية، حتّى وصل إلى مرحلة انتقاد ممارسات حكّام الهوسا[2].

وكان المسلمون في هذه البلاد يذهبون إلى المراكز العلمية المنتشرة في السّودان الغربي، وبلاد المغرب فلمّا برز الشّيخ رجع النّاس إليه في أمور دينهم وقصدوه من كلّ جهة [3]، واتّصاله بالنّاس في مجالس العلم يعتبر فرصة لبثّ أفكاره ومبادئه كما يعتبر بداية لحركته الإصلاحية، وجعل الشّيخ يتنقّل في بلاد الهوسا يعلّم النّاس مبادئ الدّين الإسلامي الصّحيحة.

---

(1) Abba Idris Adam، Re-inventing Islamic Civilization in the Sudanic Belt، The Role of Sheikh Usman Dan Fodio, Volume 4, No. 6, Journal of Modern Education Review, USA, 2014, pp. 459.

(2) Jean Boyd، Distance Learning from Purdah in Nineteenth-Century Northern Nigeria، The Work of Asma'u Fodiyo, Journal of African Cultural Studies, Vol. 14, No. 1, Islamic Religious Poetry in Africa, 2001, p8.

(3) عبد الله آدم الآلوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية ، المرجع السّابق، ص 284.

2- أوقات التّدريس:

كان للشّيخ مجلسان للعلم، أحدهما للتّدريس يخرج إليه بعد صلاة العصر والعشاء، يدّرس التّفسير والحديث والفقه والسّلوك وسائر فنون العلم.و المجلس الآخر للوعظ والتّذكير يخرج له كلّ ليلة جمعة، ويحضره خلقٌ كثيرٌ، رجالاً ونساءً. كما كان يخرج إلى الآفاق القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ أيّاماً، ثم يرجع إلى بلده حتّى صار له صيت وشهرة، وصار يقصده الدّاني والقاصي [1]، فتصدّر التّدريس وبثّ العلم، وملأ هذا القطر معارف و طلاّب[2]، وتكوّنت من المستمعين إليه والحاضرين لمجالسه فئة منتظمة سمّاها الجماعة وهم النّواة الأولى الّتي بها صاروا أنصاراً لدعوته الإصلاحية[3].

3- المواد الدّراسية:

أ- دروس العقيدة:

لقد اجتهد الشّيخ عثمان بن فودي في تقويم مجتمعه حيث ميّز بين أهل السّنّة المقرّون بكلمة الإسلام ظاهراً وباطناً، وبين المنافقين الّذين يعملون أعمال الإسلام ويزورون أهل البدع والخرافات [4] فكان من الأولويات الّتي حرص عليها الشّيخ هو تصحيح العقيدة، فعقد لها مجالس التّدريس فأخذ يقرّر لهم أصول الدّين مبتدئاً بالإلهيات فيشرحها شرحاً مفصّلاً، ثُمّ ينتقل إلى النّبوات فيذكر أنّ الرّسل كلّهم صادقون أمناء مبلغون، ثمّ يتبعها بالسّمعيات فيذكر أنّ الملائكة حق، والكتب المنزّلة كلّها حق، وأنّ الموت حق، والجنّة والنّار حق، وقدّم على كل الأدّلة الشّرعية من الكتاب والسّنّة، ومن المميّزات الّتي كان يتمتّع بها أنّه كان يقدّم الدّروس بلغة الحاضرين كالهوسا والفولاّن[5].ويقرّر أنّ الإلهيات والنّبوات والسّمعيات أنّها من أصول

---

(1) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص 104

(2) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 66.

(3) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا المرجع السّابق، ص 104.

(4) عثمان بن فودي: تمييز أهل السنة ، تح: محمد مودي شوني، منصور إبراهيم، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013، ص 371.

(5) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص ص 75-79.

الدّين ويجب على كلّ مسلم أن يعتقدها كما جاءت، وبيّن أنّ من أسلم لا يكفر، ولا يساء به الظّن ما لم يظهر كفره بالقول أو الفعل(1).

ب- دروس الفقه:

يجلس الشّيخ عثمان لتعليم النّاس كلّ ما يتعلّق بأمور دينهم، ويُبين لهم فروض العبادات كالوضوء والغسل والصّلاة والزّكاة والصّوم. وفقه المعاملات كالبيع والنّكاح والميراث (2)، وكانت مجالسه لا تقتصر على الدّروس الفقهية البحتة، بل يوجه لهم النّصائح العامّة الّتي تدخل في صميم الدّين، وكان يحثّهم على طلب العلم النّافع لأنّه يرقى بهم في درجات الإيمان، وذلك عن طريق الاشتغال بتقوى الله، بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، والاشتغال بقراءة القرآن الكريم، والأحاديث النّبوية، وسيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وأخبار السّلف الصّالح(3).

4- طريقة التّدريس عند الشّيخ عثمان بن فودي :

كان للشّيخ مجلسان يعقدهما لتعليم النّاس، مجلس يعلّم فيه العامّة منهم، ومجلس آخر للخاصّة من تلاميذته، وهناك من العلماء الّذين يلازمونه في حلّه وترحاله لا يفارقونه، وتختلف المناهج والطّرق والأساليب والموضوعات الّتي ينتهجها للعامّة، عن تلك الّتي يدّرس بها للخاصّة، ويذكر ابنه محمّد بلّو الصّفة الّتي يتجلّى بها على من يعلّمهم أنّه إذا وصل إلى المجلس سلّم بسلام عام يسمعه جميع الحاضرين، وإذا صعد على الكرسي حيّاهم بتحيّة عامّة ثلاث مرّات، ببشاشة وطلاقة وجه، وحسن خلق ثم يحدّثهم بصوت عالٍ يسمعه الجميع(4). وهذا يدلّ على أن الشّيخ عثمان بن فودي كان يحرص على تربية النّاس من خلال أفعاله وأقواله والمعاملة الحسنة.

(1) حسين عيسى عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص ص 244- 245.
(2)محمد بلو، المصدر السّابق، ص ص 81-84.
(3) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص ص162.
(4) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 67.

5- محاربة البدع وإحياء السّنّة:

كثيرة هي البدع المحرّمة الّتي كانت منتشرة في بلاد الهوسا، وتفشّت بصورة كبيرة في عصر الشّيخ عثمان بن فودي، فبيّنها وبيّن حكم الشّرع فيها بتحريمها، وحثّ على عدم اتّباعها، وأفرد لها كتباً مثل كتاب بيان البدع الشيطانية الّتي أحدثها النّاس في أبواب الملة المحمدية حيث ذكر فيه جملة البدع التي انتشرت في بلاد الهوسا[1]، ومن هذه البدع الّتي أوردها في بعض مؤلّفاته الأخرى عدم التّفاؤل بالأيام هذا يوم صالح، وهذا يوم قبيح، وعدم الاشتغال بالشّعوذة مثل ما يسمّى بعلم الحروف، وإقامة الحدود ونصرة الضّعيف على القوي، والاستغناء عن حدّ الزّنا بدفع المال ورفض توريث المناصب الشّرعية للجاهل وغير الكفء، وكذلك لعدم قضاء فوائت الصّلاة، ويكثرون من النّوافل ظناً منهم أنّها من قضاء الفوائت، وعدم الاشتغال بالكهانة لتحصيل المغيّبات عن طريق أحكام النّجوم والفال، والقرعة، وأعمال ضدّ الحق وكذلك عدم التّبرك بالقبور والتّمسّح بها، وبناء المساجد عليها، والتّعصب في الدّين، وكثرة الجدال فيه بين العوام من النّاس، وعدم توريث المرأة، واستيلاء الكبير أو القوي على مال الورثة[2].

بذل الشّيخ عثمان بن فودي جهده في دعوة الوثنيين إلى الإسلام من جهة، وإلى دعوة المسلمين الرّجوع إلى الإسلام الصّحيح من جهة أخرى، وترك ما علق به من بدع ليست من الدّين خاصّة فيما يتعلّق بالعقيدة، والفروع، وجاء بأدلّة تحريمها من الكتاب والسّنّة، وعمل على إزالتها والقضاء عليها بالتّدريج لذلك نجده ألّف كتباً عديدة، تبيّن أحكام الدّين، وعمل على بثّها في البلاد وإيصالها للقريب والبعيد ليتجنّب النّاس ما ينافي الإسلام من عادات وتقاليد بالية، واتّباع ما يوافقه منها [3]، بالإضافة إلى محاربة البدع، فإنّ الشّيخ اجتهد في إحياء سنّة النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فعند محاربته التّبرك بالقبور والتّمسّح بها[4]

---

(1) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ،تح مالم أنس محمد يعقوب، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
(2) عثمان بن فودي، نور الألباب، المصدر السّابق، ص ص 63- 69.
(3) محمّد بن على بن محمّد السّكاكر، المرجع السابق، ص 263.
(4) عثمان بن فودي، نور الألباب، المصدر السّابق، ص 65.

وتعظيم الأشجار، والأحجار، نجده رغّب النّاس على زيارة القبور لأنّها تذكّر بالآخرة، والدّعاء لموتاهم، كما حثّ الحكّام على ترك المكوس، وتخفيض الضّرائب الجائرة، ودعا النّاس لدفع زكاة أموالهم لأنّها طهارة لهم، وفيها منفعة للبلاد والعباد، كما نجده ناهض جور الحكّام، وطالبهم بإقامة العدل والمساواة بين الرّعية بما يوجبه الشّرع.

6- قضايا المرأة:

عالج الشّيخ عثمان بن فودي عدّة قضايا في مجتمعه، منها قضايا تخصّ المرأة في شرفها وعرضها وكرامتها فحارب الكثير من البدع الّتي انتشرت في بلاد الهوسا في زمانه، وسمّاها بلوى مثل: اختلاط الرّجال بالنّساء في الأسواق والطرقات، وعدم احتجاب المرأة عن ما يحرم عنها وكشف عورتها، واجتماع الرّجال والنّساء للرّقص والغناء(1)، إلى غير ذلك من البدع الّتي حذّر الشّيخ من إتيانها، وشدّد على الابتعاد عنها لأنّها محرّمة وليست من الدّين.

7- تعليم المرأة:

ولأهمّية المرأة في المجتمع ركزّ الشّيخ اهتمامه بقضاياها أهمّها التّعليم، فلقد شاع في بلاد الهوسا ترك كثير من العلماء زوجاتهم وبناتهم وعبيدهم مهملة دون أن يعلّموهم ما فرض الله عليهم من عقائد، وأحكام دينهم من صلاة وصيام و غير ذلك ممّا أوجب الله عليهم، وقد نبّه الشّيخ لهذا الأمر الخطير، وحثّ العلماء على وجوب تعليم زوجاتهم وبناتهم، وعدم تركهم في ظلمات الجهل والضّلال، وذلك بتعليمهم أمور دينهم قبل تعليم طلاّبهم لأنّه نفل، وأنّ تعليم أهاليهم واجب ومقدّم على تعليم طلاّبهم. ثمّ وجّه الشّيخ نداءً للنّساء بأن لا يسمعن إلى أقوال الضّالين، الّذين يأمرونهنّ بطاعة أزواجهن دون أن يأمروهن بطاعة الله ورسوله(2)، والشّيخ لا ينكر وجوب طاعة الزّوجة لزوجها، ولكنّه قرنها بطاعة الله ورسوله (3)، ومن جانب

(1) نفسه، ص 66.
(2) نفسه، ص ص 62-63.
(3) نفسه، ص 63.

آخر دعا الشّيخ عثمان النّساء لحضور مجالسه للوعظ والتّدريس، لوجوب تعليمهم مثل الرّجال، دون اختلاطهم مع الرّجال، وقد لقي الشّيخ معارضةً شديدةً من طرف العديد من العلماء لإنكارهم خروج النّساء لمجالس العلم(1).

كان الشّيخ حريصاً على تطبيق ما يدعو إليه فقد أشرف بنفسه على تعليم زوجاته وبناته تعليما شاملا، فكنّ مربيات ومرشدات شاركن في عملية الدّعوة كالتّعليم والتّوجيه(2)، وبذلك أصبحت أسرة الشّيخ نموذجاً يُحتذى بها في مجال العلم، فقد كانت أُمّه وجدّته عالمتين، وبرزت من بناته العالمة أسماء الّتي ذاع صيتها في كلّ السّودان الغربي، حيث انتشرت كتاباتها وأشعارها باللّغة العربية وبغيرها، فقد ساهمت في نشر الإسلام، والثّقافة العربية الإسلامية من خلال المواضيع الّتي كتبت فيها مثل التّوحيد، والمدح الدّيني كذكر خصال النّبي محمّد صلّى الله علية وسلّم وصفاته(3).

المبحث الثّالث: علاقته بالمجتمع والعلماء والملوك.

1- علاقته بمجتمعه:

لقد كانت مجتمعات الهوسا في بداية القرن التّاسع عشر تعيش أوضاعاً متردّية، متشنّجة الأوصال تضمّ فئات متباينة العقيدة، والعبادات. بين والوثنية وكفرها، وبين من يزعمون الإسلام وهم من المقصّرين في دين الله، فتفشّت مظاهر الشّرك، وانتشرت البدع، وعليه بدأ الشّيخ مهمته بشكل دعوي، وهو ما أسماه في أدبيات الجهاد القولي، واتّسمت هذه المرحلة بالدّعوة والإرشاد، ورفع المستوى التّعليمي العام، ومستوى الوعي الاجتماعي العام، حيث بعث رسائلاً إلى كلّ سكان بلاد الهوسا يدعوها إلى الله، موضّحا أهمية الإسلام في إحياء الأمّة وخلاصها من مشاكلها الواقعية التي تعيشها (4). وهنا وضع قواعد يفرق بها بين

---

(1) عثمان بن فودي، إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، تح: مالم سراج موسى تلات مفرا، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013، ص 269.

(2) أحمد بوعتروس ، الحركات الإصلاحية في غرب افريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثّالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي ،دار الهدى ، الجزائر،2009، ص 139.

(3) Jean Boyd، Op.cit, p15.

(4) أحمد كاني، المرجع السّابق، ص73.

المسلم والكافر حيث يقول: أنّ الإسلام لا يتأكّد شرعاً إلاّ بإقرار بالشهادتين، والعمل بما تقتضيهما.وعدم إنكار المسلم لشيء علم في الدين ضرورته. ولا يستهزئ بدين الله بألفاظ الكفر، وألاّ يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر وأنّ من أنكر جميع ما سبق أو واحداً منها فهو كافر قطعا، وعندما نظر الشّيخ عثمان بن فودي إلى أحوال مجتمعه وجد النّاس فيه على ثلاثة أقسام حيث يقول:" اعلم يا أخي أنّ النّاس في هذه البلاد على ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : من يعمل أعمال الإسلام، ولا يظهر منه شيء من أعمال الكفر، ولا يسمع منه شيء مما يناقض الإسلام، مؤمنون عارفون بحقيقة التّوحيد فتأكّدت صحّة عقيدة هذا النّوع من النّاس. وهم الفئة القليلة.

القسم الثّاني: مخلط يعمل أعمال الإسلام، ويظهر أعمال الكفر، ويسمع من قوله ما يناقض الإسلام فحكم على هؤلاء بالكفر.

القسم الثّالث : هم الّذين لم يشمّوا رائحة الإسلام، فهؤلاء كفّار بالأصالة، ولا تجري عليهم أحكام الإسلام،لأنهم يجهرون بالكفر ويعبدون الأشجار والأحجار والجنّ، ولا يصلّون ولا يزكّون، وهم الغالبية"[(1)].

إذا كان حكم الشّيخ عثمان بن فودي على القسمين الأوّل والثّالث معروف، فقد حكم على القسم الثّاني بأنهم كفّار ولا تجري عليهم أحكام الإسلام [(2)].لإتيانهم ما يناقض الإسلام لا بمجرد معصيهم من استهزاء بالدّين والصّلاة بدون طهارة، واختلاط نسائهم بالأجانب، كما أنّهم لا يؤمنون بالبعث، ولا يوقّرون العلماء[(3)]، ورغم هذه الجهود إلاّ أنّ الشّيخ لقي متاعب ومشاكل كثيرة، وكان النّاس في زمانه على قسمين: قسم معتقد وهم الموفّقون من المهتدين الّذين دخلوا إلى دين الله، وكانوا على طريق الحق، والقسم الآخر وهم المنكرون له، من الّذين وجد منهم العداء والوشاية والحسد حيث أشاعوا عليه كل ما هو باطل ونسبوه للأهواء، والرّياء، لكنّه كان يصبر على جفاهم ويتحمّل آذاهم، ويعرض عن جهالتهم، ويتجاهل سوء مقالتهم، قائما بواجبه في نصحهم مجتهدا في إرشادهم ودعوتهم إلى الله، فكان يحاول الإصلاح

(1) عثمان بن فودي، نور الألباب، المصدر السّابق، ص ص 58-59.
(2) نفسه، ص 59.
(3) عثمان بن فودي، حكم جهاد بلاد الهوسا ،تح: سليمان موسى، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013، ص ص 25-26

بالدعوة والكلمة الطيبة [1]، لقد كان الشّيخ خير المعين والمرشد، فحمل النّاس إلى المنهج القويم بإرشادهم إلى إتّباع السّنّة المحمّدية واهتدى الكثير على يده، كما حملت مؤلّفاته معاني كثير فضلا عن معارفها ومقاصدها فقد جسدت معنى الأخوة وخطاباته دائما ما تبدأ بإخواني.... وعناوين كتبه وما تحمله من معاني جليلة كلها موجّهة لخير الأمّة وصلاحها مثل: تنبيه الإخوان...، سراج الإخوان...، تعليم الإخوان... إرشاد الأمة.

وبهذا يصدق على مجتمع بلاد الهوسا في عصر ابن فودي أن يسمّى مجتمعا اختلطت فيه العقائد الجاهلية بالإسلام، وهكذا تتبيّن لنا أنّ الحالة السّياسية والاجتماعية والدّينية في ذلك العصر قد بلغت من الانحطاط والفساد الحدّ الّذي هيّأ الظّروف لظهور حركة التّجديد والإحياء الإسلامي الّذي قام بها الشّيخ عثمان بن فودي.

2- علاقته بالعلماء:

لقد واجه الشّيخ في دعوته مصاعب كثيرة أهمّها وأبرزها ظهور فئة من العلماء المعارضين، حيث أبدوا له الجفاء و الأذية [2]، لجهل أو لحسد أو نصّبوا أنفسهم علماء على النّاس خاصّة تلك الفئة من العلماء الّذين كانت لهم صلة وثيقة بالحكّام ، فالعلماء الّذين من المفترض أن يكونوا هم حماة الدّين تحوّلوا إلى علماء البلاط و أعطوا مبرّرات لفساد الحكّام ، وباركوا أفعالهم المشينة باسم الدّين هذه الفئة من النّاس قد حكم عليها الشّيخ بالمرتشين، وقد وصفهم في كتابه وثيقة الإخوان بأنّهم أخطر من الشّيطان [3]، فقد كانوا على غير هدي يتّبعون العادات البالية منغمسين في الملذّات، والشّهوات مهملين أحوال الرّعية ويسعون بكل الطّرق الحفاظ على مكانتهم عند حكّامهم.

وفي كتابه فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر أسدل بيانه لصفات العالم ووظيفته في مجتمعه، ووضع له شروطاً لكي يعتدّ برأيه كالبلوغ، والعقل، وأن يكون فقيه النّفس، شديد الفهم بالطّبع

(1) محمد بلو، المصدر السّابق،ص 61.
(2) محمّد بلّو، المصدر السّابق،ص 63.
(3) Mukhtar Umar Bunza،Op.cit, p 4.

لمقاصد الكلام، وأن يكون عارفاً بالدّليل العقلي والبراءة الأصلية، وأن يعرف من الكتاب والسّنّة ما يتعلّق بالأحكام، وأن يكون ملماً بالبلاغة والنّحو والصّرف[1].

كما تحدّث الشّيخ عثمان بن فودي عن الانتصاب للتّدريس وقيّد له شروط منها ممارسة الكتاب والسّنّة ومعرفة بالعلوم الشّرعية، والإمكان منها، وبصيرة نافذة، وهمّة عالية، وحسن السّيرة ومن شروط كمال المتصدّر للتّدريس حسن النيّة، وموافقة القول بالعمل[2]، لأنّه انتشر أشباه العلماء وهو من المصائب العظمى، والفتن الكبرى الّتي ظهرت في البلاد السّودانية حيث تصدّر صنف من النّاس الجهّال مجالس العلم وهم ليسوا أهلا لذلك، تنزعهم نزعة شيطانية لطلب العلم والدّرجة والوجاهة عند الملوك، وأخذ أموال النّاس، وأخلطوا المنقول والمعقول، واستعطفوا عوام النّاس واستخفّوهم، وذلك ممّا يهدم الدّين ويفسده [3] وعارضه العلماء ولقي منهم الجفاء، وقد ناقش محمّد بلّو أسباب هذه المعارضة وأرجعها لسببين رئيسين هما والجهل والحقد[4]، هذا وفي المقابل فقد سانده علماء آخرون ووقفوا معه في مواجهة كل ما من شأنه يقف حائلا أمام دعوته.

3- حكمه على ملوك بلاد الهوسا:

لقد كان للشّيخ عثمان بن فودي مع ملوك الهوسا مواقف عديدة،كان لها الأثر البعيد في التّحولات السّياسية، والاجتماعية في مملكة غوبر خاصّة وبلاد الهوسا عامّة، وقد بذل الشّيخ جهده في دعوتهم إلى الاعتدال والرّجوع إلى جادّة الحق، ونصحهم بابتعادهم عن أهل الشّر، وتقريبهم لأهل الخير، وأن يسألوا أهل الذّكر فيما لا يعلمون[5]، لكن الأمور سارت عكس ما كان يرجو فحين كثر أتباعه وأصبحوا يهاجرون إليه في محلّ إقامته ديجل Degel انزعج ملوك الهوسا وأثار حفيظتهم فكانت العداوة والاقتتال، وقد بيّن في كتابه تعليم الإخوان الأمور الّتي كفر بها ملوك الهوسا خاصّة الّذين كانوا على وثنيتهم، ولم يراعوا النّاس في

---

(1) عثمان بن فودي، فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، تح سيني موموني، سالو الحسن، ليون،2012، ص 24.

(2) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 93-94.

(3) نفسه، ص 93.

(4) نفسه، ص 61.

(5) Celeste Intartaglia، Il Sirāğ Al—IḪwān Del Muğaddid Nigeriano 'UṯMān Dan Fodio (1754–1817 A. D.), Celeste Intartaglia,Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 4 (65), Nr. 7/9 , 1985, Pp. 144.

دينهم وحدّدها في خمسة أمور[1]:

أولا: تعذيب التّائبين إلى الله، وفي ذلك صدّ عن سبيل الله، فصدّهم وتعذيبهم كفر.

ثانيا: تعظيم الأشجار والحجارة وغيرها بالذّبح لها، وهي كفر بالإجماع، ولأنّ تعظيمها عبادة لغير الله، والتّعظيم خاص لله وحده.

ثالثا: تعظيمها بالتّصدّق لها، وهي أيضا من أعمال الكفر.

رابعا: اللّجوء إليها عند الحاجة وسؤالها، كفر بإجماع علماء الإسلام.

خامسا: موالاة الكفّار بمظاهرتهم و حمايتهم و نصر جيوشهم على جيوش المسلمين، وربما عن غير قصد من أجل تقوية دولهم، وهذا لا يختلف فيه إثنان أنّ موالاة الكفّار يخرج من الملّة بإجماع علماء الإسلام.

4- علاقته بالملوك

عاصر الشّيخ عثمان بن فودي قبل جهاده خمسة ملوك من بلاده غوبر، وهؤلاء الملوك هم:

أ- عهد الملك باباري جان جوارزو (ت1191هـ/1777م) :

كان مولد الشّيخ عثمان بن فودي في عهد الملك باباري، و نشأ في ظلّ حكمه حتّى سنّ الثّانية والعشرين من عمره أي في مرحلة بداية دعوته، وقد شنّت غوبر حملات ضدّ كانو وكاتسينا وكياوا بالإضافة إلى منطقة شيرا ببرنو إذ حققت نجاحات متفاوتة ، وفي عهده وضع حداً لزمفرا بالدّحول إلى عاصمتها برنيني1176هـ/ 1762م، وأجبر ملكها ميروكي على مغادرتها، ومع سقوط زمفرا بنى الملك باباري عاصمة غوبر الجديدة القضاوا على أرض فلاحية كانت ملك لقاضي زمفرا الّتي منها أخذت تسميتها القضاوا [2] حينها أصبحت تتمتّع بالقوّة والسّطوة خاصّة بعد ما استقلت عن البورنو، وضمّت إليها زمفرا، وأكّدت قوّتها، وفرضت سيطرتها على كثير من الأقاليم المجاورة[3].

لقد كان حكم هذا الملك قاسيا مع شعبه، و كان يعامل بعض القبائل بوحشية خاصة قبيلة الفولاّن قبيلة الشّيخ عثمان بن فودي فكان يعاملهم بغلظة، وشدّة، ويضطهدهم بفرض الضّرائب المجحفة، ومثلما

(1) B. G. Martin، Op.cit, pp 61-73.

(2) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad، Op-cit, p 122.

(3) حسين عبد الظاهر، المرجع السّابق،ص285.

كان قاسيا مع شعبه كان عنيفا مع الممالك المجاورة، فكانت المنطقة متأجّجة بنار الحروب والصّراعات بسبب سياسته المتشدّدة، وقد نشأ الشّيخ في هذه المملكة القويّة، وشهد غطرسة حاكمها الطّاغية، وكيف كان يعامل قومه خاصّة قبيلته بسوء وظلم، بالإضافة إلى مجتمع مضطرب تسوده التّقاليد البالية، وانهيار للقيم الاجتماعية(1).

وخلال هذه الفترة أصبحت غوبر هي الدّولة العسكرية الأكثر قوة في بلاد الهوسا ، فبالرّغم من استخدامها لنفس التّقنيات، والخطط الحربية لجاراتها الأخرى، كانت غوبر وبصفة دائمة في حالة حرب إلى غاية نهاية القرن الثّامن عشر الميلادي أين وضعت حركة الجهاد نهاية لوجودها كدولة مستقلة.

ب- عهد الملك باوا 1191- 1210هـ/ 1777 - 1794 م:

حين علا شأن الشّيخ عثمان بن فودي حسده بعض العلماء فنصبوا له العداء ووشوه عند الحكام لكن في بداية الأمر لم يكترث حكّام بلاد الهوسا بهذه الوشايات لنظرتهم القاصرة حول محدودية حركته الإصلاحية(2)، وهذا ما أكّده ابنه محمّد بلّو بقوله :"... وفدت عليه وفود الإسلام شرقاً وغرباً، وقدم عليه سائر العلماء ...وأيّده بالطّائفة الصّادقة من علماء كلّ قطر، حتى نشر أعلام الدّين، وأحيا السّنّة الغرّاء، فتمكّنت في البلد أيّ تمكين، نصب أهل الدّنيا له العداوة من ملوك هذه البلاد، فجعل أولئك الملوك والعلماء يؤذون الجماعة، وينهبون أموالهم ويغرون بهم سفها ءهم، ويقطعون طرقهم، ويعترضون لكل من ينتسب إلى الشّيخ، وهو وجماعته لا يعترضون لهم"(3).

ونظراً للقوّة الّتي أصبح الشّيخ عثمان بن فودي يتمتّع بها هو وجماعته بات لزاماً على الحكّام التّودّد إليه والتّقرّب منه بغرض إسكاته، محاولة منهم لكي يميل إلى جانبهم، وكان في كلّ لقاء معهم ينصحهم ويدعوهم للإسلام، وإقامة العدل بين النّاس، وترك البدع

(1) نفسه، ص285
(2) محمد كاني، المرجع السّابق،ص76.
(3) محمّد بلّو، المصدر السّابق،ص95.

والعوائد الجاهلية[1].

وفي سنة 1204هـ/1789م وبمناسبة عيد الأضحى استدعى حاكم غوبر الملك باوا Bawa علماء بلاده وكان من بينهم الشّيخ عثمان في المكان المسمى مَغَمِي، وتذكر المصادر الفولاّنية أنّ نيّة الملك هو التّخلص من الشّيخ[2]، لكن ما حدث أن الشّيخ عثمان بن فودي يرفض هدية مقدارها 500 مثقال من الذهب[3] فرفضها وطالب الملك أن يسمح له بالحرّية في التّجول في البلاد من اجل الدّعوة في سبيل الله وألاّ يعترض سبيل أيّ شخص يريد الاستجابة لدعوته، و أن يوقّر كلّ عالم يلبس العمامة، ويطلق سراح المسجونين، كما طالبه أن يخفّف من الضّرائب الباهظة على الرّعية[4].

وفي هذا الجوّ المشحون قبل الملك باوا Bawa هذه الشّروط مرغماً، فكان هذا اليوم بحق نصراً تعزّزت به مكانة الشّيخ عثمان بن فودي وأتباعه، بما أظهره من شجاعة نادرة [5]، وبهذا الموقف الّذي نال حرية التّنقل والدّعوة إلى الله دون قيد ورقابة أو تضييق، كما زادت شهرتة وشعبيتة بموقفه الّذي انتصر فيه للمظلومين ودوره الكبير في تسريح المسجونين، وإقرار إعادة النّظر في الضّرائب الثّقيلة وتخفيفها، ومن هذه السّنة اعتبر الشّيخ مصدر قلقٍ وخطرٍ على السّلطة في غوبر [6]، كما أنّ هذه التّنازلات تعتبر مؤشّرات للبعد السّياسي لحركة الشّيخ عثمان بن فودي وتطورها في المستقبل ، كما كانت أيضاً بمثابة قضية اجتماعية اهتمت بقضايا المجتمع، في حين كان ارتداء العمائم والحجاب إشارة لتمييز الجماعة من أتباع الشّيخ، الّتي تطوّرت شيئاً فشيئاً لتصبح قوّة انفصالية حاسمة [7]، وقد أشاد بهذا الانتصار شعراء الجهاد كالشّيخ عبد الله بن فودي الّذي أنشد يقول[8]:

---

(1) محمد كاني، المرجع السّابق،ص76.

(2) H. El-Masri, Op.cit, P 441.

(3) مثقال الذهب يساوي وزن 92 حبّة قمح حسب ما وجده الرّحالة بارث أثناء مروره بالسّودان الغربي في القرن التّاسع عشر.

(4) محمد كاني، المرجع السّابق، ص 76. علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص 65.

(5) علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص 65.

(6) H. El-Masri, Op.cit, P 441.

(7) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad Maishanu, Op.cit, P 125.

(8) محمد كاني، المرجع السّابق،ص77.انظر أيضا عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص136.

رجال الله أنصار الرّســـــول هم الضّرغام ثم هم شبـــــول

هم قطعوا رؤوس الكفر قطعا بأسياف تؤول لها سيـــــوف

سهام مرهفات نافـــــــذات تؤيدهم و تحتهم خيـــــــول

وتمرّ السّنوات والشّيخ يواصل دعوته بتقديم النّصح والإرشاد لهذا الملك ولخلفائه، من بعيد دون أن يتدخّل في الشّؤون السّياسية للدّولة[1]، وفي هذا الوقت كانت قوّة الشّيخ وجماعته في تنامي مستمر، تقابلها اشتداد لعداوة حكّام غوبر فلم يزل كل من تولّى السّلطة يجتهد في الكيد بالشّيخ وبجماعته، ويمكر بهم ويحاول استئصالهم بشتّى الطّرق والوسائل، ويذكر محمّد بلّو ذلك في إحدى أشعاره بقوله:

ألا بلغن عني وإن كنت نائيـــــا ولاّة يروح الجور منهم ويرجع

فإن تنتهوا عن غيكم قد رشدتم وإلاّ فحرب بيننا متوقـــــــع

وإن نحن أوذينا نفر بدينـنـــــــا إلى الله إنّ الأمر لله راجـــــع

وبعد هذا الانتصار السّياسي على حكّام بلاد الهوسا، تبيّن أن طموح الشّيخ لم يكمن في نصح الحكّام، والقيام بالإصلاح على المستوى الدّيني والاجتماعي فقط، بل تعدّاه إلى طموح أكبر، وهو إقامة دولة إسلامية تقيم شرائع الدّين الإسلامي، وسنّة النّبي عليه الصّلاة والسّلام، وذلك عن طريق الجهاد وهذا ما اكتشفه حكّام بلاد الهوسا من بعد سوء تقديرهم للأمور، وهو ما أدركه الملك ياكب بعد وفاة والده باوا سنة 1209هـ/ 1794م الّذي سعى جاهداً للقضاء على الشّيخ وجماعته.

ج- عهد الملك ياكب[2] 1210هـ-1216هـ/1795-1801م:

يمثل عام 1210هـ/ 1795م تطوّراً في حركة الشّيخ عثمان بن فودي وفي أسلوب الجهاد الّذي دعا إليه الجماعة، ذلك لأنّه أصبح تعدادها كبيراً وتستطيع مواجهة الكفّار، فأمرهم بتسليح أنفسهم بمختلف

(1)- محمدبن علي بن محمد السّكاكر، المرجع السّابق،ص200.

(2) الملك ياكب يذكره بعض المؤرخين باسم يعقوب أنظر محمد كاني،المرجع السّابق،ص78.

الأسلحة، الّتي يمكن لهم أن يتحصّلوا عليها، وأوضح أنّ اقتناء المسلم للسّلاح لمواجهة الكفّار واجب يحتّمه عليه الدّين[1]، حيث كان يقول لهم" إنّ استعداد السّلاح سنّة"[2]، وفي هذه الأثناء كان الملك ياكب الّذي خلف والده باوا قد واصل مسيرة الكيد للقضاء على الشّيخ وجماعته طيلة عهده، الّذي امتّد إلى ستّ سنوات، لكنّ الشّيخ ماض في دعوته داخل بلاده غوبر وخارجها برحلاته المتواصلة إلى زمفرا وكبي في مساندة الضّعفاء، وتقرير الحقوق لأصحابها منادياً بها ولا يخاف في الله لومة لائم، وفي سنة 1216هـ/1801م أراد الملك ياكب الهجوم على قلعة كيباوا بزمفرا بغية الثأر لأبيه لذلك جهز جيشا لغزوها، فأرسل الشّيخ عثمان بن فودي ناصحاً إيّاه بعدم الذّهاب لهذا الحصن وكاديستجيب لنصيحة الشّيخ، لكنّه لم يسمع لكلامه وسمع لحاشيته وأطاع قومه وهناك لقي حتفه ومصرعه أثناء هذه المعركة[3].

د- عهد الملك نافاتا 1216- 1217هـ/1801- 1802م:

بعد وفاة الملك ياكب ازدادت الهوة اتّساعا بين الشّيخ وبين خلفه الملك نافاتا Nafata الّذي استمرّ في سياسة العداء، والبحث عن طريقة للقضاء على الشّيخ وجماعته، يقول محمد بلّو: " فلا جرم أن ظهور الدّين، وقيام الشّرع لا يوافقهم، فلذلك أجمعوا كيدهم على نصب القتال بينهم وبين الشّيخ وجماعته، ولا يشكّون أنّ الدّولة لهم، لما يرون من ضعف أتباعه عن المقاتلة. فاجتمعت مشورتهم على زجر الدّعاة إلى الله، ومنعهم من الوعظ، وأمر كل أحد أن يرجع إلى ما وجد عليه آباءه وأجداده "[4]، لقد كان الملك نافاتا Nafata متخوّفاً من تنامي جماعة الشّيخ فهي في تزايد مستمر من جهة، واستعداداتها في تجهيز نفسها بالسّلاح من جهة أخرى [5]، ومن جملة الإجراءات الّتي اتّخذها أن أصدر مرسوماً نادى به في الأسواق

---

(1) شوقي عطاء الله الجمل، عثمان دان فوديو وسياسة الجهاد الإسلامي التي اتبعها في ضوء مخطوط فريد بوثائق الرباط،مج 13، ع26، م البحث العلمي، المغرب، 1976، ص48.

(2) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, p51.

(3) حسين عبد الظاهر، المرجع السّابق،ص291.

(4) محمّد بلّو، المصدر السّابق،ص96.

(5) شوقي عطاء الله الجمل، المرجع السّابق، ص48.

يتضمّن ثلاثة أمور ينذر فيه الشّيخ عثمان بن فودي وجماعته [1]، بأن لاّ يقوم أحد بالدّعوة للإسلام سوى الشّيخ عثمان بن فودي وحده، وأن لاّ يعتنق أحد الإسلام إلاّ من ورثه عن أجداده، وأن لاّ يلبس أحد العمامة، وألاّ تضرب المرأة بالخمار على جيبها[2].

وبهذا المرسوم أراد هذا الملك الحدّ من نشاط الشّيخ عثمان بن فودي حتّى لا يدخل أناس جدد في الدّعوة المحمّدية، وعودة النّساء للسّفور والخروج عن تعاليم الشّريعة الإسلامية، كما بدأ العمل جدّياً في التّآمر بوضع خطّة لقتل الشّيخ ولكن شاءت إرادة الله أن تفشل خطّته بموته المفاجئ 1802م بعد فترة قصيرة من إصداره ذلك المرسوم[3].

هـ- عهد الملك ينفا 1218-1223هـ/1803-1808م:

تولّى الملك ينفا الحكم على مملكة غوبر خلفاً لأبيه نافاتا، وذلك بعد منافسة شديدة على السّلطة بينه وبين خصومه، وفي عهده أصبحت المملكة ضعيفة ومضطربة وليست قويّة كسابق عهدها، واضطربت الأحوال في الولايات التّابعة لها [4]، فزمفرا كثرت فيها الاضطرابا ت، في حين كانت كاتسينا لها أطماع توسّعية من جهة الشّرق، أصبحت كبي لا تدفع ما عليها من إتاوات، بينما كان الطّوارق يثيرون المشاكل من ناحية الشّمال، هذا من جهة أمّا من جانب آخر فقد كان الخطر الأكبر الّذي يهدّد المملكة هو الشّيخ وجماعته فرغم أنّ الملك ينفا وعده بأن يعمل بنصائحه ولا يكون مثل آبائه، لكنه اجتهد في الكيد للشّيخ وأتباعه ، وهاجم بجيشه قرية غنيبا وارتكب فيه من جرائم القتل والنهب منتهكا حرمة رمضان، وفي ذلك يقول محمّد بلّو: " ولمّا ولّي ابنه – ينف – شمّر عن ساق الجدّ والاجتهاد على ذلك، حتىّ غزا قرية عظيمة من قرى الإسلام، على حين غفلة من أهلها، فقتلوا ما شاء الله من فقهائها وقرائها في نهار رمضان، وهم صائمون، ونهبوا أموالهم، وأسروا ذراريهم، وجعلوا يفترشون الكتب والمصاحف، ويحتطبون الألواح فيوقدون بها،ويستهزئون بأهل الإسلام، ويقولون لهم:"إيتونا بما تعدوننا إن كنتم صادقين "[5].وهكذا كانت أوامر

---

(1) محمّد بلّو، المرجع السّابق،ص96.
(2) كانت العمامة والحجاب هي اللّباس المميز لجماعة الشّيخ عثمان بن فودي.
(3) عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السّابق، ص137.
(4) حسين عبد الظاهر، المرجع السّابق،ص295.
(5) محمّد بلّو، المصدر السّابق،ص97.

الملك ينفا المتشدّدة تنهي بتضييق الخناق على جماعة الشّيخ من فولاّنيين وغيرهم بقتلهم ونهب أموالهم[1]، وأخذ يعترض طريقهم و يمنعهم من الوصول إلى معسكرات الشّيخ[2].

المبحث الثّاني: الهجرة وتأسيس الجماعة:

1- دوافع الجهاد:

كانت أزمة غنبينا القشّة الّتي أشعلت الحرب ، وأسباب ذلك أنّ الإجراءات الّتي اتّخذها نافاتا ضدّ الشّيخ و جماعته، كانت صارمة إلى درجة أنّ الشّيخ عبد السّلام أحد أتباع الشّيخ عثمان اضطرّ إلى مغادرة مملكة غوبر مع أتباعه ليستقروا عند نهر قرب زمفرا ، وعندما تقلّد ينفالحكم وجّه نداء لعبد السّلام للعودة إلى غوبر، الأمر الّذي تجاهله الشّيخ عبد السّلام فشعر ينفا بالإهانة فجهّز حملة تأديبية لغنبيا وتمّ الهجوم عليها، وعلى اثر ذلك قتل الكثيرون واقتيد الآخرون للأسر[3].

كان لهذه الهزيمة وقع كبير على أتباع الشّيخ، وكنتيجة لذلك هاجم جيش غوبر بنصب كمين لهم عندما كان متّجها إلى القضاوا م اراً بديجل، أين يعيش الكثير من أتباع الشّيخ، وتمّ تحرير الأسرى ، هذا العمل أغضب ينفاليوجّه أمره إلى الشّيخ بأن يغادر ديجل مع عائلته قبل أن ينتقم من أتباعه، فبدل أن يترك أتباعه رد بأنّه لا يرغب في ذلك إلاّ أن يكون مع أتباعه، وهكذا بدأت الهجرة المشهورة وهذا ما عبّر عنه الشّيخ عثمان حيث يقول: "أمّا سبب القتال الّذي وقع بيننا وملوك حوس وأتباعهم، فاعلم أن ملك غوبر ينفا هو الّذي ابتدأ ذلك الأمر، وجاء إلينا بجيوشه، فتلقيناه بجيوشنا فهزمه الله وجيوشه"[4]

---

(1) J. A. Burdon، The Fulani Emirates of Northern Nigeria, Vol. 24, No. 6, The Geographical Journal, 1904, p 640.

(2) Muhammad Khalid Masud، Shehu Usuman Dan Fodio's Restatement Of The Doctrine Of Hijrah, Islamic Studies, Vol. 25, No. 1, 1986, P61.

(3) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad، Op.cit, P 126.

(4) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص 130.

2- فقه الهجرة عند الشّيخ عثمان بن فودي :

يذكر الشّيخ عثمان بن فودي في أكثر من موضع من مؤلّفاته وجوب الهجرة إذا توفّرت الظّروف والأحوال ودعت إليها الأحوال حماية للدّعوة و أهلها وبذلك فهو يتأسّى بهجرة النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم ومن جملة ما ذكر في فقه الهجرة ما يلي:

الهجرة من بلاد الكفر إلى بلد الإسلام، ومن بلد البدعة إلى بلد السّنّة، ومن بلد المعصية إلى بلد الطّاعة، ومن موضع لا يمكن للمسلم فيه من إقامة دينه، وإنّ على المسلمين عزل الحاكم الكافر إذا قدروا عليه، فإن تحقّقوا العجز عنه لم يجب القيام عليه ويجب على المسلم الهجرة من أرضه إلى غيرها، وإنّ الفرار من ظهراني المشركين واجب على كل مسلم، وكذلك كل موضع يخاف منه، فالهجرة منه واجبة إلى أرض الله الواسعة. ويجب على المسلم الهروب إذا خاف على نفسه ودينه وماله إلى موضع لا يخاف شيئاً من ذلك [1] ولم يكتف الشّيخ بتبيين حكمها بل رغّبهم وحثّهم عليها بقوله:" عليكم يا إخواني الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام لتفوزوا بالجنّة، وتكونوا رفيق أبيكم إبراهيم ونبيكم محمّد صلّى الله عليه وسلّم"[2].

3- هجرة الشّيخ مع جماعته:

كانت الهجرة في مفهوم الشّيخ وتقديره امتداداً للدّعوة الّتي يقوم بها، وتحصيناً لمستقبلها وهذه الفكرة ظاهرة فيما سجّله في كتبه المسائل المهمة وبيان وجوب الهجرة على العباد الّذي ألّفه قبل هجرته، وبدأ الشّيخ عثمان بن فودي يهيئ النفوس فلما وصله بريد الملك بالخروج من قريته دون جماعته رفض ذلك الأمر وأعلن الهجرة[3] فخرج هو وأتباعه مهاجراً من قريتهم ديجل، وانتقلوا إلى مكان قرب حدود مملكة غوبر يسمى غدو وكان ذلك يوم الخميس الثّاني عشر من ذي القعدة سنة 1218هـ الموافق للحادي والعشرين من فبراير سنة 1804م، ويعتبر هذا التّاريخ بمثابة نهاية العلاقات السّلمية مع ملوك غوبر، وإيذاناً بالصّـراع

(1) عثمان بن فودي، المسائل المهمة، المصدر السّابق، ص ص 188-191.

(2) عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد ،تح ثاني يوسف برنن تد ، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013، ص 43.

(3) Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Op.cit, p 55.

المسلح[1] الّذي انتهى بقلب نظام الحكم القائم في ممالك الهوسا.

4- المبايعة وإعلان الإمارة:

نظرا للتّطورات السّياسية المتسارعة بسبب المناوشات الّتي حدثت بين الملك ينفا وجماعة الشّيخ عثمان بن فودي وما حدث من أمر الهجرة وانعزال الجماعة عن غيرها بسبب قطع الطريق بينها وبين من يريد الالتحاق بها خصوصا بعدما وصل بريد الشّيخ وأخبره بأنّ الملك ينفا يتوعّده بالخروج لقتاله [2]، كما أنّه أصدر أوامره بأن يأخذوا أموال من هاجر مع الشّيخ، ويمنع الباقين من الهجرة وجراء ذلك قتل الكثير من المسلمين ونهبت أموالهم[3]، لذلك رأت الجماعة أن لابدّ من اتّخاذ إجراءات مهمة لتنظيم نفسها، حتّى لا يدهمها الخطر المحدّق بها من كلّ جانب وذلك بعد انقطاع كلّ سبل التّفاهم بين الطّرفين فاجتمع الشّيخ وجماعته وتشاوروا في أمورهم، وأوضاعهم، وهناك اتّفقوا على تنصيب الشّيخ عثمان بن فودي أميراً عليهم وفي ذلك يقول ابنه محمّد بلّو:" اجتمعنا وشاورنا في أمرنا، وقلنا إنه لا يتأتّي للنّاس أن يكونوا هملاً من غير والٍ فبايعنا الشّيخ على السّمع والطّاعة في المنشط والمكره، فبايع هو على إتّباع الكتاب والسّنّة "[4] .

وكان أوّل من بايعه أخوه عبد الله، ثمّ ابنه محمّد بلّو، ثم بايعه الوزير عمر الكموني، ثمّ بعد ذلك بايعه بقية الجماعة، ثمّ أخذوا يستعدّون للحرب ضدّ أعدائه م من السّودانيين والطوارق[5]، وفي صباح اليوم التّالي عقدت الرّايات، وبدأوا في حفر الخندق حول مكان تجمّعهم ليكون لهم كالحصن المنيع، ويذكر محمّد بلّو بأنّهم عند حفر الخندق كانوا يتأسّون بصحابة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام حيث كانوا يتمثّلون قول الصّحابة:

والله لولا الله ما اهتدينــا ولا تصدّقنا ولا صلّينــا

وأنزلـــنّ سكينة علينــا وثبت الأقدام أن لاقينــا

إن الأولى لقد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينـــــا

---

(1) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad, Op.cit, P 127.

(2) محمد بلّو،انفاق الميسور،ص

(3) عثمان بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان ،تح: محمد مودي شوني، سليمان موسى إيثائي، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013. ص29.

(4) نفسه، ص 100.

(5) نفسه، ص 100.

5- الشّيخ عثمان بن فودي أميراً للمؤمنين:

وقد قبل الشّيخ هذه البيعة لوجوبها ولقّب بأمير المؤمنين وكان قد بيّن ذلك في كتابه مسائل مهمة يحتاجها أهل السّودان في المسألة الثانية حيث قال:" في بيان أنّ المسلمين لا يجوز لهم أن يكونوا هملا من غير بيعة ومن كلامه: وأقول وبالله التّوفيق: إنّ الدّخول في بيعة أمير المؤمنين واجب على كل مسلم إن وجد، قال محمد بن عبد الكريم المغيلي في أجوبته الّتي أجاب بها عن المسألة لأسقيا أنه لا يحلّ لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملا، قال الله تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾[1]، وفي صحيح مسلم عن بن عمر أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم:" من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجّة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" [2]، وهذا ما حدث عندما أعلن الملك ينفا الحرب ضدّ الشّيخ وجماعته فقد خرجوا عنه، ونقضوا البيعة له لخروجه عن الإسلام، بمحاربته له ولأهله، لذا بات من الضّروري اختيار أمير تجتمع حوله الكلمة ويدير لهم شؤونه م الدّينية والدّنيوية[3]، وبعد تمام البيعة عمد إلى تشكيل خلافة على النّظام الإسلامي[4].

6- إعلان الجهاد:

في وقت سابق من سنة 1148هـ/1770م كان الشّيخ جبريل بن عمر قد أصدر نداء إلى الجهاد ضدّ ما أسماه بالفساد، ولكن دعوته لم تلق سماعاً، وعلى الرّغم من أن دعوته لم تنجح، فلم تضع جهوده فبعد ثلاثين عاما قام تلميذه الشّيخ عثمان بن فودي بالثّورة على تلك الممارسات والأوضاع المتردّية،حيث أعلن الجهاد الأكثر أهمية في تاريخ غرب افريقيا[5]، وبذلك كانت مبايعة الشّيخ عثمان بن فودي كأمير للمؤمنين كانت بمثابة آخر عمل أنهى العلاقة بين الشّيخ وحكّام غوبر بحيث أعلن المجاهدون استقلالهم عن سلطة غوبر، واستعدّوا للحرب ضدّها وضغطت هذه الأخيرة على الشّيخ عثمان بن فودي وجماعته في

(1) سورة آل عمران الآية 103.

(2) صحيح مسلم كتاب باب الامارة وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(3) عثمان بن فودي، المسائل المهمة، المصدر السّابق، ص188.

(4) عبد الله آدم الآلوري، الاسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص 110.

(5) Josephp.S. Maldone،Warfare In The Sokoto Caliphate, Cambridge University Press, London, 2008, P 20.

غودو فوقعت مناوشات، واتّسعت يوماً بعد يوم إلى أن تمّ إعلان الجهاد والمعارك الكبرى حيث أعلنت الحرب رسميا سنة 1219هـ/1804م، ومع بداية عام 1221هـ/1806م كانت ألوية الحرب قد وزّعت على المنطقة وموجب ذلك عيّن قائداً على كلّ منطقة.

المبحث الرّابع: بداية المواجهة العسكرية.

1- وثيقة أهل السّودان :

لماّ تمّت البيعة بدأت مرحلة جديدة نقلت حركة الجهاد من الدّور السّلبي إلى الدّور الايجابي وانتشرت أخبار الجهاد ضدّ حكام الهوسا[1]، وهذا عندما اشتدّ العداء على جماعة المسلمين وانتهكت حرمة الإسلام فأصدر الشّيخ عثمان بن فودي وثيقة أهل السّودان الّتي تعد مرسوما أعلن فيه الجهاد على الملك وأعوانه[2]، وبين فيها مبرراته لجهاد الوثنيين من حكام الهوسا، ومن بين الأسس والمبادئ الّتي تضمّنتها هذه الوثيقة أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والهجرة من بلاد الكفّار وأنّ مولاة المؤمنين وأنّ الجهاد وقتال الكفّار واجب إجماعاً، من خلال هذه الوثيقة تحدّدت الوجهة بإعلان الجهاد ضدّ حكّام بلاد الهوسا الّذين يدّعون الإسلام ويخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر[3]

في بداية الأمر لم يأبه حكّام بلاد الهوسا لهذا الإعلان ظناًّ منهم أن حركة الشّيخ عثمان بن فودي هذه محدودة ولا تشكل أيّ نوع من الخطورة كما أنّ الشّيخ لم يكن يتدخّل في الشّؤون السّياسية، ولم يمنع أحد من الدّخول في طاعتهم[4].

لم يمض وقت طويل حتّى تحوّلت هذه الحركة من حركة اجتماعية إصلاحية إلى حركة ثورية تهدف إلى إقامة خلافة إسلامية في بلاد الهوسا، فبرزت قوتين على مسرح الأحداث حيث تزعّم الملك ينفا جبهة المعارضة ضدّ الشّيخ عثمان بن فودي، وأصبحت الحرب وشيكة بين الطّرفين، ومما زاد في حدّة التّوتر هو التّنامي السّريع في جماعة الشّيخ مما عجل في حدوث مناوشات تسببت في تصعيد الأمور، وبذلك توقفت سبل التّفاهم بين الطرفين، فما كان من الشّيخ أن أعلن الجهاد في سبيل الله

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، وثيقة أهل السودان للشيخ عثمان بن فودي و آثارها، ندوة البردي و المخطوطات العربية في افريقيا، معهد البحوث والدراسات الافريقة، القاهرة، 2001، ص 193.

(2) عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السّابق، ص137.

(3) A. D. H. Bivar، The Wathiqat Ahl Al-Sudan، A Manifesto of the Fulani Jihad, Vol. 2, No. 2, J.A. H, 1961, pp 235-243.

(4) معد كاني، المرجع السّابق، ص 76.

ضدّ حكّام بلاد الهوسا الوثنيين [1]، فلبّى أتباعه النّداء وانتقلت الدّعوة من مرحلة السّلم إلى مرحلة الهجوم المسلّح وعلى إثر ذلك جرت سلسلة من المعارك بين الطّرفين.

2- معارك الشّيخ عثمان مع حكام الهوسا:

خاض الشّيخ عثمان بن فودي حروباً كثيرة في جهاده ضدّ حكّام الهوسا انتصر في أغلبها وقد كانت المعارك[2] بدء من سنة 1804م ومن أشهرها:

أ- معركة غنغ 1804:

أرسل الشّيخ عثمان بن فودي جيشا إلى أطراف بلاد غوبر عند مكان يدعى غِنِغ -بكسر الغين والنّون- وبعد معارك شديدة انتصر الشّيخ انتصاراً كبيراً، حيث قتل منهم الكثير وأسر وغنم [3] ولقد كان لهذا النّصر نتائجه الإيجابي ة حينما نقل المعارك بعيداً عن دار هجرته، وبذلك أمن عنصر المباغتة[4].

لم تتوقّف المعارك والمناوشات بين الشّيخ وأعدائه، فقد كانت مستمرّة في كلّ الأوقات، وكان كلّ طرف يوجه غاراته كلّما حانت له الفرصة لذلك، فكانت سلسلة من المعارك قادها حكّام الهوسا للقضاء على كلّ من انتسب للشّيخ وجماعته .

ب- معركة كن 1219هـ/ 1804م:

بعد غزوة متنكر وتقسيم الغنائم، سمع الجماعة بخبر استعداد ملك غوبر ينفا للخروج إليهم بقواته فكان من أمر الجماعة أن تشاوروا في أمر الغزو فكان اتّفاقهم يقضي بتعجيل المسير إليه قبل أن يخرج إليهم، فسار الجيش بقيادة محمد غير – بفتح الغين – ووصلوا إلى حصن كن حيث دارت بين الطرفين معركة كبيرة، قاتلوا فيها قتالا شديداً واستشهد كثير من المسلمين في هذه المعركة وتمّ فتح حصن كن، وقتل أمير البلد وسبوا وغنموا، وبعد ذلك سمعوا بخروج ملك غوبر، فرجعوا من يومهم إلى ديارهم[5].

---

(1) محمّد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريديه، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ و حضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 192.

(2) أنظر خريطة معارك جهاد الشّيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا في الملحق رقم05.

(3) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص ص 100- 101.

(4) محمّد السكاكر، المرجع السّابق، ص223.

(5) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص ص101-103.

ج- معركة كتو صفر 1219هـ ماي 1804م :

تختلف هذه المعركة عن سابقاتها من المعارك من حيث المبادرة، فقد كانت المعارك الأولى من بدء المجاهدين، ولم ينتظروا حتّى يهاجمهم العدو لذا قلّت خسائرهم وحققوا انتصارات عظيمة، أما هذه المعركة فقد كانوا في موضع الدّفاع لا الهجوم، وكانت شديدة الوطأة عليهم، كما كانت المعارك الأخرى من تسيير نوّاب ينفا، أمّا هذه فقد كانت تحت قيادة الملك ينفا نفسه بعد أن استعدّ لها استعداداً كبيراً، حيث حشد لها قوات كبيرة، وتهيّأ لهذه الموقعة بمساعدة نظرائه من ملوك الهوسا كاتسينا وكانو وزاريا ودورا، ثمّ تحرّك صوب مكان تمركز جماعة الشّيخ بغدو للقضاء نهائياً عليهم.

ويصف محمّد بلّو هذه المعركة بقوله:" وهي أعظم وقعة بيننا وبينهم، وهي بمثابة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان". وكانت جموع جيش غوبر تتكّون من السّودانيين والطّوارق وحتّى من الفولاّنيين الموالين لملك غوبر وكان المجاهدون تحت قيادة عبد الله بن فودي، وقد تعززت قواتهم بوصول المدد من أدر تحت قيادة أغال التّارقي، والّذين جاءوا مع محمّد بن الشّيخ جبريل بن عمر، ومع جود بن محمد وغيرهم وبهذه الفرحة بشّرهم الشّيخ بالنّصر ودعا لهم وأمرهم بالخروج ليلاً منتظرين نهارهم للقاء العدو، ويقول محمد بلّو:" وقامت الحرب على ساق، وتخالط الصفّان، وهزم الله الكفّار، فولّوا هاربين، وتفرّقوا أبابيد وحلّ المسلمون على أكتافهم يقتلون وينهبون فقتل منهم ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى، فهرب أميرهم وقتل صديقه، بيد ومتاج وغيرهم"(1).وكان الوزير عبدالله بن فودي يشيد بهذه الانتصارات في قصائده منها:

على قمع كفار علينا تجمعــوا	**بدأت ببسم الله والشكر يتبــع**
بلادهم والله في الفضل أوسع	**ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من**
محزبهم والله يرى ويسمـــع	**توارك مع غوبر ونيف سفيهـهـــم**
بحرق وتخريب وأشياء تقطع	**فلما أتوا غنغنغ ما فيه أفســـدوا**

(1) محمد بلّو، إنفاق الميسور،ص 105.

وكان لانتصار الشّيخ في معركة كتو وكذا وثيقة أهل السّودان الدّور الكبير في حشد الدّعم ، وإقناع الكثيرين ليس بدعوته فقط بل بقوته أيضاً، فكثير من الأقوام كانت متردّدة أعلنت ولاءها للشّيخ، فزاد عدد المحبين والمريدين الّذين اجتمعوا تحت راية واحدة ، وبذلك تضاعف جيشه فبعضهم جاء ليضع البركة وبعضهم الآخر جاء ليأخذ الإذن بالجهاد، أمّا حكّام الهوسا فقد عملوا بانسجام بإيعاز من الملك ينفا وركّزوا جميعهم على أتباع الشّيخ مما عجل بقيام الجهاد في كلّ بلاد الهوسا[1].

د- انتقال الشّيخ إلى كبي1219هـ/ 1804م :

مكث الشّيخ عثمان في دار هجرته بغدو حوالي خمسة أشهر من شهر ذي القعدة 1218هـ/ فيفري 1804م إلى ربيع الأول 1219هـ/ جوان 1804م، ومع قلّة المؤوتة واشتداد الجوع قرّر الانتقال إلى منطقة كبي وكان حاكمها محمّد مويج من أنصار الشّيخ في الجهاد، فأرسل إليه محمد بلّو يطلب الإذن بالدّخول إلى كبي فأجابه لذلك، وهناك استرح لبعض الوقت، ثمّ رحل الشّيخ وجماعته إلى بلدة مغبش - بفتح الميم والغين – وبها كاتب الملوك[2].

هـ- مكاتبة ملوك الهوسا:

أقام الشّيخ في مغبش مدّة شهرين كاتب فيها ملوك الهوسا، حيث دعاهم إلى نصرة الحق على الباطل، وإحياء السّنّة وإخماد البدعة، كما طلب منهم الوقوف إلى جانبه ومساعدته في الجهاد، وأن لا يغترّوا بكلام عدوه، وسار بالوثائق رسل الشّيخ عثمان بن فودي إلى ملوك كاتسينا وكانو وزاريا ويقول محمد بلّو:" فلما وصلت وثيقة أمير كاتسينا ونظر إليها أخذته العزّة فمزّقها، فمزّق الله ملكه ، ولماّ وصلت وثيقة أمير كانو كاد أن يقبل، ثم أبى وسلك ما سلك إخوانه ، ولماّ أوصلوا وثيقة أمير زاريا قبل وتاب، وأبى عليه قومه، فقاتلهم فقام على ذلك مدّة عمره. ولماّ مات بغوا، وارتدّوا، وكان من أمرهم ما كان"[3].

---

(1) Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad، Op.cit, P128.

(2) محمّد بلّو،المصدر السّابق،ص114.

(3) نفسه،ص114.

لقد كانت حياة أتباع الشّيخ في خطر دائم. لا يوجد مأوى للنّساء ولا للأطفال إذ ساروا مع الجيش لثلاثة عشر شهراً، وكانوا يتنقّلون في مجموعات ومخيّمات مؤقّتة،كانوا في ظروف صعبة كانت أقرب للموت إمّا جوعاً أو هجوماً مباغتاً في أيّة لحظة[1]، وبهذه المراسلات نجح الشّيخ عثمان مرة أخرى ضمّ حلفاء جدد إلى جانبه مثل ملك زاريا الذي ناصره، وألقى الحجة على كلّ من رفض مساعدته ومناصرته مثل ملك كاتسينا وملك كانو بشرعية جهادهم لرفض ما دعاهم إليه.

و- انتقال الشّيخ إلى أطراف غوبر:

اجتمع الشّيخ وجماعته وتشاوروا في أمرهم فقرّروا الانتقال بعيالهم إلى أرض العدو بغوبر، وذلك ليسهل عليهم الغزو على أعدائهم، فساروا إلى سيفاوا ومنها خرجت السّرايا لجمع القوت، ثمّ انتقلوا إلى سوكوتو وكان ذلك في جمادي الأولى 1219هـ/سبتمبر1804م[2].

ح- وساطة أمير غم للصّلح:

أراد أمير غم التّدخل وحلّ مسألة الصّراع بين الشّيخ وملك غوبر فبعد أن وافقه الشّيخ على الصّلح أرسل إلى ملك غوبر بأن يتصالح مع الشّيخ، وأن يعطيه كلّ ما يريد، فوجه أمير غوبر وزيره الأكبر غلاديم وأخبر الشّيخ بأن أمير غوبر قد ندم وانه سيقبل بكل ما تطلبه، وبعد الاجتماع والمشاورة قبل الشّيخ الصّلح مقابل شرطين:

الشّرط الأول: حضور ملك غوبر شخصيا لأمر التّفاوض والتّصالح.

الشّرط الثاني: بلدة دان غيد خارجة عن نطاق التّفاوض والصّلح، لأنّ الشّيخ وجّه إليها جيشا لغزوها وقد نجح هذا الجيش في السّيطرة على حصنها، وغنم منها مغانم كثيرة ورجع قافلا بعد الاتّفاق مع أهلها وفرض

(1) Jean Boyd، Opcit, p 9.

(2) محمد بلّو، المصدر السّابق،ص115.

عليهم شروط الطّاعة والاتباع(1).

أمهل الشّيخ الملك مدّة يسيرة، وسار الوزير إلى الملك وأخبره بشروط الشّيخ، في بداية الأمر وافق الملك لكنّ قومه وحاشيته أشاروا عليه بعدم الذّهاب، ومواصلة المفاوضات عن طريق الرّسل، فأرسل له الشّيخ شريف باب، وقال بأنّ الملك لن يأتي وأنّ التّفاوض سيتمّ عن طريق الرّسل، فلم يقبل الشّيخ وأتباعه هذا الطّلب، ورجع الشّيخ شريف باب وأخبر الملك بذلك(2)، لكنّ المفاوضات توقّفت لانعدام الثّقة والآمان بين الطّرفين، فعادت الحروب والمعارك والمناوشات من جديد، حيث أرسل الشّيخ جيوشه وفتح العديد من المدن والحصون مثل غنغرم وكيمي (3)

ط- حصار العاصمة القضاوا الأوّل:

بعد تعثّر مفاوضات الشيخ عثمان بن فودي، ونقض الهدنة تعزّزت قوّة الشّيخ، وفي المقابل أصبح الملك وأعوانه في موقف الضّعف، ممّا حدا بالشّيخ وجماعته إلى التّفكير بتوجيه ضربة إلى القلب، وذلك بفرض الحصار على العاصمة القضاوا ، لأن نجاح الحصار سيحقق نتائج في صالحه وصالح حركته الدّعوية الإصلاحية منها:

أولاً: الضّغط على الملك لكي يرضخ للأمر الواقع، ويأتي إلى الصّلح وبشروط الشّيخ، وبالتّالي يضمن دخول النّاس للإسلام، مادام أنّ الملك قد رضخ وقبل بشروط الصّلح.

ثانياً: أو يتم فتح حصن المدينة، وبالتالي القضاء نهائيا على حكم سلاطين الهوسا الوثنيين.

ثالثاً: تعتبر فرصة ليبيّن الشّيخ قوة جماعته، ويبرز للناس ضعف هؤلاء الحكام، وأنّه على والحق وهم على باطل، فيمكّن ذلك انضمامهم إليه وبهذا تعزّزت شوكة المجاهدين.

---

(1) نفسه، ص 113.
(2) نفسه، ص115.
(3) نفسه، ص116.

وبعد تشاور الشّيخ مع جماعته في أمر الحصار، اجتمع رأيهم على محاصرة القضاوا لكن بعد غزو المدن المجاورة لها، وذلك لتأمين المنطقة أثناء الحصار من ناحية، وقطع الطريق أمام المساعدات الّتي قد تأتي للأعداء من ناحية أخرى، وبدأوا بتنفيذ الخطّة فسارت جيوشهم نحو المدن المجاورة للقضاوا، ففتحوا غيال وتابعوا الزّحف حتى وصلوا بور، وهناك لحقهم إخوانهم من الفولاّنيين الّذين اسلموا وفرّوا من أعدائهم خاصّة من إقليم كاتسينا، ثم شرعوا في شنّ الغارات على إقليم القضاوا حتّى وصلوا جرو القريب من حصن القضاوا [1]،وعلى إثر هذه الهجمات الّتي شنّتها جيوش الشّيخ أصبح الطريق ممهدا لحصار القضاوا في شعبان 1219هـ/نوفمبر1804م، سار الجيش بقيادة كبير الوزراء عبد الله بن فودي وعند وصوله قسّم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، وهنا جرت معركة طاحنة بين الطرفين كاد على إثرها فتح الحصن لولا خداع الطوارق[2]، الّذين خلفوهم في عيالهم ففكّوا الحصار، ورجعوا لإنقاذ أهلهم وعيالهم[3].

لماّ رجعوا إلى معسكرهم بعث محمّد بلّو بسرية إلى أكي غنمت غنائم كثيرة ثم رجعت إلى المعسكر بعدها انتقل الشّيخ إلى نواحي القضاوا بــ: بور، ونزل محمد بلّو بــ: ثنثو بحثا عن القوت، وكان قد ترك الأشراف في الدّيار، ولماّ رجع باغتهم العدو بمعاونة الطّوارق، وهزم المجاهدون واستشهد خلق كثير فخرج الوزير عبد الله والشّيخ عثمان بن فودي ولحقوا بهم واستطاعوا رد الكرة عليهم وانتصروا عليهم وتفرقت جموع العدوّ[4].

ك- حصار العاصمة القضاوا الثّاني1805م:

بعد هذه الوقعة انتقل الشيخ وجماعته إلى موقع برايزاك ومكثوا فيه شهر رمضان وبعد صلاة عيد الفطر انتقلوا إلى جرو بالقرب من القضاوا، وهناك تجدّد الحصار لمدينة القضاوا، وتجدّدت معه المناوشات

(1) نفسه، ص118.
(2) يقول **محمّد بلّو**، ثم إنّ التوارك كانوا ينافقون يأتون ويقولون، آمنا وإذا خلوا إلى الكفار السودانيين قالوا، إنا معكم، ولما حضروا الوقعة الأولى رجعوا إلى رحالهم واجتمعوا وخلفوا في عيالنا يغيرون" نفسه ص118.
(3) نفسه، ص 118.
(4) نفسه، ص119.

والإغارة على بعضهم البعض [1]. ولم تنته المناوشات إلى أن انتصر أحد الفريقين فتمّ فكّ الحصار ونقل الصّراع إلى مناطق أخرى.

ل- الانتقال إلى زمفرا:

بعد فكّ حصار القضاوا الثّاني اتّجه الشّيخ إلى إقليم زمفرا بحثا عن القوت آملا في مساعدة أهلها وذلك لعداوتهم مع غوبر، وكذا توفير الأمن لعيالهم، ونقل الصّراع بعيدا عنهم، لكنّ العدوّ لم يتركهم بسلام فقد لحق بهم بموقع شنكاز ونشبت معركة كبيرة انتصر فيها المجاهدون، وأكمل الشّيخ مسيره فوصل إلى بلدة موداش ونزل بها، ثم سار إلى دمني وهناك هاجمهم العدوّ مرّة ثانية وانتصروا عليه، ثم نزلوا بكسر ثم بمردام ثم بدفومفر، وهناك استقبلهم أهل زمفرا ووجدهم الشّيخ في شجار فأصلح بينهم، ثم رحل الشّيخ الى ريمو فأقاموا فيها شهر ذي القعدة 1219هـ/ فيفري1805م[2] .

ن- الخروج إلى كاتسينا 1805م:

خلال الإقامة في سابنغر حدثت مناوشات مع كاتسينا حيث خرج علي جيد وغزا دل غنم ورجع وفي المقابل كان ملك كاتسينا قد أنفذ جيوشه خلف محمّد بن الحاج وجماعته ، لكن كان يهزم في كلّ مرة[3]

س- فتح بلاد كبي1805م :

بعد الاجتماع التّشاور تمّ اتّفاق الجماعة على غزو كبي، وفي هذه الغزوة بقي الشّيخ مع محمّد بلّو عند العيال، وسار الجيش بقيادة كلا من حامل الرّاية القائد علي جيد مع الوزير عبد الله في ذي الحجة بعد صلاة الأضحى سنة 1219هـ/ مارس 1805م، متّجها صوب الجنوب فتصدى لهم أهل غم بالقتال فضيق عليهم المجاهدون الحصار، حتّى استسلموا و طلبوا الأمان، فأمنهم الوزير عبد الله، ومضى الجيش يفتح الحصون الواحد تلو الآخر، حتّى وصلوا حصن كبي فبات ليالي للرّاحة والاستعداد، وفي يوم السّبت

---

(1) نفسه، ص120.
(2) نفسه، ص ص 121-123.
(3) نفسه ،ص 123.

12 محرم 1219هـ/12أفريل 1805م باشروا الهجوم ففتحوه وغنموا غنائم كثيرة، وأمّروا عليه عثمان مسي بن سلطان كبي، وهرب سلطان كبي بمن معه باتّجاه الشّمال ومات منهم الكثير(1)، وبفتح هذا الحصن أتمّوا فتح بضعاً وعشرين حصنا من حصون بلاد كبي(2).

ف- فتح كانو 1806م:

لقد جرت بين ملك كانو وجماعة الشيخ معارك كثيرة لم تنته إلى حد فاصل، وفي العام الثّاني لهذا الجهاد خرج ملك كانو بنفسه للقضاء على الشيخ فنزل بحصن جان يحي، ولما سمعت به الجماعة خرجوا إلى الحصن وفتحوه وقتلوا عداد كبيرا من جنده، وهرب الملك إلى حصنه الأكبر، فلحقت به الجماعة وتمّ فتح الحصن، لكنّ الملك هرب مرة أخرى ثمّ رجع ليستعيد الحصن، فخرجت إليه الجماعة في موقع ببرمبرم فقتل وتشتت أجناده (3)، فدخلت مملكة كانو تحت نفوذ الشّيخ، وتمّ تأمير عليها الفقيه سليمان بن أبجم وكان من حكمة الشيخ عندما يفتح بلدا يولي عليها حكاما من نفس البلد، مما ساعد على قبول دعوته.

ص- فتوح كاتسينا و دورا :

تمّ فتح في هذه السّنة العديد من المناطق أهمّها كاتسينا، وولّي عليها عمر دلاج، كما تمّ فتح باوتشي وولّى عليها يعقوب علي، كما فتحت دورا أقدم ممالك الهوسا وولّى عليها إسحاق، ثمّ فتحت غمبي وولّى عليها بوب برو، وتمّ الاستلاء على الأك ماو وولّي عليها العالم آدم.

ق- فتح العاصمة القضاوا 1808م:

بعدما فشل المجاهدون في فتح القضاوا في حصارهم السّابق، أوصى محمّد بلّو جماعته في كانو وكاتسينا بعدم التّوقف عن شنّ الغارات، والهجمات على القرى المجاورة للحصن، فأخذوا يغيرون ويغنمون ثمّ يرجعون إلى معسكرهم، ولماّ حان فصل الرّبيع 1222هـ/1806م خرجت قوّات المجاهدين بمساعدة عمر

(1) نفسه، ص123.
(2) يقول عبد الله في قصيدة له أنهم فتحوا أزيد من عشرين حصنا ، ينظر، نفسه ، ص124.
(3) نفسه، ص131.

دالاج أمير كاتسينا تحت قيادة الشّيخ الشيخ عثمان بن فودي وغزت كلّ المناطق المجاورة لحصن القضاوا فأصبحت غوبر ضعيفة لا تستطيع الدّفاع عن نفسها، وفي هذه الأثناء وصلت الإمدادات الّتي طلبها محمّد بلّو من أتباعه في بلاد الهوسا وخرج بها في فصل الخريف من هذه السّنة، فباتوا ليلتهم قرب الحصن ثمّ تجهّزوا واتّجه الجيش بقيادة محمّد نمود، وهاجم الحصن من ناحية الشّمال، واتّجه محمد بلّو وعلي جيد إليه من ناحية الشّرق، وشاركهم عمر دالاج الّذي حاصر الحصن من ناحيتي الغرب والجنوب، ونتيجة لهذا التّطويق المحكم سقطت عاصمة غوبر، وقتل ملكها ينفا، ومن معه من رجال دولته، ثمّ أرسل محمّد بلّو بريداً إلى الشّيخ يخبره بأمر الفتح، فخرج الشّيخ وبشّر النّاس بذلك (1)، وفرح المجاهدون فرحاً شديداً بهذا الفتح الذي أ ذلّ المشركين ذلاً كثيراً، وانكسرت شوكتهم، وتاب بعضهم واستقام أمر البلاد واطمأنّت جوانبها(2).وكنتيجة لهذا الفتح خضعت مملكة غوبر، وخضع معها الكثير من الملوك لأنّهم لم يتوقّعوا سقوط هذه المملكة القوية وحصونها المنيعة، ولم تتوقّف حركة الجهاد فقد كانت نار الحرب مشتعلة في كل بلاد الهوسا، فبعد طرد ملك غوبر ينفا أرسل الشّيخ عثمان بن فودي إلى جميع ملوك الهوسا يدعوهم أن ينصروا دين الله، ويعينوه على إقامة الدّين، فتكبّروا وأبوا (3)، فواصلت جيوش المجاهدين معاركهم في بلاد زبرما وغرم ونفي وكثير من بلاد الوثنيين، وتمّ فتحها وفتحت معها بورنو وغوار، وبحلول سنة 1809م، كانت جميع ولايات الهوسا الرّئيسية قد استسلمت وفرّ سلاطينها، رغم قوّتهم الّتي تفوق قوّات الشّيخ وجماعته في العدد والعدّة، بعد أربع سنوات من المعارك العنيفة خاصّة في غوبر(4)

3- الخلاف مع بورنو:

لمّا ضيّق المجاهدون من جماعة الشّيخ عثمان بن فودي على ملوك الهوسا دورا وكاتسينا وكتو، بعثوا إلى أمير بورنو يستنجدونه، فأرسل وزيره يخبرهم بنصرتهم والمسير إليهم، فبعث بالسّرايا والغارات، ثم خرج

(1) نفسه، ص151.
(2) محمد بلوّ، المصدر السّابق، ص151.
(3) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص130.
(4) موري لاست، دولة الخلافة في سوكوتو وبلاد برنو، تاريخ افريقيا العام، المجلد6، اليونسكو،1996، ص630.

بنفسه وهاجم الجماعة فردّه الله منهزماً، أمّا المنتسبون من جماعة الشّيخ في بورنو حينما سمعوا بتأهّب ملك بورنو لإنجاد ملوك الهوسا أحسّوا بالخطر عليهم فأخذوا يهاجرون خوفا من الانتقام[1].

ولمّا تفاقم أمر الجهاد ضدّ ملك بورنو، وحدثت الفوضى في أرضه أرسل الشّيخ الحاج آدم يسأل عن هذا الأمر، ويلتمس من الشّيخ أن يمنع الفولاّنيين من الهجرة من بلاده فكتب إليه الشّيخ كتابا يشرح له سبب القتال بينهما، بأن قتالهم ليس بسبب كفرهم بالأصالة، وإنما قاتلناهم لابتدائهم لنا بالقتال واعتدائهم علينا موالاة للكفّار، وتعصبا لهم ونصرة لهم، ولا جرم أن ذلك يوجب الحكم بارتدادهم، وإن كان سبق لهم الإسلام الصّحيح، وبين فيه أحوال ملوك الهوسا بأنهم كفّار، وأن موالاتهم كفر وارتداد عن ملّة الإسلام[2].

بعد توحيد كلّ إمارات الهوسا تحت ظلّ الخلافة الفودية تمّ بناء مدينة سوكوتو، انطلاقاً من كون المدينة في الفكر الإسلامي هي سبيل الملك، لأنّ الملك بالجند والجند بالمال والمال بالعمارة، وهذا يحيل على أنّ المدينة هي المحرّك الأساسي للحركة الاقتصادية [3]، ولمّا استتب الأمر ذاع صيته وانطلقت شهرته في الآفاق جاءته فروض الطّاعة تستجدى عفوه، وكان ممّن جاءه سلطان أغاديس، الّذي جاء خصّيصا لتقديم الولاء والاعتذار عمّا بدر من بعض قومه من الطّوارق الّذين كانوا على عداوتهم مع الشّيخ[4]، ممّا يؤكّد على أنّ الشّيخ عثمان بن فودي قد خلّص سكّان بلاد الهوسا من فولاّن وغير فولاّن، هذا ما يجعلنا نؤكد على أنّ انتشار الإسلام بالمنطقة أعطى طابعاً متجانساً لتنظيم الحياة في جماعات كانت بينها في الماضي فروق كبيرة ، متجاوزا بذلك الاختلافات العرقية، والثّقافية الكبيرة لهذه المنطقة الواسعة[5].

وبعد وفاة الشّيخ عثمان بن فودي 1233هـ/1817م ثارت العديد من المناطق وأعلنت عصيانها مثل غوبر وزمفرا وكبي وكاتسينا، وقد تسببت في إحداث الفوضى كما قامت بارتكاب مجازر كبيرة في

---

(1) محمد بلّو، المصدر السّابق، ص 155.

(2) عثمان بن فودي، نجم الإخوان ، المصدر السّابق، ص ص 130-131.

(3) محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، منشورات عالم المعرفة ، عدد 128 ، الكويت ، 1988 ، ص23.

(4) بوفيل، المرجع السابق، 374.

(5) جوزيف شوخت و كليفورد بوزوت،تراث الإسلام ، ترجمة محمد زهير السمهوري و حسين مؤنس ، منشورات سلسلة عالم المعرفة ، عدد 283 ، الكويت ، مايو ، 1988 ، ص 135 .

أوساط قبيلة الفولاّن، لكنّ قادة الخلافة استطاعوا إخمادها، والسّيطرة على الأوضاع مرّة أخرى [1]، وحلّ الإسلام في كلّ مكان وكيّف نفسه مع الثّقافة المحلّية والبيئة الاجتماعية في بلاد الهوسا [2]. وأصبحت الكثير من القبائل تدين بالإسلام كقبائل اليوربا الوثنية حيث تمّ السيطرة على أجزاء الشّمالية لمملكتهم بمنطقة إيلورين الّتي تمتد من مصب نهر النّيجر إلى الدّهومي، كما وصلت جيوش الدّعوة إلى جهة الجنوب الغربي ومدّت نفوذها فيه، وأسقطوا مملكة الأيو [3]، وواصلت جيوش مملكة سوكوتو الجهاد في الجزء الشّمالي الشّرقي من بلاد الهوسا في منطقة بورنو، وقد سار قادة الخلافة الشّيخ عبد الله والسّلطان محمد بلو على نهج الشّيخ عثمان بن فودي في مواصلة الجهاد وفتح البلدان الوثنية، ونشر التّعليم الإسلامي، وتعميم اللّغة العربية إلى جانب اللّغات المحلية.

من خلال هذا الفصل تعرّفنا على نشاط الشّيخ عثمان التّعليمي ودوره الكبير في نشر العلوم الّذي اتخذ في ذلك أساليب متعدّدة مثل التّعليم المباشر بعقد المجالس لتدريس مختلف علوم عصره، أو عن طريق الكتابة والتّأليف، وحرصه الكبير من أجل بناء مجتمع سليم حيث بذل جهداً للقضاء على البدع والخرافات معتمداً على منهجه الإصلاحي، والدّعوي في ذلك ومن خلال علاقته بالمجتمع واحتكاكه بالنّاس وعلاقته بالعلماء والقضايا الّتي أثاروها تبيّن مدى انحطاط القيم وخطورة الأوضاع الّتي ميّزت بلاد الهوسا، وكذلك علاقته بملوك بلاد الهوسا الّتي تطوّرت حسب الظّروف إلى أن أصبحت أكثر عدائية خاصة بعد تنامي جماعة الشّيخ وصلت إلى حدّ الاقتتال، وتعرّفنا على دوافع جهاده، وقيامه بالهجرة الكبيرة مع أتباعه إلى غدو، وتأسيس الجماعة، ومن ثمّ مبايعته كأمير للمؤمنين، وإعلانه الجهاد وبداية القتال والمعارك الّتي دارت بينه وبين حكام الهوسا، الّتي انتهت بسقوط هذه الامارات الواحدة تلو الأخرى في يد الشّيخ عثمان بن فودي وبعد هذه الجهود الكبيرة، في الإصلاح والتّجديد والدّعوة إلى الرّجوع إلى الإسلام الصّحيح وسنوات

---

(1) le chatelier, alfred ، l'islam dans l'afrique occidentale g. Ste1nheil, éditeur, paris, 1899, p117.

(2) جوزيف شوخت وكليفورد بوزوت، المرجع السّابق، ص 134.

(3) فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 292.

الجهاد تمّ سقوط الوثنيــة وتوحيد هذه الامارات في مملكة واحدة، عرفت باسم الخلافة السّوكوتية الإسلامية الّتي غيّرت مجرى الأحداث في المنطقة.

- فما هي أهمّ خصائص النّظام السّياسي والإداري لهذه الخلافة ؟.كيف كان نظامها الاقتصادي وسياستها المالية ؟. وما مدى مساهمتها في ترسيخ الإسلام واللغة العربية وما هي أهم مظاهر الحضارة العربية الإسلامية فيها ؟.

كل هذه التّساؤلات سنتطرق للإجابة عنها في الفصل الرّابع

الفصل الرّابع: تأثيرات حركة الشّيخ عثمان بن فودي على غرب افريقيا

- المبحث الأوّل:

تأسيس الدّولة وتنظيمها.

- المبحث الثّاني:

النّظام الاقتصادي والمالي للخلافة

- المبحث الثّالث:

ترسيخ دعائم الإسلام واللّغة العربية في بلاد الهوسا.

- المبحث الرّابع:

انتشار مظاهر الحضارة العربية الإسلامية.

عالجنا في الفصل الثّالث حركة الشّيخ عثمان بن فودي الجهادية وكيف انتقلت من مرحلة الدّعوة إلى مرحلة الجهاد، وذلك بعد توتر العلاقة بينه وبين حكام بلاد الهوسا وظهور الجماعة كقوة انفصالية حيث بدأت مرحلة الانفلات السّياسي الّذي دعا إليه الشّيخ، وجسّده بهجرته، ثمّ مبايعته كأمير للمؤمنين لتظهر معالم مملكة إسلامية فصلت فيها معارك الجهاد، كيف تأسست هذه المملكة ؟ وكيف كان نظامها الاقتصادي والمالي؟ وما مدي تأثير هذه الدّولة في ترسيخ الإسلام واللّغة العربية ؟ وما هي أهمّ مظاهر الحضارة العربية الإسلامية فيها؟ وما مدى تأثيرها في الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا ؟.

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل.

المبحث الأوّل: تأسيس الدّولة وتنظيمها.

1- تأسيس الدّولة:

لقد أسّس الشّيخ عثمان بن فودي مملكة إسلامية في بلاد الهوسا عاصمتها سوكوتو على منهج الخلافة الإسلامية، توضّحت معالمها بعد عدّة مراحل بيّنها في كتابه نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزّمان وكانت أولى مراحلها الدّعوة إلي الإسلام، وإصلاح المجتمع ببيان ما يعتقد، وما يباح وما يترك في دين الله وإزالة الشّبهة والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وترهيب النّاس من المعاصي وترغيبهم في العبادة، ثم القيام بالهجرة لوجوبها، ثم أخذ البيعة من المسلمين، واتّخاذ لقب أمير المؤمنين، ثمّ الجهاد ضدّ ملوك الهوسا وأخذ العدّة لذلك، ثم ظهور المملكة وتنظيم جيشها وتقسيم البلاد إلى ولايات، وتأمير على كلّ ولاية أمير وتأمير الخازن، والكتّاب، والرّسل إلى الملوك، والعاملين لشؤون المملكة، وتعيين القضاة، وتعيين أمير الحج(1).

2- النّظام السّياسي والإداري:

بعد س نوات الجهاد وتوحيد البلاد، واجهت الخلافة الكثير من المشاكل من النّاحية الإدارية والدّفاعية، فبعد التّقليد الطّويل للأنظمة السّابقة لبلاد الهوسا أصبحت هذه الأمور مطلوبة لتسهيل تسيير إمارات الخلافة الجديدة، فهذا التّشكل والتّعديل في المؤسّسات التّقليدية، وإنشاء مؤسّسات أخرى جديدة نتج عنه تحوّل جذري في هياكل الخلافة في مختلف التّنظيمات الإدارية وحتّى الأجهزة العسكرية الّتي نمت وتطوّرت بسرعة(2).

---

(1) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص25-26.

(2) Josephp.S. Maldone, Op.cit, P 38.

3- الخلافة:

الخلافة في اللّغة هي النّيابة على الغير، وفي الاصطلاح الفقهي تعني المركز الأوّل في الدّولة الإسلامية وقد اتّخذ نظام الخلافة الإسلامية أشكالاً مختلفة فكان الخليفة يتمتّع بصلاحيات تضيق أو تتّسع حسب كل عهد من العهود الّتي عرفتها ابتداءً من عهد الخلفاء الرّاشدين إلى اليوم، ويعرفها الشّيخ عبد الكريم المغيلـــي: " فإنّ الإمارة خلافة من الله، ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعظـــم فضلها وما أثقل حملها" (1)، فالإمارة أو الخلافة ركن عظيم في الإسلام، وهي واجبة شرعاً بالإجماع، ولعظمها أدخلها بعض العلماء في كتب العقائد(2)، وهذا ما تشاور عليه جماعة الشّيخ بأنّ لا يتركوا النّاس هملا فوقع الاختيار على أن يكون الشّيخ عثمان بن فودي أميراً عليهم، فبويع بالخلافة على السّمع والطّاعة، وبايع هو على الكتاب والسّنّة ولقّب بأمير المؤمنين، وقد قال بعدم جواز ترك المسلمين هملا دون خليفة يسوسهم، وذكر ذلك في المسألة الثّانية من كتابه المسائل المهمّة التي يحتاج إلى معرفتها أهل السّودان حيث يقول:" إن الدّخول في بيعة أمير المؤمنين واجب على كلّ مسلم إن وجد" (3)، و يعتبر الخليفة رئيس هذا المجتمع الإسلامي، لذا يتطلّب صفات معيّنة وشروطاً لاختياره منها العلم والورع والسّن باعتبارها شروطا مهمة تؤهّله لهذا المنصب (4)، وفي العاصمة سوكوتو وضعت أولوية قصوى في اختيار الخليفة حيث شُكّل مجلس لاختيارهأطلق عليه مجلس الاختيار، ويتكوّن هذا المجلس من الوزير، والقائد العام، وحاكم كبي وممثّلي جماعات الفولاني الرّئيسية، وأمير الجيوش في كوني وغيرهم (5)، وباتّساع رقعة الخلافة زادت أعباء الخلافة وازدادت معها المسؤوليات فكوّن الخليفة مجلسين استعان بهما : أحدهما استشاري، والآخر تنفيذي ويعيّن الخليفة معظم أعضاء هذا المجلس ممّن تتوفّر فيهم الشّروط، ويتولّى هؤلاء الأعضاء تطبيق الأوامر الصّادرة من

---

(1) عبد الكريم المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، ط1، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت 1994، ص 15.

(2) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص ص162.

(3) عثمان بن فودي، المسائل المهمة، المصدر السّابق، ص188.

(4) محمد لواء الدين احمد، الإسلام في نيجيريا، ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط1، دار الكتب العلمية 2009، بيروت ص138.

(5) نفسه، ص138.

طرف أمير المؤمنين، وذلك وفق ما حددته الشّريعة الإسلامية[1].

4- الشّورى في اختيار الحاكم:

تميّزت خلافة سوكوتو أنّ مؤسّسها لم يكن مجرّد بطلا أو رجل سياسة، بل كان رجل علم وفكر ثاقب حيث أنّه لم يستأثر بالحكم لمّا ظفر به، بل تركه قسمة بين أخيه عبد الله وابنه محمد بلّو، وكرّس نفسه وحياته للعلم، والتّدريس، واعتباراً لهذا فقد أسّس لفكر ومنهج حياة طبّقه بعد ما تهيّأت له الظّروف، وهي أنّ الملك لمستحقّيه لا لوارثه، وأنّ الأمر شورى بين المسلمين[2].

يعدّ الشّيخ عثمان بن فودي بحق أوّل من طبّق الشّريعة الإسلامية في خلافته في القرن الثّالث عشر الهجري الموافق لبداية القرن التّاسع عشر ميلادي [3]كما وضع قاعدة للفكر السّياسي في بلاد الهوسا، وبين نظام الحكم والولاية في الكثير من مؤلّفاته مثل كتابه أصول الولاية وشروطها حيث قال أنّها مبنية على ملازمة الكتاب والسّنّة وترك الأهواء والبدع [4] وقد حدّد في كتابه الفرق بين ولايات أهل الإسلام وولايات أهل الكفر أسس الولاية وأركانها جاعلاً منها دستوراً تقف عنده الأمّة، أمّا أسسها فحدّدها في عدّة أمور منها: التزام المشورة مع العدل والإحسان، وألاّ تعطى الولاية لطالبها ، وترك الفظاظة، كما حدّد أركانها في أربعة أمور هي: وزير صادق، ينبّه السّلطان إذا نام، ويذكره إذا نسي ، وقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضّعيف من القويّ ، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرّعية [5]، كما بين في كتابه أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل وصايا للحكّام وجب الوقوف عندها والتّحلّي بها حتّى يستقيم أمر الرّعية[6].

---

(1) إبراهيم عبدا لله عبد الرزاق، الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت، ص ص 118-121.

(2) أحمد شلبي، المرجع السّابق، ص 287.

(3) إبراهيم عبدا لله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص 113.

(4) عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها ،تح: عمر بلو ما لم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013، ص3.

(5) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص ص 194-195.

(6) عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، تح: ثاني يوسف برنن تد ، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.

5- اللّغة الرّسمية للدولة:

تعتبر اللّغة أمر حاسم يبيّن شكل الدّولة في انتمائها الحضاري، ومن القرارات الحاسمة الّتي اتّخذتها خلافة سوكوتو أن أصبحت اللّغة العربية تمثّل اللّغة الرّسمية[1]، فكانت تصدر بها مختلف المراسيم، كما تجرى بها المراسلات، والمكاتبات في الشّؤون الدّاخلية، والعلاقات الخارجية، هذا إلى جانب استعمالها في الشّعائر الدّينية، ولغة التّدريس والتّعليم والتّأليف نثراً وشعراً [2]وبذلك أصبحت اللّغة العربية مظهراً أساسياً تدار به مختلف الشّؤون العامّة، والمعاملات الخاصّة للخلافة في سوكوتو.

6- الوزارة:

النّظام الّذي ساد في خلافة سوكوتو ما هو إلاّ استمرار ما استنّه الشّيخ عثمان بن فودي[3] فقد نظّم دولته وسّياسته السّلطانية على نهج الخلافة الإسلامية في نظمها من المناصب العليا ومختلف الدّواوين، وكان للوزارة ومستشاري الدّولة أهمية كبرى، وقد اعتبرها خلفاء سوكوتو من المناصب الهامّة وتأتي في الدّرجة الثّانية بعد منصب أمير المؤمنين فيما يتعلّق بالأحكام، والتّأليف والتّدوين [4]، وقد جعل الشّيخ الوزارة ركن من أركان الولاية لا تقام إلا بوزير صدوق يساهم في بناء الأمّة ينبّه السّلطان إذا نام، ويذكّره إذا نسي، ويؤكّد الشّيخ عثمان أنّ من شرّ البلية، والمصائب على الولاّة، والرّعية أن يحرموا خدمة الوزراء[5].

ولهذا المنصب كان يعين فيه من تتوفر فيهم الشّروط والصّفات كالعلم والورع والحزم وكان الشّيخ عبد الله بن فودي أوّل الوزراء في خلافة سوكوتو وحمل لقب الوزير الأعظم، وكان من الملازمين لأخيه عثمان بن فودي لا يفارقه في كل الأحوال ومن الوزراء المهمّين أيضاً الوزير عمر الكـوني وهو من الأصدقـاء المقرّبيـــن

(1) محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريديه، المرجع السّابق، 2007، ص 195.
(2) محمد مي أبوبكر، أثر اللغة العربية في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار،المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، 7-10 ماي 2014، ص 3.
(3) محمد بن على بن محمد السكاكر، محمد بل والدولة الصكتية في عهده1232-1235هـ/1817-1837م، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 2000، ص 120.
(4) محمد لواء الدين أحمد، المرجع السّابق، ص138.
(5) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص194.

للشّيخ عثمان بن فودي(1).كما يعدّ الوزير الواسطة بين الخليفة والإمارات(2).

7- الإمارة والأمراء:

من النّظم الإدارية الّتي اتّخذتها خلافة سوكوتو هي تقسيم البلاد إلى ولايات قصد تسهيل تسيير شؤونها، وقد كانت مقسّمة أثناء فترة الجهاد؛ حيث عيّن الشّيخ عثمان بن فودي أمراء على الأقاليم وعقد لهم الألوية فكان الشّيخ يفصل في أيّ نزاع حول القيادة، وكان لكلّ ولاية أميرها، ومعه عمال كالوزير وقائد الجند والإمام الأكبر، وقاضي القضاة، وكبار العلماء، وعمال الولايات (3)، ولماّ استتبّ حكم بلاد الهوسا وتمّ توحيد إماراتها السّبع قام الشّيخ عثمان بن فودي بقسميها إلى قسمين؛ حيث نصّب أخاه الوزير الأكبر عبد الله على سائر البلاد الشّرقية(4) وعاصمتها جواندو الّتي تبعد مائة ميل من سوكوتو، وتعاقب عليها سلاطين من نسل عبد الله بن فودي (5). وقد شمل هذا القسم الامارات التّالية: نوبيNupe،واللورينIllorin، وكبيKappi، ويوري Youri وقرما Gorma، وزبرما Zaberma وكامبا Kamba، وأريوا Arewa ، ودندي Dendi وبورجو Borgu، ولبتاكو (Liptako)(6)، أمّا أمّا القسم الثّاني فـنصّب عليه ابنه محمد بلّو على سائر البلاد الغربية، حيث قام بدوره بتعيين نوابه في الأقاليم ومن العمال (7) الّذين استعملهم سليمان بن أبجم حاكماً على كانو، وعمر دلاج حاكماً على كاتسينا، ويعقوب علي حاكماً على بوشي، وبوبايرو حاكماً على غمبي وموسى حاكماً على زاريا وإسحـاق حاكمـاً على دورا وعبـد الله حاكمـاً عـلى كبي، وإبراهيـم زاك حاكمـاً عـلى بورنـو وكتاغم(8).

---

(1) محمّد بلّو، المصدر السّابق،ص 211.
(2) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص ص 123-125.
(3) محمد لواء الدين احمد، المرجع السّابق، ص139.
(4) محمد بلو، المصدر السّابق، ص 213،
(5) أحمد شلبي، المرجع السّابق، ص 286.
(6) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السّابق،ص ص 53.
(7) ذكرهم محمّد بلّو هكذا بهذه الأسماء دون ذكر ألقابهم، ربما يكون هؤلاء من الأصدقاء المقرّبين الذين حملوا معه لواء الجهاء.
(8) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 213، آدم عبد الله الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السّابق، ص 160.

لقد كان اختيار النّواب على الأقاليم بتعين مباشر من السّلطان لكونه على دراية بكفاءتهم وتحمـــــل المسؤولية، أمّا عاصمة هذا القسم سوكوتو حيث تعاقب على حكمها ستّة عشر سلطانا [1] من بينهم تسعة فقط من نسله[2].

ونظرا لكون المملكة في بداية تأسيسها لم يكن من السّهل تسييرها بنظام إداري يربط جميع هذه الامارات بميزان واحد، لهذا كان نظام الإمارة في خلافة سوكوتو مركزيا، تحت قيادة العاصمة سوكوتو وكانت هذه الإمارات تتمتّع بنوع من الاستقلال الذّاتي في ممارستها لنظمها الدّاخلية، وأمرها مرهون بتطبيق الدّين الإسلامي شرائعه ونظمه، وكلّما كان النّظام الإداري قوياً وناجحاً ساعد على استقرار الإمارة، واستمراره لمدّة طويلة[3]، وما تميّزت به هذه الإمارات هو الاستقرار والقوة؛ وذلك يعود إلى قوّة الأشخاص الّذين حكموا هذه الإمارات وأغلبهم ممن تمّ تعيينهم من طرف الشّيخ عثمان بن فودي، فقد كانوا من العلماء البارزين وحملة الرّايات الّذين اشتركوا في عمليات الجهاد[4].

8- الجيش:

كان للجانب العسكري دوره الكبير في المملكة، فالجيوش الّتي تعبّأت للجهاد كانت الفيصل في حسم المعارك وكانت تضمّ جميع القبائل الّتي دخلت تحت لواء الشّيخ عثمان بن فودي، ومن أبرزها قبائل الفولاّني ولهوسا، بالإضافة إلى بعض قبائل البورنو والطوارق واليوربا، والإيبو، وغيرها [5]، لم يكن في خلافة سوكوتو جيشاً خاصاً وموحداً يضمّ جميع الإمارات ويخضع لسلطة مباشرة للخليفة أو وزير أو قائد جيش[6]، بل كانت كلّ إمارة وحدة مستقلّة بذاتها في تّنظيمها العسكري، من حيث التّجنيد والتّسليح والتّدريب، وفي الحالات الاضطرارية تستدعى الجيوش من هذه الامارات للقيام بمختلف العمليات

(1) أنظر سلسلة سلاطين خلافة سكوتو في الملحق رقم 10..
(2) أحمد شلبي، المرجع السّابق، ص286.
(3) محمد السّكاكر، محمّد بل والدولة الصكتية، المرجع السّابق، ص 131.
(4) إبراهيم عبدا لله عبد الرزاق، المرجع السّابق،ص 51.
(5) أحمد شلبي، المرجع السّابق،ص578.
(6) محمد السكاكر، محمد بل والدولة الصكتية ، المرجع السّابق، ص141.

العسكرية، والحملات الرّئيسية للخلافة لردّ العدوان الخارجي أو تقوم بمهام أخرى كجمع المؤونة للجيش والقيام بحملات تأديبية للقبائل المتمردة ثمّ تعود إلى مراكزها في هذه الإمارات لتنتظر أوامر جديدة من قـــادة المملكة كالخليفة أو قادة الجيوش(1).

وقد كان الأمراء يقودون الجيوش في الحروب الّتي يقومون بها ضدّ المناطق المجاورة، أو ضدّ القبائل الوثنية المتمرّدة داخل إماراتهم، حيث أنّ مهمّة القيادة العسكرية في هذه الإمارات هي العمل على حماية الجيش، والمحافظة عليه، واختيار مواقع المعارك، وتزويد الجنود بالعتاد والأسلحة، وحثّهم على الجهاد في سبيل الله، و توزيع الغنائم بعد نهاية المعارك، و كان الخليفة في بعض الأحيان يعيّن الموظّفين لقيادة الجيوش، وعلى مستوى الإمارات فالقيادة العسكرية هي من مسؤولية قائد الجيش، ومع ذلك كان الأمير يعيّن بعض القواد لأغراض خاصّة(2)، ومن أشهر القادة العسكريين الّذين قادوا معارك الجهاد القائد عبد الله بن فودي ومحمّد بلّو بن عثمان، والقائد الترّقي آغال، والقائد على جيد الّذي لقّب أمير الجيوش(3).

9- أقسام الجيش:

ينقسم الجيش في خلافة سوكوتو إلى قسمين: مشاة وفرسان، وكان المشاة أكثر عدداً في قوات المملكة وتتكّون من حاملي السّيوف والحراب، والرّماح، والدّروع، وكان ترتيب الجيش يتماشى مع ما عرفته تقاليد الجيوش الإسلامية في ترتيبها، من صدر ثابت مكوّن من الأبطال وهو مقدّمة الجيش أو القلب وجناحيــن من سائر الخيل والرّجال وهما الميمنة والميسرة(4).

10- عدّة الجيش:

عند ما بدأت المناوشات بين الملك ينفا والشّيخ عثمان بن فودي بدأ التّحضير الفعلي لحركة الجهاد وكان التّجهيز بالسلاح في بداية الأمر غاية في الصعوبة، حيث اعتمدت جماعة الشّيخ عثمان بن فودي

______

(1) محمد لواء الدين أحمد، المرجع السّابق، ص140.
(2) إبراهيم عبدا لله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص ص142-145.
(3) علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص ص84-85.
(4) عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين ، المصدر السّابق، ص27.

بتسليح نفسها بناء على أوامره تحسبا لأي طارئ وتحضيرا مسبقاً للجهاد، وبعد عدة معارك غنم أسلحة كثيرة استخدمها في تجهيز جيشه، فأكسبته قوة ومهابة وتدعّمت قواته ومن آلات الحـرب الّتي اعتمدت في حروبه ومعاركه أسلحـة متنوّعة لكنّها تقليدية متمثّلة في الرّماح، والسّيوف(1)، والنّبال، والحراب، والتّروس والدّروع، كما كانوا يسخدمون الخيول(2)، في معاركهم وتنقّلاتهم الكثيرة، بالإضافة إلى الحمير والبغال لنقل متاعهم وقوتهم لأنّهم كانوا في حالة حرب مستمرّة، لذلك فإنّهم كانوا في بحث مستمر عن المؤونة من جهة وفي تنقل دائم من مكان لآخر بحثا عن أماكن للرّاحة من جهة أخرى.

وبحلول منتصف القرن التّاسع عشر أصبحت الخلافة نموذجاً متطوراً للجيش المنظّم الّذي يشمل كلاًّ من البنية القويّة الهجومية المؤلّفة من الفرسان والمشاة، ونظام الدّفاع الثّابت المتقدّم المتمثّل في التّحصينات الحدودية في عهد الخليفة محمّد بلّو (3).

11- جهاز الشّرطة:

من الوظائف الهامّة في الدّولة وظيفة صاحب الشّرطة، الّذي يعتمد عليه الخليفة أو الوالي في مسؤولياته المختلفة، وهي وظيفة دينية، مهمّتها الأساسية حفظ النّظام واستتباب الأمن، كما تقوم بفرض العقوبات، وإقامة الحدود، ومعاقبة المجرمين بالتّعزير والتّأديب(4)، ولأهمّيتها فقد كانت من بين اهتمامات الشّيخ عثمان بن فودي حيث أكّد في كتابه الفرق بين ولايات أهل الإسلام وولايات أهل الكفر ضرورة تعيين رئيس الشّرطة، الّذي ينشر الأمن والعدل بين الرّعية، وينصف الضّعيف على القوّي (5)، خاصة وأنّ الظّلم كان منتشراً لذلك كان حفظ الأمن من الأولويات الّتي يجب توفيرها. وهذا ما جرت علية العادة في السّياسات السّلطانية في كثير من البلاد الإسلامية فبعد صلاة العشاء يخرج الحاكم وأعوانه من الشّرطة

(1) أنظر أسلحة الرّماح والسّيوف في الملحقين رقم 11، 12.

(2) عثمان بن فودي، نجم الإخوان ، المصدر السّابق، ص25

(3) Josephp.S.Maldone, Op.cit, P 38.

(4) ابن خلدون، المقدمة، المصدر السّابق، ص231، حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص 217.

(5) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص195.

ويطوف في البلاد، وكلّ من صادفوه أو من وجد في مكان جريمة رموه في السّجن، وينظر في أمره في الصّباح، إلاّ رجلا معروفا بالخير خرج لقضاء حاجته [1]، وكان من بين من استعملهم الشّيخ على جهاز الشّرطة محمّد بن محمّد بندوري والحسن أسكي [2]، كما كان للخليفة محمّد بلّو دوره الكبير في توفير الأمن حيث سعى بكلّ الجهود لتحقيقه.

12- القضاء:

كان القانون في بلاد الهوسا مبني اً على العادات والتّقاليد المحلّية، وبموجبها كانت تصدر الأحكام القضائية من الزّعماء، والشّيوخ، والملوك، فـلكلّ عائلة حاكمها، و لكلّ قبيلة قاضيها، والملك هو قاضي القضاة، هذه الأساليب القديمة الّتي سار عليها القضاء تغيّرت بظهور القضاء الإسلامي في القرن الثّالث عشر ميلادي، وأصبحت أحكامه لها مصادرها التّشريعية بدء من الكتاب والسّنة، إلى الإجماع والقياس خاصّة على مذهب الإمام مالك، كما أنّ القضاة كانوا يختارون من العلماء والفقهاء المشهورين بالورع والتّقوى، من أبرز ممّن تصدّروا هذه الوظيفة قاضي القضاة الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي على مدينتي كانو وكاتسينا الّذي ترك آثاراً كثيرة منها وصيّة جامعة للقضاة تخصّ أصول الاجتهاد والقياس[3]، إذ كانت بمثابة دليل يهتدي به العلماء، ومصدر للاستشار ة القانونية للحكّام، يستعينون بها على خدمة البلاد والعباد.

وقد أولت خلافة سوكوتو اهتمامها بالقضاء، حيث كان قادة الجهاد يأمرون بالمعرف وينهون عن المنكر ويقفون على المظالم بأنفسهم [4]، كما أن الشّيخ عثمان بن فودي عيّن القضاة في الأقاليم لإقامة الحدود وقام على قهر الظّلمة المتسلّطين وقطاع الطّرق واللّصوص، والوقوف على كلّ مشاغل الرّعية [5]، إلاّ أن القضاء في بداية الأمر استقلّ عن السّلطة التّنفيذية، وكان القضاة يطبّقون الشّريعة الإسلامية على مذهب

---

(1) Celeste Intartaglia, Op.cit, p163.

(2) علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص 84.

(3) آدم عبد الله الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السّابق، ص132-133.

(4) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 153.

(5) عبد الله آدم الآلوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية، المرجع السّابق،1946، ص 284.

الإمام مالك[1]، ومن جانب آخر فقد عرف عن القضاة في المملكة تبحّرهم في العلوم الشّرعية وقوّة معرفتهم بمقاصد الشّريع وأحكامها وغنى مكتباتهم بالمؤلّفات الفقهية ومختلف العلوم الأخرى [2]. وعليه سارت الخلافة بخطى ثابتة في تطبيق الشّريعة، وإحقاق الحقّ وهدم الباطل، فانتشر العدل وساد الرّخاء والنّماء.

وقد أوضح الشّيخ عثمان بن فودي بأنّه من الواجب على أمير المؤمنين أن يتّقى الله وأن يتّبع خصال أهل الإسلام في ولاياتهم ، وان ينصّب قاضياً مرضياً شرعاً، وأن يجعل الخليفة مرجعه الأعلى، وأن ينهي عن تنفيذ الأحكام الشّرعية إلاّ بعد مراجعته هو[3]، كما أوضح الشّيخ عثمان في كتابه الفرق بين ولايات أهل الإسلام و ولايات أهل الكفر أنّ القاضي العادل ركن من أركان الولاية، واشترط أن يكون القاضي حازماً لا تأخذه في الله لومة لائم بالنّطق عند الحق[4]. لذلك نجد أنّ الشّيخ عثمان بن فودي قد اختار من تتوفّر فيه هذه الشّروط، حيث عيّن قضاة أكفّاء من بين علماء مقتدرين تنطبق عليهم شروط اختيار القاضي منهم: محمّد سنبو إمام مساعد ورئيس قضاة، وأبو بكر لادان رئيس القضاة[5].

13- المظالم:

لم يغفل قادة الخلافة على نشر العدل بين النّاس، فكان من أولوياتهم السّهر على استتباب الأمن بإقرار العدل، فكان الشّيخ يقف بنفسه على حلّ المشاكل الّتي ترد إليه من حين لآخر، فكان ينظر في المظالم ويبيّن وجه الشّرع فيها، وعلى إثرها يكون إصدار الحكم، ولأهمّية المظالم في إحلال العدل،كان العلماء قد وضعوا لها شروطاً لمن أراد أن يتصدّر لهذه المهمّة الخطيرة، منها أن يكون من شروط النّاظر فيها

(1) احمد شلبي، المرجع السّابق، ص288.
(2) حسن حسن إبراهيم، انتشار الإسلام و الثقافة العربية في افريقيا، ص123.
(3) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص188.
(4) نفسه، ص194.
(5) علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص 84.

جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفّة، قليل الطّمع، كثير الورع [1]، وهذا ما تميّز به الشّيخ عثمانبن فودي، والخليفة محمّد بلّو من بعده.

14- الحسبة:

كان لمنصب المحتسب في خلافة سوكوتو أهمية كبرى بل كانت في بعض الأحيان أهم من منصب قاضي القضاة لأنه في خلافة سوكوتو يجمع بين الشّرع والسّياسة[2]، ومنها قامت الحسبة بدورها إلى جانب القضاء والمظالم في إحلال العدل، والأمن بين النّاس في خلافة سوكوتو، فهي وظيفة دينية مهمّتها الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ولأهمّيتها كان يستعمل عليها من هوّ أهل لها لحمل النّاس على المصلحة العامّة[3] فالمحتسب هو المسؤول عن الأسواق والآداب العامة وقد حدّد العلماء شروطاً لمن وكّلت له هذه الوظيفة لعلاقتها بالنّاس، ومنها أن يكون فقيهاً عارفاً بأحكام الشّريعة، حرّاً ذا صرامة، وخشونة في الدّين فطناً لا يميل، ولا يرتشي[4]، ولإقامة العدل في المكاييل و الموازين أمر الشّيخ عثمان بن فودي بتعين أمين السّوق وهو ما يعرف بالمحتسب، ليحفظ مصالح النّاس من الغشّاشين، ومن مهام المحتسب أيضا إصلاح الموازين والمكاييل لكلّ بلد على نسبة واحدة، صغيرها، وكبيرها، ومراقبتها باستمرار ومن ثبتت خيانته من التّجار يعاقب ويتمّ إخراجه من أسواق المسلمين[5].

15- موقف الخلافة من غير المسلمين:

من القضايا الخطيرة الّتي عالجتها خلافة سوكوتو معاملة أهل الذّمة من المقيمين فيها من النّصارى

---

(1) الماوردي ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ط 1، تح: أحمد المبارك البغدادي، مكتبة دار بن قتيبة، الكويت، 1989 ص 102.
(2) السّيد أحمد العراقي، بلاد إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ الدور الحضاري و الثقافي، رسالة التقريب، ع58، 2015، ص 188.
(3) ابن خلدون،المقدمة، ص233. الماوردي ، المرجع السّابق، ص 315. أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 235.
(4) الماوردي، المرجع السّابق، ص 315- 316.
(5) عثمان بن فودي، سراج الإخوان،ص 164.

والوثنيين، حيث التزمت بالتّعامل معهم وفق ما حدّدته الشّريعة الإسلامية [1]، من حرية التّدين قال تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [2]، لقد كان احترام أهل الذّمة من غير المسلمين حقّاً مكفولاً لهم، حيث كانت الكثير من القبائل قد بقيت على وثنيتها، فكانت تمارس طقوسها الدّينية بكلّ حرّية ما لم تغيّر أو تمتنع عن دفع الجزية، وهكذا استتبّ الأمن وازدهرت الحياة في أرجاء المملكة.فكان هذا دلالة على سعة اطّلاع قيادة الخلافة على علوم الشّريعة الإسلامية وتفقّههم في الدّين ورجاحة العقل، وحسن التّدبير من جهة، ودرايتهم بسياسة الأمم ونظمها خاصّة في البلاد الإسلامية من جهة أخرى.

المبحث الثّاني: النّظام الاقتصادي والمالي لخلافة سوكوتو:

لقد كان لظهور خلافة سوكوتو تأثيرات على المنطقة، بحيث تغيّرت قوانين الحكّام السّابقين، وظهرت مكانها قوانين وأنظمة نابعة من أصول الدّين الإسلامي، طبّقها الشّيخ عثمان بن فودي وواصل مسيرته خلفاؤه من بعده، ولقد مسّت هذه القوانين والتّنظيمات كلّ جوانب الحياة، منها النّظام الاقتصادي وطرق تسييره وفق ما سطّرته الشّريعة الإسلامية ، واهتم الشّيخ عثمان بن فودي في خلافته الجديدة بالسّياسة الاقتصادية، وكان اعتمادهم في بداية الأمر على الزّراعة والرّعي إلى جانب ذلك بعض الصّناعات الحرفية والتّقليدية. وقد منح للجانب المالي اهتمام اً بالغاً مثل الضّرائب الّتي تساهم بقدر كبير في إنعاش الاقتصاد بالإضافة إلى تنامي التّجارة العابرة لأراضي الدّولة [3]، هذا وكان تطبيق وجه الشّريعة الإسلامية في ذلك كلّه ومن بين أهمّ القطاعات الاقتصادية الّتي أولى لها الشّيخ عثمان بن فودي ورجال الخلافة السّوكوتية الاهتمام بالتّنظيم والتّدعيم حيث عملوا على تنميتها وتطويرها منها القطاع الزّراعي والقطاع الصّناعي والقطاع التّجاري.

1- المجال الزّراعي:

تعتبر الزّراعة قطاعاً مهمّاً وحيوياً بل محور الحياة الاقتصادية في بلاد الهوسا وقد عرفت بأسماء ومصطلحات عديدة فالهوسا يسمونها غاندي gandu، ورنجيrinji، وفي لغة الفولاّن رمدي rumde وفي

(1) محمد لواء الدين أحمد، المرجع السّابق، ص 144.
(2) الآية 6 من سورة الكافرون.
(3) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص 117.

بلاد النّوبة تنغازي Tungazi، وفي القرن التّاسع عشر أصبحت تعرف بمصطلح عام وهو غاندي gandu[1]، وما يميّز الزّراعة استخدم الطّرق البدائية واستعمال الوسائل التّقليدية مما انعكس سلباً على الإنتاج، لقد أسفر نجاح الجهاد في القرن التّاسع عشر ميلادي في إحداث تغيّرات كبيرة في سياسة كانو الاقتصادية، إذ عمدت خلافة سوكوتو على تطبيق الشّريعة فيما يتعلق بحيازة الأرض، فالأمير هو الّذي يسهر على كيفية تملكها والانتفاع بها، والتّصرف فيها، فيما كان الحكّام المجدّون يعملون على تشجيع هجرة الجماعات التي تمتلك قدرات ومهارات في المجال الزّراعي، وتقديم إغراءات لإعادة توطين السكّان الأصليين[2]، وذلك لتنمية الزّراعة عن طريق الإنتاج الأسري التّقليدي أو ما يسمّى الغانداي بمعنى مزرعة الأسرة الجماعية من جهة، وعن طريق المزارع الكبرى الّتي يعمل فيها العبيد والأتباع من جهة أخرى [3] وهكذا عمل قادة الخلافة على جلب كل ما من شأنه أن يطوّر الزّراعة و ينمّيها وكان من بين اهتمامات محمّد بلّو بناء الرّباطات، وهي عبارة عن مدن محصّنة دورها الدّفاع عن ثغور المملكة، وانتشرت الكثير من المزارع حول هذه الرّباطات، ممّا أدّى إلى توسّع العمران ما بين العاصمة سوكوتو ورباط ورنو أين يعيش الخليفة محمّد بلّو[4]، وقد لاحظ الرّحالة كلابرتون Clapperton هذا المستوى من الازدهار الّذي كانت عليه الزّراعة، حيث شاهد المزارع الواسعة في نواحي إمارة زاريا، كما شاهد انتشار الماشية بأنواعها، والخيـول في هذه المزارع[5]، وبالقرب من مدن الشّمال المتمثّلة في س وكوتو وكانو وكاتسينا وشمال زاريا نشأت منطقة زراعية دائمة، وتتميّز بمزارع صغيرة وسهلة الفلاحة، لوجود التّربة الخصبة، وتوفّر المياه الجوفية القريبة من السّطح[6]كما تمتّعت هذه المدن بإنتاج مادّة الخشب لقربها من الغابات الاستوائية، والسّافانا، الّتي وفّرت لها

---

(1) Paul E. Lovejoy،Plantations in the Economy of the Sokoto Caliphate, J A H, Vol. 19, No. 3 Cambridge University Press ,1978, p343.

(2) ج. ف. أ. أجايي، افريقيا في مطلع القرن التاسع عشر قضايا و توقعات، تاريخ افريقيا العام، ج6، ص 37 .

(3) نفسه، ص 42.

(4) Paul E. Lovejoy، Op.cit, p. 341.

(5) Clapperton and others، Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa,1822-23 and 1824, London, 1926, p343.

(6) كزافييه دو بلانهول، المرجع السّابق، ص 363.

الكثير من الأخشــاب ذات الأحجـام المختلفـة والّتي تستخـدم في العديد من المجـالات حسب الاحتياجات خاصة الّتي تتعلّق بصهر المعادن حيث يتمّ استعمالها في العديد من الصّناعات الّتي تحتاج إلى كمّيـــات كبيرة من الوقود الخشبي [1]، ومن ناحية أخرى تنوّعت المنتجات الزّراعية بين حبوب وخضر وفواكه في دولة سوكوتو؛ وأهم هذه المحاصيل القمح والشّعير والفول السّوداني والذّرة والأرز والقطن والبطاطا والسّفرجل والبّطيخ والكاكاو واللّيمون والتّين والرّمان والبصل والتّمور وجوز الهند والمانجو[2].

2- المجال الصّناعي :

عمدت خلافة سوكوتو على إيجاد طرق وحلول من أجل تنمية الصّناعة، وكانت المناطق الأكثر سكّاناً خاصّة المدن الكبرى مثل زاريا وكانو وكاتسينا وزمفرا وغيرها هي المناطق الصّناعية بالدّرجة الأولى حيث تواجدت بها أنواع من الصّناعات مثل صناعة النّسيج والصّناعة الجلدية والحديدية [3]، ومع تطوّر النّمو السّكّاني زاد تطوّرها بشكل ملحوظ؛ حيث قامت بعض الحرف والصّناعات المحلية التقليدية وذلك بالاعتماد على بعض المحاصيل الزّراعية، بالإضافة إلى بعض المعادن، كما انتشرت صناعة الملابس ممّا أدّى إلى ظهور عدة مدن صناعية جديدة مثل كورا، ورانو، وتاريا، وبوروم، وبوكور، وجاركو، وروجو وبيلي[4]، وكانت تستورد بعض المعادن مثل النّحاس من إقليم دارفور غرب السّودان لاستعماله في بعض الصّناعات مثل الأسلحة والأواني وركاب الخيل[5].

3- التّجارة:

(1) أ ج هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية، تر أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1998، ص 87، مهدي آدامو، المرجع السّابق، ص 299.

أنظر أيضا فيج جي دي، المرجع السّابق، ص 40.

(2) Clapperton and others, Op-cit, pp 173-178-216-218-219.

(3) Paul e. Lovejoy, Op.cit, p347.

(4) Ibid, p 356.

(5) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع السّابق، ص 170.

تعتبر التّجارة إحدى أهم القطاعات الحسّاسة في الاقتصاد، حيث اهتمت بها دولة الخلافة اهتماما بالغاً، نظرا لما توفّره من سلع وبضائع متنوعة، الّتي يحتاج إليها النّاس في حياتهم اليومية. وقد ساهم التّجار المسلمون في عملية التّبادل التّجاري بين خلافة سوكوتو والعالم الخارجي، وأصبح الإسلام أداة لتطوير النّظام الاقتصادي للدّولة، وصارت المعاملات الإسلامية أساس التعامل في الأسواق(1).

وبذلك نشطت التّجارة بين بلاد الهوسا و مختلف مناطق السّودان الغربي، حيث وجدت في المنطقة أسواق دولية، ففي الشّمال كانت أغاديس وبلما إذ تربط المنطقة بشمال افريقيا، وفي الوسط كانت كاتسينا وكانو حيث تؤدّي دور الوسيط بين الشّمال والجنوب، وبين الشّرق والغرب، وفي الجنوب كانت زاريا الّتي تمدّ علاقاتها مع اليوربا(2).

كان سعي قادة الخلافة حثيثاً على تنمية التّجارة، حيث عملوا على تحسين الطّرق التّجارية وحماية التّجار، وتعزيز طرق التّجارة الصحراوية (3)، فنشاط التّجارة الخارجية يدّل على نشاط حركة القوافل بين شمال افريقيا وجنوبها، إذ أصبحت بلاد الهوسا بفضل هذه التّجارة تتداول حجما لا يستهان به من السّلع فكانت تستقبل سلع بلاد المغرب وأوربّا من المرايا والورق والإبل والتّمر والحنّاء والملح والسّيوف والخيول ومقابل ذلك كانت بلاد الهوسا تصدّر منتجاتها من الجلود والتّبر والذّرة الرّفيعة وجوز الكولا ومختلف السّلع الأخرى(4)، وتقع أغلب أسواق مدن خلافة س وكوتو خارج الأسوار، وذلك لتوفير مكان فسيح تلتقي فيه القوافل التّجارية سواء كانت خارجية أم داخلية(5).

لقد قويت الأسواق في خلافة سوكوتو واشتهرت (6)، وكانت الأسواق المحلّية مقصداً لتبادل السّلع المحلّية في يوم معلوم، وإلى جانب ذلك فهي ملتقاً لتبادل الأخبار والمعلومات، وممارسة الألعاب خصوصاً في الأسواق القروية.أمّا الأسواق الكبرى فمنها ما يتواجد في المدن الكبيرة، ومنها ما يقام على طرق التّجارة

---

(1) محمد باي بلعالم، المرجع السّابق، ص 211.
(2) د، لايا، دول الهوسا، تاريخ افريقيا العام، ص533.
(3) ج. ف. أ. أجايي، المرجع السّابق، ص 43.
(4) د، لايا، المرجع السّابق، ص ص533- 535.
(5) Clapperton, Op.cit, p 174.
(6) Paul e. Lovejoy, Op.cit, p346.

والقوافل وتتميّز بمنتجاتها وسلعها الخارجية [1]، وبازدهار الزّراعة والصّناعة ازدهرت معها الأسواق وظهرت المراكز التّجارية الكبيرة، وأصبحت أكثر تنظيماً مثل سوق مدينة كانو الّذي عبّر عنه الرّحالة كلابرتون Clapperton بأنّه من أحسن أسواق إفريقيا تنظيماً، من حيث حركة البيع والشّراء، وتحديد الأسعار وإيجار المحلاّت[2]، ومع وجود هذه العلاقات التّجارية الجيدة توفّرت السّلع وتنوّع ت، ممّا أدّى إلى تنشيط حركة التّجارة الخارجية ويؤكّد هودرHodder أنّ للتّجارة الخارجية دوراً كبيراً في دعم وتنشيط حركة التّجـارة الدّاخلية المحلّية بجلب السّلع والمنتجات النّادرة والمفقودة في هذه الأسواق[3].

ونظراً لأنّ خلافة س وكوتو في حالة حرب مستمرّة مع أعدائهم الوثنيين، ومن كان يقع في الأسر يصبح رقيقا و يوزّع من جملة الغنائم على الجنود المحاربين، ولهذا كثر الرّقيق ونشطت تجارته في ولايات المملكة، وكان الأرقّاء يستخدمون في الكثير من المهام مثل حراثة الأرض وزراعتها، وقلع الأعشاب، وجني مختلف المحاصيل، وكانوا أيضا يستخدمون في مختلف المصانع المنتشرة في أرجاء المملكة، ومنهـم من يستعمـل خدمة منازل أسيادهم[4].

والجدير بالذّكر أنّه يمكن أن تتأثّر هذه التّجارة سلباً سواء الدّاخلية كانت أم الخارجية، بسبب انعدام الأمن، فإذا كانت هناك حروب فإنّها تسبب تعطّلاً للتّجارة في المناطق المعرّضة للمعارك، وهذا ما حدث أثناء الحرب الّتي دارت بين محمّد بلّو ومحمّد الأمين الكانمي في بورنو حيث استغلّ هذا الظّرف من طرف الطّوارق وأهل فزّان، واعترضوا سبيل الكثير من القوافل التّجارية مما أدّى إلى إفلاس الكثير من التّجار بضياع حمولتهم من السلع[5].

4- الأسواق التّجارية:

---

(1) د، لايا، دول الهوسا، تاريخ افريقيا العام، ص531.

(2) Paul e. Lovejoy, Op.cit, pp 253-254.

(3) w. Hodder, some comments on the origins of traditional markets in africa south of the sahara, transactions of the institute of british geographers, no. 36, 1965, pp. 97-105

(4)عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع السّابق، ص 168.

(5) Clapperton, Op.cit, p 171.

كان للسّوق دوره القويّ في الاقتصاد لذا كان من بين اهتمامات الشّيخ حيث حثّ الولاّة على الأقاليم بتنظيم أمور السّوق وإصلاحها، والوقوف على ما يحتاجه الفقراء والمساكين، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر [1]، ومن الأمور الّتي نبّه إليها وحذّر منها ظاهرة الغش، الّتي انتشرت في الأسواق، كما أمرهم بالوقوف عدلاً على تغيير المناكر الّتي تحدث فيها، كالتّطفيف في الكيل والميزان، بالزّيادة أو النّقصان والغشّ في الذّهب والفضّة بالنّحاس، أو خلط اللّبن بالماء، وردّ السّلعة لصاحبها إذا لم يجد فيها ربحا إلى غير ذلك من المناكر، وشدّد على زجر أهل الغشّ والخديعة أشدّ الجزر [2]، وأوضح أنّه من باع فليتجنّب الخلابة والخديعة، وليذكر عيب سلعته[3].

وباعتبار أنّ الأسواق مركز نشاط اقتصادي كبير حيث تدار فيها مختلف المبادلات التّجارية، و يطلق على السّوق في بلاد الهوسا اسم كازوة Kasuwa أي المكان المخصّص لعرض البضائع، والمنتجات وتبادلها بين النّاس كما أنّها تمثّل ملتقاً اجتماعياً لهم[4]، ومن الوظائف المهمّة الموجودة في السّوق كانت هناك وظيفة السّمسار دلاّلي الّتي انتشرت في كلّ أسواق بلاد الهوسا، حيث يتقاضى نسبة مئوية من المبيعات مقابل خدماته، وكان هذا الأخير له دراية بكلّ أسعار المنطقة، وله أن يتوقّع ارتفاع الأسعار وانخفاضها، وتغيّرات العرض والطّلب[5].

5- المكاييل و الموازين:

من المعالم الحضارية الهامّة مشاركة شعوب السّودان الغربي العرب في استعمال عدد من المقاييس والمكاييل والموازين الّتي عرفتها الحضارة الإسلامية في كلّ الجهات، فمن المقاييس نذكر الشّبر والذّراع والميل والفرسخ، والبريد وقد ذكرت هذه المقاييس في كتابات السّعدي وأحمد بابا لكن دون ذكر مقاديرها، ومن الموازين المثقال والوقية، ومن المكاييل المدّ والصّاع والقنطار والمودي [6]، وقد عمل الشّيخ عثمان بن

---

(1) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص194.

(2) Celeste Intartaglia, Op.cit, p 163.

(3) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص 84.

(4) مهدي آدامو، المصدر السّابق، ص300.

(5) نفسه، ص301.

(6) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية ، المرجع السّابق، ص ص 53-54.

فودي على تنظيم السّوق من ناحية المكاييل والموازين، وضبط أمورها لدورها في تنمية الأسواق التّجارية، ولحصول العدل ومنع التّطفيف في الميزان بيّن صفة كلاً من الوزن والكيل وبيّن طريقتهما كالآتي:

أ- صفة الوزن:

وطريقته هو "أن يبسط الوازن جلداً صحيحاً ليناً أملس ويوقف الميزان فوقه حتّى يعتدل فإذا اعتدل يضع فيه التّبر برفق، والصّنوج، ويرفع من غير تمييل ولا تسنيد ولا حيلة ويبرم ويهزّ ثم يسكن يده ويزيد وينقص حتّى يعتدل لسان الميزان في وسط الكفّة ساكنا بلا حيلة فيعطي الّذي في الكفّة لربه ويجمع ما تساقط ويذره في مدة أجله"(1).

ب- صفة الكيل:

وطريقته تكون بـ:"أن يقعد المكيال معتدلا ثمّ يصب فيه المكيل برفق حتى يمتلئ كاملا من غير تذكير ولا تسنيد ولا زلزلة ولا حيلة، وإنّما يعدل المكيال في موضعه ويصبّ فيه حتّى يمتلئ بطبعه"(2).

6- التّنظيمات المالية:

ليس هنا شكّ من أنّ خلافة سوكوتو كان لها نظام مالي متقدّم تقوم على أسسه إدارة شؤون البلاد فهو نظام دقيق مستوحى من النّظم الإسلامية وفق الشّريعة الإسلامية، فقد كان الشّيخ عثمان بن فودي حريصا علي تسيير شؤون المسلمين في كلّ ما يتعلّق بحياتهم الدّينية والدّنيوية، لذلك نجد ه لم يغفل عن تنظيم أمورهم المالية وأوكل مهمّة إدارتها إلى من هم أهل لها، من ذوي الصّلاح والتّقوى، وبيّن بالتّفصيل كيفية تصريف هذه الأموال وفق أحكام الشّريعة الإسلامية. حيث يقول يجب على من بيده شيء من مال الله أن يصرفه إلاّ في المصارف الّتي شرّع الله، فمال الله الذي جعله رزقا لعباده قسمان: قسم لأصناف

(1) Celeste Intartaglia, Op.cit, p 164.

(2)عثمان بن فودي، نور الألباب، المصدر السّابق، ص68، ينظر، Celeste Intartaglia, Op. cit, p164

معينة، وقسم يصرفه الإمام في المصالح [1] ومن أنواع بيت المال الّتي حدّدها الشّرع هي الزّكاة، والخمس والفيء والخراج، والجزية، والعشر، وإرث من لا وارث له، ومال جهل صاحبه[2].

أ- الزّكاة:

فرّق الشّيخ عثمان بين الزّكاة ومصادر الموارد المالية الأخرى فالزّكاة مصارفها مبنية شرعاً بأحكام القرآن الكريم والسّنّة النّبوية، فقد قال الشّيخ أنّه يجب على كلّ واحد أن يؤدّي زكاة ماله بتمام حوله، كما أمره النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأكّد على إعطائها لمستحقيها من الفقراء، كما حذّر من بدعة تأخيرها عند وجوبها إلى يوم عاشوراء، وتقديمها لأناس لا يستحقون نفقة الزّكاة كتخصيصها لأحد الأقارب [3]، وعيّن السّاعي الّذي يقوم بمهمة جمع الزّكاة من القبائل الفولاّنية وغيرها من القبائل الأخرى[4]، وكان يطلق عليها اسم جنقلي junguli ، وتدفع لبيت مال المسلمين[5] .

ب- الفيء والغنائم:

تعتبر الغنائم والفيء من المصادر الهامّة لأموال الدّولة الّتي كان يحصل عليها الشّيخ وجماعته من جهادهم ضدّ الكفار، فكانوا يغنمون أموالا كثيرة من المدن والقرى والحصون، الّتي يفتحونها فيقومون بتخميسها وتقسيم أربعة الأخماس الأخرى على الغانمين، ومن الموارد الهامّة أيضاً الفيء الّذي يتمثّل فيما أصابه المسلمون من أموال بغير قتال [6]، كما قدّم الشّيخ بيانا لوجوه تصريف هذه الأموال وذكر أبواب صرفها في المواطن الّتي تجب فيها، خصوصاً وأنّ مرحلة الجهاد قد كثرت فيها الغنائم وأموال الفيء، ومن بين هذه الأبواب سدّ المخاوف والثّغور، وتوفير آلات الحرب، وإعطاء نصيب منها للمقاتلين، ثم ينتقل للقضاة

---

(1) عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، المصدر السّابق، ص ص 210-211

(2) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص ص195-196.

(3) عثمان بن فودي، إحياء السّنّة ، المصدر السّابق، ص ص 189-

(4) علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص 84.

(5) مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة و الإسلام و التعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار و آثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث للدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998،ص256.

(6) محمّد بلّو، المصدر السّابق، ص ص 101-154.

والعمّال، والفقراء، والأمر يعود إلى اجتهاد الإمام ليصرفه في مصالح المسلمين وهوّ مسؤول عنه [1]كما أكدّ على تصريف أنواع مال الله في مواضعها بما شرّع الله[2] .

ج- الجزية:

تتعلّق الجزية بأهل الذّمة حيث يفرض عليهم قدراً من المال، يساهم به في خزينة بيت مال المسلمين ولم تغفل خلافة سوكوتو عنها فقد حرصت كل الحرص على تنظيمها والاستفادة منها فكـــانت تدّر أمـوالاً كثيرة، لذلك تعتبر من المصادر المالية الأساسيّة حيث كانت تفرض على الوثنيين الّذين بقوا على وثنيتهـــم وتسمّى جاندو [3]، وقد عين مسؤولين يسعون في جمعها بمساعدة أصحاب الشّرطة، وهي من الوظائف المهمّة في المملكة[4].

د- ضريبة العشور التّجارية:

أولت الدّولة اهتماماً كبيرا بتنظيم التّجارة، ومراقبة الصادرات والواردات، ففرضت عليها رسوما وهي ضريبة العشر تسمّى أيضا جنقلي junguli[5]، وقد زادت مداخيلها بسبب اتّساع رقعة المملكة من جهة وتنمية تجارتها الخارجية لكثرة القوافل التّجارية من جهة أخرى.

هـ- الضّرائب:

كانت بلاد الهوسا تعاني من المظالم المالية كثيراً نتيجة ممارسات حكّامها السّابقين حيث كانوا يفرضونها بلا هوادة على النّاس، وقد انتقد الشّيخ عثمان بن فودي بشدّة الطّبقة الحاكمة في بلاد الهوسا

---

(1)عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص195-196.

(2) Celeste Intartaglia, op.cit, p 160.

(3) مهدي رزق الله أحمد، المرجع السّابق،ص256.

(4) Sa'ad Abubakar, The Emirate-Type Of Government In The Sokoto Caliphate, Vol. 7, No. 2, J.H.S.N, 1974, P 215.

(5) مهدي رزق الله أحمد، المرجع السّابق،ص256.

لهذه الممارسات المجحفة ، نظراً لثقل الضّرائب وكثرتها بالإضافة إلى انتهاك حرمة الدّين ومخالفة الشّرع في جبايتها. وعلى إثر ذلك انتشر الظّلم بكلّ أنواعه كالرّشوة وفرض الضّرائب الجائرة، والاستيلاء على الأراضي بالقوّة من أصحابها، وابتزاز أموال الفقراء، والسّجن استنادا إلى اتّهامات باطلة، وغيرها من المظالم[1]، وكان الشّيخ من أشدّ النّاس دفاعاً عن حقوقهم بمطالبته الحثيثة على تخفيض هذه الضّرائب الّتي أثقلت كاهلهم، ممّا ساعد على انتشار دعوته، وقبولها وعند نجاحها وقيام خلافته عمل على إبطال تلك المظالم، وحاول إصلاح الأوضاع في وقت يسير فقام بتنظيمها وتحديد الضّرائب الّتي أقرّها الشّرع وأسقط ما سواها [2]، فكانت نظم تسيير الأموال وفق الشّريعة الإسلامية، خاصّة تلك الّتي تتعلّق بالضّرائب الّتي عدّت من المصادر الهامّة لأموال الدّولة، فكانت مصادر جبايتها متعدّدة، مثل ضريبة الخراج على الأرض والّتي تسمّى كوردين كاسا courdin kassa، وهناك ضريبة على الماشية تسمّى جانجالي janjali، وضريبة أخرى على أصحاب الصّناعات الحرفية.

المبحث الثّالث: ترسيخ الإسلام واللّغة العربية.

1- ترسيخ الإسلام:

انتشر الإسلام انتشارا واسعا لم تشهده المنطقة من قبل، حيث شاع بين كل أهالي المنطقة في القرى والمدن، وتعتبر أي دراسة للإسلام في بلاد الهوسا خلال القرن الثّامن عشر إلا ومتمركزة حول حياة الشّيخ عثمان بن فودي ليس لأنه شخصية مسيطرة، بل لأنّه كاتب ذو إنتاج غزير، فمعظم المعلومات المتعلّقة بكفاح الجماعات الإسلامية في بلاد الهوسا مسجّلة بفضل كتاباته، فأعماله تظهر صورتة، بل إنّ طبيعة تلك الصّورة تصمّم على مدى كبير من قبل الشخص الّذي يحاول وصفه، فعند البّعض هو مصلح

---

(1) Abdul Azim Islahi, Shehu Uthman Dan Fodio and his economic ideas, Islamic Economics Institute, King Abdulaziz University, Jeddah, 2008, p6.

(2)إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص 175.

اجتماعي ولدى البعض الآخر يظهر كشخصية سياسية، بينما آخرون يرونه كزعيم عسكري مهم وآخرون يجدونه مصلحاً دينياً ومجدّداً عظيماً، وهذه الصور كلّها نجدها في أعماله(1)

وقد أصبحت خلافة س وكوتو نموذجا للخلافة الإسلامية في غرب افريقيا، حيث تمسّك المسلمون بمبادئ الشّريعة الإسلامية، والّتي طبّقها خلفاء الشّيخ عثمان بن فودي من بعده على مدى أكثر من قرن من الزّمان، وبما أن قيادة هذه الحركة الإصلاحية كانت بيد العلماء فقد سلمت من كل أشكال التّطرف والتّعصب والسّطحية كما سلمت من الأخطاء القاتلة (2)، فقد كانوا رجال علم وثقافة، مما أدّى إلى نهضة كبيرة في مختلف المعارف والآداب الّتي سجلت باللّغة العربية، وامتدّت إلى اللّغات الأخرى (3) ،كما كانت سلطتهم مستمدّة من الكتب والفتاوى الشّهيرة للشّيخ المغيلي(4).

كما زاد تقدم المستوى الثّقافي للعلماء، وعبّر عنه عبد الله آدم الآلوري: " أخذ أهل نيجيريا من الأدب العربي قدراً ما يمكن للعجم أمثالهم أن يأخذوا، وأخذوه على هيئة ما كان في البلاد العربية كافّة في ذلك العصر، وصاروا يؤلّفون، ويقرضون الشّعر، ومؤلّفاتهم تضاهي مؤلّفات أبناء العرب في الأساليب والتّراكيب"(5) هذا وقد أدّت الطّرق الصّوفية والطّريقة القادرية بصفة خاصة دورها في نشر الإسلام، والثّقافة الإسلامية، كما كان لها الدّور الفعّال في مقاومة الاحتلال الأوربّي الّذي اجتاح المنطقة طامعاً في ثرواتها(6)

2- التّدوين والتّأليف باللّغة العربية:

---

(1) robertr A ymond, marten son the life a n d work of usmanu bin foduye ,with special reference to the religious nature of the encounter between the hausa muslim and fulbe muslim communities. The hart ford seminary foundationst. Paul, M I N N E S O T A u.s.a.june, 1977,PP19-20

(2) أحمد مصطفى أبو الخير، عثمان بن فودي ريادة إسلامية في الغرب الإفريقي- العربي، مجلة رسالة التقريب،المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ع90، 2012، ص 177.

(3) فيج جي دي، المرجع السّابق، ص 291.

(4) H. F. C. Smith, Op.cit, pp 179-180.

(5) عبد الله الآلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص 42.

(6) شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص61.

يقول هوبير ديشان Hubert Deschamps "إنّ منطقة غربي افريقيا لم تكتف بدخول الإسلام بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللّغة العربية في تلك البلاد" [1]، ومن بين أكبر عوامل انتشارها التّجارة، فهي فنّ يستلزم إيجاد لغة للتّخاطب بين البائع والمشتري، وبما أنّ اللّغة العربية أرقى من اللّغات المحلّية فمن الطّبيعي جداً أن تكون هي اللّغة المتداولة، كما أنّها تساعد على توطيد العلاقات بين التّجار من الجانبين. وباستعمال الكلمات والتّعابير العربية من طرف التّجار العرب والتقاطها من طرف الأفارقة وضع حجر الأساس للّغة العربية في السّودان الغربي، وبانتشار الإسلام انتشر التّعليم، وأصبحت المراكز التّجارية مراكز للثّقافة العربية الإسلامية، فتكوّنت صلة وثيقة بالعالم الإسلامي[2]

فمن ناحية أنّ اللّغة العربية لم تتمكّن من ألسنتهم، إلاّ أنه من ناحية الكتابة فقدأصبحت اللّغة العربية في تلك المناطق لغة التّعبير الوحيدة حيث يكتبون رسائلهم، ويدوّنون بها سجلاّتهم وتاريخهم، حتّى وإن كتبوا بلغاتهم الهوسوية أو الفولاّنية فإنّهم يكتبونها بالحروف العربية مضيفين إليها العديد من الكلمات العربية[3].ويبيّن الشّيخ عثمان بن فودي عظمة اللّغة العربية وقيمتها حيث يقول:" ومراد الله بهذه الأمة الرّفق فجعل رسولها عربيا، وكتابها عربيا، ولغة العرب متّسعة، فيها الحقيقة والمجاز والتّرادف والاشتراك"[4].

ازدهرت اللّغة العربية في الدّولة السّوكوتية، لما احتلّته من مكانة في نفوس هذا المجتمع الّذي ما فتئ يتشرب من علومها، كما حملت لغة الهوسا والدّين الإسلامي إلى المناطق المجاورة مثل توغو، والكمرون وغيرهما، وللكتب مكانتها الكبيرة في الحضارة الإسلامية، وهي تعبر عن مدى تقدّم الشّعوب، والأمم وعلوّ شأنها الثّقافي، وهذا واضح وجليّ لما تركة العلماء المسلمون من إرث ضخم من الكتب والمجلّدات ومن المخطوطات، ينمّ عن مدى قوّة التّفوق في شتىّ العلوم، والشّيخ عثمان بن فودي أحد أولئك العلماء الّذين تركوا بصماتهم في الحضارة الإسلامية، وخلّف لنا مكتبة عامرة بمختلف الكتب الّتي تعالج قضايا الدّين والمجتمع في عصره، والّتي ركّزت على مواضيع عديدة بتعدد القضايا كالعقيدة، وأحكام العبادات، والأمر

---

(1) هوبير ديشان، المرجع السّابق، ص 132.

(2) مصطفى حجازي السيد، المرجع السّابق، ص 31.

(3) هانويك جون ، اللغة العربية و مظاهرها في غرب افريقيا، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج 24, ج 1 مصر،1978، ص175.

(4) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص41.

بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومحاربة البدع، وكثيراً ما دوّن الشّيخ وألفّ كتب في مجموعة من القضايا أراد بها النّصح والوعظ والإرشاد لدين الله فكانت هذه المؤلّفات كسلاح دعوي استعمله لمحاربة هذه البدع والخرافات الّتي تفشّت في مجتمعات بلاد الهوسا. لقد بذل الشّيخ عثمان بن فودي جهدا كبير في إحياء الأمة، فبيّن لهم أصول الدّين، وأرشدهم لقيم الأخلاق، ودلّل على ذلك كلّه من الكتاب والسّنة، وعلى مذهب الإمام مالك(1)، ولم تكن مؤلّفاته وليدة الحاجة العلمية فقط بل كانت وفق ضروريات عصره، و مما يحتاجه مجتمعه(2)

كان قادة الخلافة على جانب من الوعي ب أهمّيته التّأليف، فعكفوا على إنتاج الكتب العربية والإسلامية بغية إصلاح المجتمع الهوسوي، والنّهوض به، بتزويده بالكتب الّتي تحمل شتّى المعارف، والأفكار الإسلامية(3)، وكان للمناخ الاجتماعي، والدّيني والثّقافي والسّياسي السّائد في بلاد الهوسا خلال القرن التّاسع عشر دوره في دفع حركة التّأليف، حيث ازدهرت الكتابة باللّغة العربية وانتشرت المخطوطات العربية الإسلامية وتطوّرت، في حين اتّسمت قبل ذلك القرن بالقلّة، وركاكة الأسلوب، وبالضّعف، كما أنّ معظمها اندثر مع الوقت وضاع، ولم يكن للباحثين نصيب فيها(4).

على الرّغم من تحمّل أعباء الحركة الدّعوية والإصلاحية لتعدّد الأنشطة من وعظ وإرشاد وتدريس إلى الهجرة والجهاد وعدم الاستقرار بالتّنقل من مكان إلى آخر، إلا أنّ قادة الجهاد استطاعوا التّوفيق بين ذلك كلّه، ووصلت كتبهم ورسائلهم وأشعارهم إلى القريب والبعيد في بلاد الهوسا، ووصل مع صوت الدّعوة ومفاهيمها الشّاملة الّتي بيّنتها هذه المؤلّفات المتنوّعة. ومن جملة الأسباب الّتي أدّت ازدهار حركة التّأليف هو إحياء السّنّة وإرشاد النّاس وتوعيتهم ونشر المعرفة والثّقافة بين أفراد المجتمع ، وتفشّي البدع والخرافات في

---

(1) ينظر مؤلفات الشّيخ عثمان بن فودي الملحق رقم 18.

(2) عثمان بن فودي، المسائل المهمة ،المصدر السّابق ،ص178

(3) رفاعي الحاج إسماعيل، دور المخطوطات العربية الإسلامية لقادة الخلافة الصكتية، في إثراء اللغة العربية في نيجيريا، مقالة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للغة العربية الثاني، دبي، 2013، ص 2.

4- نفسه، ص 2.

أوساط طبقات المجتمع المختلفة الحاكمة والعامّة، وبيان الطّريق الصّحيح[1] ومن المؤلّفات الّتي ظهرت لغرض التّوعية بخطرها كتاب إحياء السّنّة وإخماد البدعة، و كتاب بيان الهجرة على العباد.

4- ترسيخ اللّغة العربية في بلاد الهوسا:

هناك الكثير من الباحثين من أرجع انتشار اللّغة العربية في غرب افريقيا إلى ظهور الإسلام وانتشاره بها، لكنّ العلاقة بين اللّغة العربية و اللّغات الإفريقية الأخرى لم تكن على عهد الإسلام فقط بل كان ارتباطها قديماً، وعلاقة التّأثير والتّأثر لها جذور منذ آلاف السّنين.

وقد تمّ تصنيف اللّغات الإفريقية إلى أربع عائلات لغوية: الإفريقية الآسيوية، النّيجر الكردفانية، النّيلية الصّحراوية والكويسانية، فبالنّسبة للّغات الإفريقية الأسيوية هي عبارة عن صورة موسعة للّغات السّامية والحامية التي يتركّز انتشارها في شمال افريقيا ومصر والسّودان وبعض أجزاء القرن الإفريقي وأهم لغاتها اللّغة العربية، العبرية والأمهرية والتّقري، وقد ساق علماء اللّغة أدلّة كثيرة على وجود علاقة وطيدة بين اللّغة العربية واللّغات الإفريقية الأخرى[2]. وتشترك اللّغة العربية مع لغة الهوسا في كثير من المظاهر اللّغوية أهمها التّشابه في نظام التّأنيث والتّذكير، وتتّفق معها في العديد من الصّيغ الصّرفية، ومن المظاهر المشتركة بين اللّغتين أيضاً توافقهما في بعض الضّمائر، وفي كثير من أنظمة صيغ الجموع [3]، ومن النّادر في الشّعر أن تجد بيتا من الشّعر بلغة الهوسا يخلو من كلمة عربية، أو استعارة عربية، بل هناك أبياتٌ كاملة باللّغة العربية، ومعظمها تحمل حكماً وأمثالاً عربية مأثورة[4].كما تتشابه أيضا في الكثير من المفردات للتّأثير الحضاري، ومن الأمثلة على ذلك اقتراضها لألفاظ ومفردات متعلّقة بالدّين الإسلامي منها الصّلاة، والوضوء، والإيمان والإمام

---

(1) نفسه، ص ص 2-4.

(2) Joseph H. Greenberg, The Classification of African Languages , American Anthropologist, New Series, Vol. 50, No. 1, Part 1 (Jan. - Mar., 1948), pp. 24-30.

3- محمد الأمين منغا، كتاب تعريفي عن تاريخ الهوسا، ط1، المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، الرباط، 1998، ص ص 14-15.

(4) أحمد يوسف القرعي، الثقافة الإسلامية و اللغة العربية في افريقيا واقع و مستقبل، مجلة الفيصل، ع42، الرياض، 1980، ص 77.

والمأموم والتّيمم والزّكاة والصّدقة، وكلّها تنطق كما هي في العربية مع بعض التّحريف في نطقها بلسان الهوسا، بالإضافة إلى الألفاظ الأخرى الّتي تعبّر عن الحضارة، والثّقافة، والصّناعة، والأدوات، والمعاملات التّجارية[1] وعليها اعتمد رواد علم اللّغة التّاريخي المقارن في تصنيف اللّغات، وإعادة بناء اللّغة الأولى الّتي تفرّعت منها، وتوصّلوا إلى أنّ اللّغة العربية تشمل رقعة جغرافية واسعة، فهي تضمّ كلّ شمال افريقيا، وجزءا كبيرا من غربها، إضافة إلى القرن الإفريقي، فأكثر من ثلث سكّان القّارة يتكلّمون اللّغة العربية، وبما أنّ اللّغة العربية ترتبط ارتباطاً عضوياً بالدّين الإسلامي، فتجدر الإشارة إلى أن أكبر القبائل الإفريقية جنوب الصّحراء (الهوسا، الفولاّني، الماندينغ)، وشرق افريقيا (السّواحليون) تدين بالإسلام[2].

ومن ملامح التّأثير العربي التّأسّي بالأسماء العربية مثل محمّد، الأمين، أبوبكر، عثمان، فاطمة أسماء...إلخ مع تحريف جزئي مما يتلاءم مع النّطق الإفريقي فأصبح محمد مامادو ومامادي، وفاطمة فاطمو وفاتنا، وكذلك خديجة أصبحت كادينا وكاجنو وكاجا...إلخ[3].

وبلاد الهوسا الّتي وصلها الإسلام من جهة الغرب بفضل الدّعاة الماندينغ والفلاّني والعرب من شمال افريقيا، ومن الشّرق دعاة مملكة كانم بورنو، قد ظهرت بها مراكز إشعاع حضاري مثل كانو وكاتسينا وزاريا، وقد شهدت الفترة من القرن الرّابع عشر حتى بداية القرن التّاسع عشر ميلادي بروز طائفة من العلماء المحلّيين، الّذين برعوا في مختلف فنون العلوم الإسلامية، من أمثال مرينا Merina ودان مسنا Dan Masna في كاتسينا، وعبد الله سيكا (ثقة) في كانو، جبريل بن عمر في أغاديس، وازدهرت الثّقافة والعلوم الإسلامية ازدهاراً كبيراً خلال حركة الجهاد الّتي قادها عثمان بن فودي في بلاد الهوسا [4]، وقد اشتهرت بلاد الهوسا بكثرة العلماء، سواء من العلماء المحلّيين، أو من العلماء الوافدين [5] مع غزارة إنتاجهم فقد ذكر عبدا لله بن فودي في كتابه إيداع النّسوخ حوالي خمسة عشر عالماً تتلمذ على يدهم من داخل

(1) أبو بكر، محمد الثاني، الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا نيجيريا نموذجا، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية – الجزائر , مج 6, ع 12، 2010، ص ص 84-85.

(2) محمد الأمين منغا، اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط،2006، ص ص 8-12.

(3) أحمد يوسف القرعي، المرجع السّابق، ص 77.

(4) محمد الأمين منغا، اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، المرجع السّابق، ص ص13-14.

(5) M. Hiskett, op.cit,p 558.

بلاد الهوسا وخارجها،ويختم بقوله: "الشّيوخ الّذين أخذت العلم عنهم لا أحصيهم الآن ولكن هؤلاء مشاهيرهم"(1)، وقد ترك أفراد الأسرة الفودية (الشّيخ عثمان وأخوه عبد الله وابنه محمّد بلّو والمنحدرين منهم) وحدهم ما يصل إلى (723)(2) عملا باللّغة العربية فقط بين شعر و نثر مبيّنة كالآتي:

– **الشّيخ عثمان بن فودي: 154** عملاً من أهمّ الأعمال **إحياء السّنّة و إخماد البدعة**، **وبيان وجوب الهجرة على العباد.**

– **الشّيخ عبد الله بن فودي: 112** عملاً، أضخمها **البحر المحيط في النحو** منظومة من 4400 بيت على نمط ألفية بن مالك، و كتاب في تفسير القرآن العظيم **ضياء التأويل في معاني التنزيل.**

– **الشّيخ محمّد بلّو بن عثمان: 162** عملاً ، من أهمّ أعماله **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.**

– **المنحدرون منهم: 295** عملاً متنوّع بين شعر و نثر.

ولقد مسّت هذه الأعمال الكثير من فنون العلوم الإسلامية، وبعضها تناول القضايا الاجتماعية ومنهم من كتب في الطّب مثل محمد بلّو، أمّا الكتابات في اللّغة العربية فقد نالت نصيبا وحظّا وافرين من ذلك ما كتبه الشّيخ عبد الله بن فودي من نظم في النّحو ومنظومته في البحر المحيط الّتي اعتبرت أكبر منظومة من نوعها في تاريخ الأدب العربي، وله منظومة أخرى الحصن الرّصين في حسن التّصريف تتكوّن من (1036 بيت)(3)، وله منظومة مختصرة في النّحو سمّاها لمع البرق وإلى جانب هذه المنظومات في النّحو والصّرف فللشّيخ عبد الله منظومة مشهورة في علم العروض في ثلاثين ومائتين من الأبيات سمّاها فتح اللّطيف الوافي في علمي العروض والقوافي.

---

(1) Ibid, p 558.

(2) أعمال الاسرة الفودية أحصيت من القوائم الواردة

John O. Hunwick, Arabic Literature of Africa, The writings of central Sudanic Africa Vol.2. Volume 13 .

(3) عمر أحمد سعيد، جهود الشيخ عبد الله بن فودي التعليمية في نظم العلوم العربية والإسلامية، ع33، دراسات افريقية، ، ص 86.

وأهمّ ما يميّز الكتابات العربية في الخلافة السّوكوتية أنّها جاءت لغرض خدمة الدّين الإسلامي ولصالح حركة الدّعوة، والجهاد، وتثقيف المجتمع، ومن مميّزاتها أيضا أن أصحابها كانوا حريصين أن لا تحيد كتاباتهم عن السّنّة النّبوية، وكانت اللّغة العربية سلاحهم لفهم القرآن الكريم، والعلوم الشّرعية، كما أنّ أشعارهم تحمل أغراضاً هادفة، فقد سجّلت حروبهم، ومعاركهم، وكثيراً ما تستعمل لأغراض الوعظ والإرشاد، ومنها ما هو لغرض شحذ الهمم، ومن أغراضها أيضاً استخدامها في الحرب النّفسية ببثّ الرّعب والخوف في قلوب الأعداء[1].

لقد كان للخلافة السّوكوتية خلال القرن التّاسع عشر ميلادي دور هامّ في حركة التّأليف، حيث دعا عثمان بن فودي إلى الاهتمام باللّغة العربية، وتعلّمها وإتقانها [2]، وساهمت عملية التّدوين في نقل مختلف العلوم، والمعارف وترجمتها من اللّغة العربية إلى اللّغات المحلية، في شكل منظومات مقفّاة، وهذا ساهم أيضا في دفع نشاط الحركة العلمية وازدهارها، وقد نتج عن هذا النّشاط ظهور نسخ من القرآن الكريم باللّغات المحلّية الكانورية والهوساوية والفولاّنية، هذا إلى جانب إنتاجات العلماء والأدباء في مختلف العلوم بهذه اللّغات[3]، وكانت إلى جانب عملية النّقل والتّرجمة عملية التّأليف وقرض الشّعر باللّغات المحلّية الهوسوية والفولاّنية مباشرة، وكان قادة الخلافة السّوكوتية تارة يكتبون بالهوسا وتارة بالفولاّنية، حسب ما تقتضيه الظّروف وبالعكس من ذلك فقد نقلت أسماء بنت الشّيخ عثمان بن فودي العديد من المنظومات بالعجمية

إلى العربية ، مثل القصيدة الّتي ترجمتها بعنوان "تنا سبوج" الّتي نظمها والدها بالفولانية يذكر فيها صفات النّبي عليه الصلاة والسّلام منها هذه الأبيات[4]:

النّص الأصلي باللّغة الفولاّنية:

محمدُ سينراما هـدو وراي　　　　مِيتِّي الله نو نئن تشنرامِ

---

(1) محمد الأمين منغا، اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، المرجع السّابق، ص18.

(2) علي كلطغ ديالو، المرجع السّابق،ص28-29.

(3) محمد مي أبوبكر، أثر اللغة العربية في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار،المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، 7-10 ماي 2014، ص 5.

(4) محمد الأمين منغا، كتاب تعريفي عن تاريخ الهوسا، المرجع السّابق، ص ص 26-30.

أُهدر دينَ ونغِّى ندن أُفرنا ميِتِّى الله نونئن كورنـــامِ

المعنى باللّغة العربية:

لقد بشّر الله بمحمد قبل ظهوره وأحمد الله أنني كذلك بشر بى

به ظهر الدّين ثم أمر بالهجـــرة وأحمد الله بأن أقدر على ذلك

النّص المترجم إلى لغة الهوسا:

كن سن شي أن تُن بى تفوبَ فطِّن نَن أنكيو من نيِّ زاما

دييِّ كِرا نَ أدِّن يَيِّ هِجِـــــرا دنـــــيِّ تَ نـــَيِّ فامـــا

ولم يكن ذلك يقتصر على بلاد الهوسا فقط فشعوب غرب افريقيا الّتي تشرّبت الثّقافة العربية والإسلامية تسرّبت إليها الأساليب العربية في التّعبير، وازدادت تلك اللّغات غنى في مفرداتها، وتهذّبت تعابيرها وتحسّنت، وبالتّالي تأثّر الإنتاج الأدبي لهذه الشّعوب من شعر ونثر، ومن ثمّة نشطت حركة التّأليـف في شتّى فنون العلوم كالفقه والتّفسير والحديث والأدب والشّعر والتّصوف والتّاريخ والطّب والفلك [1].

وظلّت اللّغة الفولاّنية على هذه الحالة تكتب بالخطّ العربي ردحاً من الزّمن حتّى جاء الاستعمار البريطاني واستطاع بسياسته أن يقطع هذه الصّلة ويستبدل بالحروف العربية الحروف اللاّتينية[2]

إنّ ميادين التأثّر بالثّقافة العربية الإسلامية في غرب افريقيا كثيرة و متعدّدة، وأكثرها وضوحا وجلاء هو ميدان التّعليم فالمناهج وطرق التّدريس [3]، والكتب المقرّرة، والإجازات العلمية في مدارس غرب افريقيا

---

(1) علي كلطغ ديالو، المرجع السّابق،ص27.

(2) دياب أحمد إبراهيم، اللغة العربية في اللغات الإفريقية الخلفية التاريخية ،الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى ، السنغال،1984 ، ص 108.

(3) ينظر طرق التدريس في غرب افريقيا علي كلطغ ديالو، المرجع السّابق،ص24-26.

ومراكزها العلمية لا تختلف عن ما هو عليه في مدارس شمال الصّحراء الكبرى كفزان وغدامس وطرابلس وتوات وتلمسان والقيروان ومرّاكش وفاس(1).

وقد قام الشّيخ عثمان بن فودي بترجمة مختصر الأخضري في العبادات إلى اللّغة الفولاّنية، ونظّم قصائد كثيرة في التّوحيد والفقه والسّيرة والأخلاق بالفولاّنية والهوساوية، ومن الأمثلة قصيدة في التوحيد منها هذه الأبيات2:

اللّغة الفولانية	اللغة العربية
ميتي بَنغطو كَمُّـــوجِ	**أحمد الّذي رفع السمـــــــاوات**
وَطُيطي مَحّلٌ رزِكـــوجِ	**وجعلهـــا محـــــــــلا للأرزاق**
طي كم يو اِييل نُدنقوجِ	**الّتي تأتي بفعل السحب الممـــطرة**
نقريط هتكٍّ نــــدودج	**السّحب الّتي تأتي خلف الأعاصيـــر**

كما قام أخوه

عبدالله بالعمل نفسه؛ حيث ترجم من مقامات الحريري إلى اللّغة الفولاّنية، وترجم أجزاء من كتابه ضياء التأويل في التّفسير إلى الفولاّنية(3).

5- حركة التّأليف:

لقد انتشرت المخطوطات العربية بشكل كبير في غرب افريقيا والواضح فيها أنّ أغلبها كتبت بالخطّ المغربي يقول القلقشندي: وكتابتهم بالخطّ العربي على طريقة المغاربة (4)، ومن كثرة الإنتاج لهذه المخطوطات

---

(1) نفسه، ص24.
(2)
(3) نفسه، ص29.
(4) القلقشندي، المصدر السّابق، ص 298.

زاد اتّساع معرفتهم بالكتابة العربية فأصبح لافت للنّظر خاصّة عند الاتّصال بالمراكز العلمية في شمال افريقيا أو شبه الجزيرة العربية. هذا يشير إلى أن التّعليم العربي الإسلامي أصبح متاحاً وسهلاً في مراكز السّودان الغربي فأصبح أكثر تقدّماً في القرن الثّامن عشر الميلادي [(1)]، مما تيسّر للعلماء الّذين يعرفون اللّغة العربية، ويمتلكون قدرات فائقة القيام بدور كبير في القصور الملكية بصفة مستشارين سياسيّين أو موظفين [(2)]، ولم تكن مؤلفات الشّيخ عثمان بن فودي وليدة الحاجة العلمية فقط بل كانت وفق ضروريات عصره، ومما يحتاجه مجتمعه[(3)]، وهذا ليبيّن حقائق الإسلام و مفاهيمه، ويردع ما شاع من بدع وخرافات، وقد تميّزت مؤلّفاته بالكثرة، والتّنوع، والتّكامل في موضوعاتها، والأمانة عند نقله عن الأئمة والعلماء، حيث كان ينسب ما نقله إلى مصدره [(4)]، كما نشطت حركة التّأليف من طرف أخيه عبد الله وابنه محمّد بلّو، وكثير من العلماء، وأصبحت هذه الفترة تمثّل عصر نهضة حقيقية في العديد من المجالات.

المبحث الرّابع: انتشار مظاهر الحضارة العربية الإسلامية.

1– النّظام التّعليمي:

رغم أنّ الخلافة في البداية لم تفتح مدارس رسمية نظامية على النّمط الدّراسي الحالي إلاّ أنها شجّعت التّعليم وأهله تشجيعا كبيراً، فقادة الخلافة كلّهم علماء مثقفون [(5)]، وقد كانت العملية التّعليمية تستند إلى عدّة أمور مثل شخصية المعلّمين وتكوينهم، وحسب المستوى الدّراسي لطلابهم، فكان هؤلاء المعلمون يراعون جوانب مهمّة في تدريسهم كالّتي ذكرها **ابن خلدون** في المقدّمة مثل التّدرج في التّعليم من

---

(1) M. Hiskett، Material relating to the state of learning amon the Fulani before their jihad , S.O.A.S, 1957, XIX, 3.

(2) بطران عبد العزيز، المرجع السّابق، ص 616.

(3) عثمان بن فودي، المسائل المهمة، المصدر السابق ، ص 178.

(4) حسين عيسى عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص ص 254-255.

(5) مصطفى حجازي السّيد، المرجع السّابق، ص 36.

البسيط إلى المعقّد، وتبسيط المعلومات لتقريبها لإفهام المتعلّمين، كما كانوا يعملون تحبيب المجالس العلمية[1]، بالإضافة إلى النّصيحة وشحذ الهمم ودفعهم للمنافسة.

كانت الطّرق المستخدمة في التّدريس في بلاد الهوسا مستقاة من الطّرق المنتهجة في البلاد العربية الإسلامية كالحجاز ومصر وبلاد المغرب [2]، والأساليب تتمثّل أسلوب التّلقين والتّكرار، الّذي يعتمد على الحفظ، وأسلوب الكتابة، وأسلوب العرض حيث يسرد الشّيخ الأحاديث الشّريفة على الطّلاب ثمّ يحفظونها عن ظهر قلب، ويقرأها كلّ طالب على الشّيخ، ثم يقوم الشّيخ بشرح مقاصد الحديث[3].

ومن المواد المقرّرة في التّدريس: التّوحيد، والفقه المالكي، والتّجويد، والتّفسير والحديث، وقواعد النّحو، والصّرف، والبلاغة، والعروض، والقصائد الوعظية، ومتون اللّغة، والأصول، والمنطق، والفلك، أمّا الكتب فهي المشهورة في البلاد العربية الإسلامية، وربّما أضافوا لها بعضا من مؤلّفات علمائهم[4]، ومن عادة طالب العلم دراسة الكتب المشهورة في المادّة الواحدة، و إذا استوعب الكتب اللاّزمة في علم من العلوم استأذن شيخه بتدريس ذلك العلم، وربّما بعثه الشّيخ من تلقاء نفسه وأجاز له التّدريس فيما علّمه إياه على أن يتعهّد شيخه بالمراجعة، وتوضيح ما أشكل عليه من المسائل[5].

ومن النّصائح الّتي كان يبثّها الشّيخ عثمان بن فودي هي قراءة كتب علماء زمانه، كما نصح بقراءة مؤلفات أخيه عبد الله الّتي تعنى بأمور الشّريعة الإسلامية، و قراءة مؤلّفات ابنه محمّد بلّو الّتي تعنى بعلم سياسة الأمّة، وبقراءة مؤلّفاته الّتي تجمع بين الاثنين الشّريعة والسّياسة [6]. كما كان يقول: "فدع العلماء المتصدّرين لسبيلهم: فإن أصابوا فلهم، وإن أخطأوا فعليهم، ومن تعلّم العلم ليحكم به على النّاس – على

(1) ابن خلدون، المقدمة، المصدر السّابق، ص 583
(2) خالد علي عبد القادر، المرجع السّابق، ص227.
(3) مهدي رزق الله أحمد، المرجع السّابق ،ص615.
(4) أدم عبد الله الآلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص55.
(5) نفسه ، ص55.
(6) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص ص158-159.

سبيل القهر والتّغليظ – فلا يستريح ولا يستراح معه، ومن تعلّم العلم لنفسه وليحكم به على سبيل اللّطف والرّحمة فمستريح ومستراح معه"[1].

2- أماكن تلقي العلم:

أ- المسجد والجامع:

تعتبر المساجد المؤسّسة التّربوية التّعليمية الأولى في الإسلام الّتي أسهمت بشكل كبير في نشر علوم الدّين واللّغة العربية، إذ أنّهما من الدّعائم الأساسية للحضارة الإسلامية [2]، وقد بين الشّيخ حدود ذلك لأهل الإسلام في درء المفاسد وجلب المنفعة، والمصلحة في الدّين والدّنيا، وحثّ الولاّة بالاجتهاد في بناء المساجد لإقامة صلاة الجمعة، وإصلاحها، وإقامة الصّلوات الخمس فيها، وقراءة القرآن وتعليمه [3]، ونصّب الكثير من تلاميذه أئمّة يقتدون بهم ويرجعون إليهم في أمور دينهم[4].

وقد اهتمت خلافة سوكوتو بالمساجد اهتماماً كبيراً، حيث أقيمت المساجد في كلّ المدن والقرى [5]ولم والقرى[5]ولم يعد مقتصرا على الوعظ والإرشاد والتّعليم، بل أخذت العلوم تأخذ طريقها إلى المسجد كالعلوم كالعلوم اللّغوية والتاريخية فأدّت دورها في نشر التّعليم والثّقافة الإسلامية، كما كانت النّواة الأولى للتّعليم الجامعي في الإسلام [6]، والشّيخ عثمان بن فودي نفسه عند توكيل الخلافة لابنه وأخيه قعد للتّدريس، وتصدّر مجالس الوعظ وتعليم القرآن في جامع سوكوتو، الّذي أصبح من أكبر مراكز التّعليم في غرب افريقيا وأبرزها، كما نبّه الشّيخ إلى قضايا مهمّة كتحديد أصحاب المسؤوليات، وبيّن أنّ إسناد أمر التّعليم والحكم والفتوى تكون لأهل العلم والتّقوى، وغاية ذلك حفظ الدّين من العبث والاستهزاء[7].

---

(1) عثمان بن فودي، إحياء السنّة، المصدر السّابق، ص 323.
(2) زيد بن عبد الكريم الزيد، وظيفة المسجد في المجتمع، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع11، 1415هـ، ص36.
(3) عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص193-194، Celeste Intartaglia, p160.
(4) عبد الله آدم الآلوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية، المرجع السّابق، ص 284.
(5) محمد علي فاضل باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السّابق، ص195.
(6) مهدي رزق الله احمد، المرجع السّابق ، ص270.
(7) Celeste Intartaglia, op.cit, p 161.

ب- الكتاتيب والمحاضر:

الكتاتيب والمحضرة هي مؤسّسة من مؤسّسات التّربية العربية الإسلامية الأصلية، وإن تعدّدت أسماؤها إلاّ أنها تحمل معنى المكان الّذي يتعلّم فيه الطّفل مبادئ الأوّلية للقراءة والكتابة، ثم يتدرّج في مراحل التّعليم، بحفظ القرآن الكريم، والحديث، والفقه، وعلوم اللغة، ومختلف العلوم الشّرعية الأخرى، يقبل الطّفل على الكتّاب إذا بلغ سن الخامسة وأعلاها لا حدّ له، فقد يدخل أكبر من هذه السّن بكثير، فهي فرصة للتّعليم للطّالب دون اعتبار السّن(1)، والمحضرة عند الشّناقطة تختلف عن الكتّاب حيث تمثّل أعلى درجات التّعليم(2)، ويعرّفها خليل النّحوي بأنها جامعة شعبية، بدوية متنقّلة، فردية التّعليم، طواعية الممارسة، إذ هي تقدّم للطّالب معارف في شتّى العلوم (3)، فمن خلال هذا التّعريف يتبين أهميتها الكبرى في التّعليم، فهي متاحة حتّى في المناطق المعزولة، وبانتشار الإسلام انتشرت المحاضر في مناطق واسعة من غرب افريقيا وأصبح لها دور تعليميّ كبير، وهي بدورها ساهمت في نشر الإسلام، وتعميقه بين الزّنوج فأصبحت تمثّل مراكز إشعاع علمي وثقافي، وانتشر علماء المحاضر لتدريس العلوم الشّرعية، ومعها اللّغة العربية، وكان الأمراء الأفارقة الّذين يعتنقون الإسلام يقرّبون هؤلاء العلماء لكي يعلّموهم أمــور دينهم، ويُقرؤونهم القرآن ويؤمون بهم الصّلوات، ويبذلون النّصح لعامّة المسلمين(4).

ج- قصور السّلاطين و الأمراء:

قامت قصور السّلاطين بأدوار أساسية في الحكم، كما ساهمت في نشر مختلف العلوم من خلال جلب العلماء المشاهير لاستفادة أهل القصر من علمهم، وكانت باحات القصور مكاناً تقام فيها المناظرات الأدبية و الفقهية، وتعقد فيها أيضا المجالس العلمية، ذلك لما لها من هيبة المجلس في حضرة الأمراء والملوك

---

(1) البشير عبد الله الشيخ، التربية في المسجد والكتاب (الخلوة)، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، السعودية،1980، ص 3.
(2) الخليل النحوي، المرجع السّابق، ص 170.
(3) نفسه، ص 53.
(4) نفسه ، ص 259.

ورفعة الطّلب، وهناك من السّلاطين من يجلب معلمين إلى قصره من أجل أن يتعلّم هو بنفسه أو لتعليم أولاده، وهكذا كانت قصور الخلفاء مكانا يلتقي فيه الأدباء والعلماء.

د- منازل العلماء:

كانت خلافة سوكوتو تزخر بالعلماء الّذين تلقّوا تعليمهم على يد الشّيخ عثمان بن فودي، وعلى أخيه عبد الله وابنه محمّد بلّو، وقد تنوعت مؤلّفاتهم، وشملت الكثير من العلوم، وانتشرت انتشارا عمّ كل مناطق الخلافة[1]، ممّا يؤكد أنّ هذه المؤلّفات إلى جانب كتابات قادة الخلافة قد قامت بدور فعّال في نشر الإسلام، واللّغة العربية في المنطقة، كما كانت منازلهم من الأماكن الهامّة لنشر الدّين، ومختلف العلوم، إذ هي امتداد طبيعي للحلقات الّتي يعقدونها في المساجد، أو في أي مكان آخر، فمن العلماء من يدرّس أبناءه عند عالم آخر في منزله، وهو أشبه ما يكون بالتّعليم الخاص [2]، وإذا كان في الأسرة علماء فإنّهم عموما يعلّمون أقاربهم، وهناك نماذج كثيرة لعلماء تعلّموا وتفقّهوا وتخرّجوا على أيدي أقاربهم في منازلهم فهذا عبد الله بن فودي قد تتلمذ على يد والده، وشقيقه الشّيخ عثمان وغيره من الأقارب [3]، كما يذكر أنّ الشّيخ قد تلقّى العلم على يد والده أيضا، وبعض أقاربه[4]

4- المناسبات الدّينية:

أ- عيد الفطر وعيد الأضحى:

تعتبر صلاة العيدين من أهمّ الشّعائر الدّينية الّتي يجتمع فيها المسلمون، لذا حرص الشّيخ لتأديتها كما وجب الشّرع، وأزال كل ما تعلّق بها من بدع أحدثها النّاس في زمانه [5] حتّى الشّيخ كان يقيمها وهو في حالة الحرب مع ملوك الهوسا [1]، وتقام الصّلاة في صعيد خارج المدن والقرى، وفي بعض المدن تجتمع

---

(1) محمّد السّكاكر، الدّولة الصّكتية، المرجع السّابق، ص 158.
(2) مهدي رزق الله، المرجع السّابق، ص 292.
(3) M. Hiskett, Op.cit, p 552.
(4) Ibid, p 554.
(5) عثمان بن فودي، إحياء السنة، المصدر السّابق، ص ص 167-171.

وفود كثيرة من أهالي المدن الصّغيرة والقرى المجاورة في مواكب خلف أمرائهم ورؤسائهم لحضور الصّلاة الجامعة وتزيّن المواكب في العيدين، الّتي تجوب الشّوارع الرّئيسية على الخيول المزركشة مع قرع الطبول كما تعمّ مظاهر البهجة الّتي تصاحبها أصوات التّكبير والتّحميد والتّهليل(2).

ب- المولد النّبوي الشّريف:

كانت الاحتفالات بالمولد النّبوي الشّريف تأخذ طابعاً فريداً وخاصّة في المدن، حيث يخرجون ليلة المولد النّبوي الشّريف إلى الشّوارع، ويمدحون الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وبشكل جماعي ويضربون الطبول ويزينون المساجد، ويخرج النّاس رجالا ونساء، ومعهم حرائرهم وإيماؤهم يرتدون أبهى الملابس، وتقام حلقات المديح في الجوامع والمساجد والرّبط والزّوايا الصوفية والسّاحات العامّة، ويمكثون إلى الثّلث الأخير من اللّيل وتبدأ الاحتفالات بذكر مولد النّبي صلّى الله عليه وسلّم من يوم السّابع والعشرين من شهر صفر في مساجد وزوايا بلاد الهوسا، وكانت هناك مناسبات أخرى مثل احتفالا ت بأوّل يوم السّنة الهجرية وعاشوراء، وختم القرآن، وكذلك الاحتفال بمرور أربعين يوم على وفاة العلماء.

ج- شهر رمضان:

شهر رمضان من الشّعائر الدّينية المفروضة على المسلمين، وكان الاستعداد لها في هذه البلاد بالغاً في الأهمّية حيث يقول الشّيخ عثمان بن فودي: أنّه ينبغي إذا دخل الشّهر الكريم أن يكرم ويعظّم و يحترم الاحترام اللاّئق باتباع السّنّة، فهو موسم الخيرات والبركات (3)، فنجد الجموع تترقّب خارج المدن رؤية الهلال، لقوله صلّى الله عليه وسلّم: " **صموا لرؤيته و افطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثون**"(4)، وينتظر الأمراء أخبار الرّؤية من أيّ مكان ليعلنوا بدء الصّيام، ويهنّئون بعضهم البعض بحلول

---

(1) محمد بلّو، المصدر السّابق، ص 72-103.

(2) مصطفى حجازي السيد، المرجع السّابق، 1419، ص 24.

(3) عثمان بن فودي، إحياء السنة، المصدر السّابق، ص 204.

(4) البخاري باب الصوم

الشّهر المبارك، فتعقد مجالس التّفسير في قصور الأمراء، وبيوت الأعيان، وفي المساجد، والحارات، وساحات القرى الصّغيرة، ويجتهدون في قراءة القرآن، ويستمعون إلى تفسيره بلغاتهم المحلّية(1).

5- العادات والتّقاليد:

كانت لمجتمعات السّودان الغربي عادات و تقاليد كثيرة و متنوعة، منها ما هو موروث عن الأجداد والأسلاف، ومنها ما جاء عن طريق التّأثيرات بعادات وتقاليد من البلاد المجاورة مثل بلاد المغرب الإسلامي، حيث اختلطت وامتزجت، وظهر تأثيرها في الحياة اليومية لسكّان هذه البلاد، ومن أبرز هذه المظاهر:

أ- اللّباس:

شهدت الملابس تطوّراً ملموساً منذ بدايات اتّصال السّودان الغربي بالحضارة الإسلامية، فالأثر الدّيني واضح في طريقة اللّباس الإسلامي في السّودان الغربي بل يصحّ القول أنّه كان أكثر وضوحا، وكانت فيه تأثيرات بلاد المغرب الإسلامي أكثر جلاءاً وهذا أمر طبيعي، لأنّ الإسلام دخل هذه البلد وحمل معه إلى غرب إفريقية تقاليد المغرب الإسلامي وثقافته ويذكر القلقشندي: أنهم "يرتدون عمائم بحنك مثل المغرب، وملبسهم شبيه بلبس المغاربة، جلباب ودراريع، بلا تفريج، وهم في ركوبهم كأنهم العرب" (2)، وكانوا يرتدون لباسا حسنا، ويتلثّمون بلثام أبيض(3).

ومن المظاهر الإسلامية لبس العمامة فهي تاج الإسلام الّذي يعبر عن عظمة الرّجل المسلم ويروي بوكارت Burckhardt أنّ تغطية الرّأس يعتبر نوعاً من الرّهبة الدّينية، و أنّ لبس العمامة يبقى تقليداً عربياً

(1) مصطفى حجازي السيد، المرجع السّابق، ص 24.
(2) القلقشندي، ج5،ص281.
(3) حسن الوزان، المصدر السّابق، ص 583.

بدوي قديم[1]، وقد كانت العمامة أهم علامة مميزة لأتباع الشّيخ عثمان بن فودي، فطلب من الملك باوا أن يوقر كلّ من يرتدي العمامة من أتباعه، أمّا الحجاب فهو ستر للمرأة المسلمة وقد ذكّر الشّيخ بهذا الأمر ونبّه عليه وحذر منه، فيما يتعلّق بسفور المرأة وعريها وحلق رأسها، إلى غير ذلك من المظاهر الفاسدة.

ب- الزّواج :

من العادات القبليّة المنتشرة في غرب افريقية تعدّد الزّوجات، فحرّية الرّجل في تعدّد الزّوجات لا تخضع من الناحية النظرية لأي قيد، فهناك مثلا شيوخ القبائل، والأمراء من له العدد الغفير من النساء، ومن النّاحية العملية فإن انتشار الإسلام قد فصل في الأمر وجعلها أربع زوجات، واشترط العدل بينهن، ومع ازدياد نفوذ الإسلام ازداد التّوجه نحو الالتزا م بالعدد المقرّر شرعاً، ورغم ذلك فإنّ البعض يحتالون في الزيادة[2]، وكان الشّيخ يقول بفتوى شيخه جبريل بن عمر بتكفير أهل البلاد السّودانية في الزّيادة أكثر من أربع نساء[3]، ويبين الشّيخ أنّ من تزوّج فليتزوّج مثنى وثلاث ورباع فلا يزد على ذلك ومن لم يستطع فواحدة، وليعدل بين نسائه، وعليه النّفقة والسّكنى بقدر استطاعته، ولا قسم في المبيت لأمته، ولا لأم ولده[4]، ومن الأعمال المهمّة الّتي قام بها الشّيخ أنه قضى على العوائد الذّميمة مثل عدم توريث الزّوجة وغيرها من النّساء وبيّن وجه الشّرع في ذلك[5].

ويعتبر الإسلام شرطا أساسياً في الزّواج بين المسلمين في دولة الخلافة، وفي الحالات الّتي يرغب فيها رجل مسلم الزّواج من امرأة وثنية أو العكس، فعليهما أن يعتنقا الإسلام، فالوثنية تعتبر مانعاً للزّواج، وفي

---

(1) Titus Burckhardt، Art Of Islam، Language And Meaning,World Wisdom,2009,p102.

(2) محمود سلام زناتي، الإسلام و التقاليد القبلة في افريقية، دار النهضة العربية، بيروت،1969 ، ص ص 90-91.

(3) M. Hiskett ،An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the Sixteenth to the Eighteenth Century, Vol. 25,No. 1/3, B.S.O.A.S, University of London, 1962, p 58 9.

(4) محمّد بلّو، المصدر السّابق، 84.

(5) M. Hiskett ،An Islamic Tradition op.cit, p 589

حالة القبول بالإسلام فإن هذا الزّواج يلقى تشجيعا باعتباره وسيلة من وسائل الدّعوة إلى الإسلام [1]، ومن العادات الإسلامية أيضا الّتي سادت في مجتمع سوكوتو تسمية المولود في اليوم السّابع وسط حفل كبير يذبح فيه والد الطّفل خروفاً أو ثوراً، كما جرت العادة على تسمية الطّفل باسم أحد الأنبياء أو الصّحابة[2].وعليه فالمجتمع الّذي أقامه الشّيخ عثمان بن فودي التزم بتطبيق الشّريعة خصوصا في مسائل الزّواج، والطّلاق وتعدّد الزّوجات، والاحتفالات الإسلامية الكبرى [3] وبهذا نستطيع القول أنّ دعوة الشّيخ كانت حريصة على تنقية الإسلام من شوائب البدع والخرافات والتّقاليد البالية.

ج- الاهتمام بالمرأة:

كانت المرأة الوثنية في غرب إفريقيا عبداً للرّجل، وفي المقابل كانت تمارس حرّيتها بأشكال مختلفة لكنّها بعيدة عن الأخلاق والقيم، فالوثنية لا تتقيّد بالقواع د الاجتماعية، بالإضافة إلى اعتبار المرأة سلعة رائجة وثروة يجب الاستفادة منها [4]، وبانتشار الإسلام بدأت مظاهر تتجلّى في كامل افريقيا الغربية، إذ شرّف المرأة ورفع من قدرها بتحسين أوضاعها، فبلغت حظوة اجتماعية، ونالت احتراماً كبيراً من خلال الابتعاد عن العادات التّقليدية السّيئة، الّتي تجعل المرأة مجرّد سلعة يتاجر بها، إنّه الدّين الإسلامي الّذي اعترف بشخصيتها واستنكر الانحراف، مثل تعدّد الزّوجات الّذي بدأ يختفي تحت تأثير التّعليم ويقول جون بول رو Jon Poul Ro: " لقد شذب الإسلام الكثير من العادات الّتي تعيش عليها المرأة الوثنية، ويبدو أن التّنظيم الإسلامي لحياة المرأة الإفريقية قد اتّسم بشيء من النّظام الأخلاقي المتماسك إذا ما قورن بالمظاهر الوثنية الخلاعية[5].

د- الجنائز ودفن الموتى:

كثيراً ما كانت الجنائز، ودفن الموتى عند شعوب غرب افريقيا تشوبها البدع، والخرافـات من عـادات

---

(1) محمود سلام زناتي، المرجع السّابق، ص 46.

(2) محمّد باي بلعالم، المرجع السّابق، ص 212.

(3) نفسه، ص 212.

(4) نعيم قداح، التأثير العربي الإسلامي، المرجع السّابق، ص50، ينظر M. Hiskett, An Islamic Tradition,Op.cit,

(5) نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في افريقيا الغربية، ص ص 181- 186.

وتقاليد الأسلاف الّتي بقيت حتّى بعد انتشار الإسلام، وقد نهض الشّيخ عثمان بن فودي ونبذ هذه العادات و التّقاليد الّتي انتشرت في عهده وما كان فيها من مخالفة في الدّين كالإلحاح على المحتضر بقولهم قل: لا إله إلا الله، والذّكر عند تغسيل الميّت، وتعيين ناحية يبدأ منها حمل النّعش، والصّيحة والبكاء عند إخراج الميّت، وبدعة الخبب أو ما يسمى بالهرولة بالميّت لأنه إضرار به وبالمشيّعين، ومن البدع أيضا تشييع الميّت إلى القبر بقراءة القرآن إلى غير ذلك من البدع الّتي أحدثها النّاس مخالفين الشّرع فيها، فكان الشّيخ لها بالمرصاد وبيّن للنّاس طريقة الجنائز وكيفية دفن الموتى وحرص الشّيخ على بيانها من الشّرع، وسنّة الهدي محمّد عليه الصّلاة والسّلام من تلقين الشّهادة للميت وتغسيله وتكفينه و الصّلاة عليه والإسراع بدفنه، و جعل قبره مسنّما[1]، و تعزية أهله[2].

6- تأثير حركة الشّيخ عثمان بن فودي على الحركات الإصلاحية في غرب افريقيا:

لم يسلم الشّيخ من أقلام الكتّاب الغربيين خاصّة من المستشرقين الّذين وصفوه بالمتعصّب، كما وصفوا جيشه بجيش المرتزقة، أمثال دنيس بولم Denis Boulm[3]، وكذلك دونالدل وايدنر Donald Waydenerوغيره يذكرون بأنّ الشّيخ عثمان بن فودي كان همجيا، وتسبّب في تدمير مخلّفات بلاد الهوسا غير الإسلامية[4]، كما يذكر البعض بأن طمعه في السّلطة أدى إلى إعلان الثّورة ضدّ حكّام بلاد الهوسا إلى غير ذلك من الإدّعاءات الّتي ساقها الكثير من الكتّاب و المؤرّخين.

و على الرّغم من أنّ الشّيخ عثمان بن فودي لم يكن من أوائل الّذين كانت لهم غيرة كبيرة على حرمة الإسلام، وانتفضوا على التّقاليد المنافية للشّرع في غرب إفريقيا ، لكنّ حركته كانت بمثابة نقطة تحوّل كبيرة في تاريخ المنطقة .فقد قدّم نجاحه إلى دفع الكثيرين أمثال الشّيخ أحمد لوبو الماسيني (ت1843)الّذي قاد

---

(1) قال بن حجر مسنما أي مرتفعا، فتح: الباري لشرح البخاري، ج3 ، باب الجنائز، ص 499.

(2) M. Hiskett, An Islamic Tradition, op.cit,

عثمان بن فودي، إحياء السّنة، المصدر السّابق، ص ص 176-186.

(3) دنيس بولم، الحضارات القديمة، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1974، ص 54.

(4) دونالدل وايدنر، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي احمد فخري، شوقي عطاالله الجمل،ج1، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1976، ص 84.

الجهاد في ماسينا [1]، حيث لقي الدّعم الكامل من زعماء سوكوتو فراسلهم يستفتيهم في وضع علماء ماسينا الّذين كانوا يعارضون جهاده[2]، كما عمل على نشر الإسلام الصّحيح، وحارب البدع والخرافات إلى جانب محاربته لجور الحكّام، وبانتقاده للعلماء الموالين للسّلطة ثار عليه هؤلاء الحكام يجارونه بالمعاداة لكنّه ثبت وواصل إصلاحه ودعوته على غرار دعوة الشّيخ عثمان بن فودي، منتهجاً الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكثر أتباعه، مما دعا إلى تنظيم دعوته، فشكّل مجلساً للشّورى يتكوّن من أربعين عالماً وقسّم البلاد إلى خمس إمارات على رأس كلّ إمارة أمير، بعد هذه الخطوات أعلن نفسه أميراً على البلاد وسيطر على الأوضاع وضمّ كلاًّ من جني و مسينا، وفي سنة 1815م أسّس عاصمته حمد الله على الضّفة الشّرقية لنهر النّيجر، ثم بدأ ينظّم دولته بتعيين القضاة، وتنظيم المجال الاقتصادي من زراعة وصناعة، وتجارة، كما كان له دور كبير في تشييد المساجد والمدارس القرآنية، وقام بإرسال البعثات من السّفراء إلى خلافة سوكوتو لتبادل الخبرات، فكانت نجاحاته في أن جعل ماسينا تنتعش سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً[3].

ومن رجال الإصلاح الحاج عمر الفوتي الّذين استلهموا جهادهم من الشّيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا أيضاً [4]، حيث قاد حركة إصلاحية جهادية على الأقل لبعض الوقت، في ولايات البامبارا [5]، وقد أقام مدة 12 سنة في خلافة سوكوتو وكتب كتباً عديدة بعدما اطّلع على المؤلّفات الكثيرة والمتنوّعة لقادة الجهاد في سوكوتو، والّتي تأثر بها، ومنها انبثقت الأفكار الّتي كانت الحجر الأساس الّذي انطلق منه الحاج عمر الفوتي في نهج الطّرق نفسها الّتي انتهجها من قبله أمير المؤمنين في خلافة سوكوتو الشّيخ عثمان بن فودي ومن خلفوه من بعده، ومن خلال كتاباته تظهر سعة إطّلاعه على مؤلّفات الشّيخ عثمان ومؤلفات غيره من زعماء الجهاد مثل الشيخ عبد الله والسّلطان محمد بلّو، هذا من خلال كتاباته أما من جهة أخرى فيظهر تأثير الشّيخ عثمان على جهاد الحاج عمر من خلال اهتمام هذا الأخير بالأمر بالمعروف والنّهي عن

(1) H.F.C. Smith, Op.cit, p 173.

(2) عبد العزيز بطران، المرجع السّابق، ص 614.

(3) مصطفاوي سعاد، دور الطريقة القادرية في غرب افريقيا بين القرنين14 و 18 ميلادية، إشراف بن يوسف تلمساني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر، 2010، ص 36.

(4) عبد العزيز بطران، المرجع السابق، ص 611.

(5) أنظر إمبراطورية الحاج عمر في الملحق رقم 06.

المنكر، ثم الهجرة وهما ن المبادئ الأساسية في جهاد الشّيخ عثمان بن فودي[1]،كما تأثر أيضاً بكل ما كان يجري حوله في هذه الدّولة من نظم، وسياسات، وتقارير وأحكام، وبذلك تمّ توجيه فكره نحو الإصلاح والتّجديد، وعمل على توفير الأرضية لذلك بإقناع الكثيرين بأهدافه وتطلّعاته واستطاع جمع عدد لا بأس به من الأتباع من بلاد الهوسا الّذين شكلوا النّواة الأولى لـدولته حيث أصبحوا فيما بـعد أبرز القياديين في تسيير شؤون دولته[2].

وقد كان الحاج عمر يعتقد أن الإصلاح يبدأ بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وإهماله يؤدّي حتماً على القضاء على الأسس الّتي قامت عليها النّبوة نفسها، وقد دعا الحاج عمر إلى تغيير جذري في النّظام التّعليمي عند المسلمين في السّودان الغربي، كما دعا أيضا إلى تحسين أساسي في سلوكهم الخلقي، وفي حياتهم الرّوحية والمادّية، وبهذا يتمكّنون من فهم الشّريعة الإسلامية فهماً صحيحاً، وتطبيقها تطبيقاً سليماً، وقد تبنّى الحاج عمر الهجرة كما فعل عثمان بن فودي، ومبدأ الهجرة كان كرد فعل سلبي على تعسّف حكّام المنطقة، وضغطهم على رعيتهم، وكان الحاج عمر ينظّم اجتماعات دورية منتظمة، للتّعلّم وقراءة الأذكار، ورفع المعنويات، وكانت هذه الأساليب الدّعائية أنفع الأساليب، الّتي عرفتها حركات الجهاد السّابقة[3].وهكذا يتبيّن أنّ خلافة سوكوتو هيأت الظّروف، و وفّرت الأسس لحركات الجهاد في غرب افريقيا حيث أصبح الإسلام أكثر تجذّراً وعلى نطاق واسع في غرب أفريقيا ممّا كان عليه[4].

ومهما يكن فإنّ كلاّ من أحمد لوبو والحاج عمر الفوتي[5] قد استلهما فلسفة حركتهما الإصلاحية من من فكر الشّيخ عثمان بن فودي وقادة الخلافة السّوكوتية،وقد نجحا في مدّ الإسلام، وترسيخه في غرب إفريقيا.

---

(1) جاه، عمر، تقويم جديد لجهاد الحاج عمر الفوتي وعلاقته بجهاد الشيخ عثمان بن فودي، ع6، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1982، ص 293.

(2) H. F. C. Smith، Op.cit, P181.

(3) جاه عمر، المرجع السّابق، ص ص 296- 294.

(4) عبد العزيز بطران، المرجع السّابق، ص

(5) أنظر مناطق نفوذ الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا في الملحق رقم 07.

وفي نهاية الفصل الرّابع نستطيع القول بأنّ خلافة سوكوتو تمثل نموذجاً للخلافة الإسلامية في نظامها السّياسي من تأمير ووزارة ونظام إداري وتقسيم للإمارات وقضاء وشرطة وحسبة وفق ما كانت عليه في البلاد الإسلامية، وأيضا بالنسبة لتنظيمها للاقتصاد الزّراعي، والصّناعي، والتّجاري، كما أنّ سياستها كانت حكمية في تسييرها للموارد المالية من زكاة وعشور وغنائم وفق أصول الشّريعة الإسلامية، وعليه فإن دورها كان كبيراً في ترسيخ الإسلام، ومحاربة البدع الفاسدة، ونشر لغته العربية، كما كانت مثالاً لانتشار مختلف مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وثقافتها، من شعائر ومناسبات دينية، وعادات وتقاليد أثّرت في أنماط المجتمعات مثل طريقة التّعامل، وكثير من الآداب العامّة وحتّى في طريقة اللّباس والمسكن، بل أبعد من ذلك إلى أدّق التّفاصيل طريقة الجلوس، والكلام وغيرها، وأيضا تعتبر حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية التّجديدية مصدر قوة وإلهام حقيقي، بانتشارها وامتداد تأثيرها على الكثير من الحركات الإصلاحية في مناطق كثيرة من غرب إفريقيا أبرزها حركتي أحمد لوبو والحاج عمر الفوتي.

الخـــــاتمة

في ختام هذه الدّراسة لموضوع حركة الشّيخ عثمان بن فودي الإصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب افريقيا (1168- 1233هـ / 1754-1817م) توصلنا إلى جملة من الملاحظات والنّتائج من أهمّها:

أنّ بلاد الهوسا كانت تتكّون من سبع إمارات سكنتها عدّة قبائل وشعوب مختلفة الأعراق من الهوسا والفولاّن أغلبها على الوثنية ارتبطت وتمازجت فيما بينها، ، وكانت قبيلة الفولاّن من أهمّ هذه القبائل حيث ينتسب إليها الشّيخ عثمان بن فودي فكانوا أنصاراً لدعوته الإصلاحية، وقاموا بالجهاد ضدّ ملوك إمارات الهوسا.

ومن خلال الدّراسة تبين أنّ لبلاد المغرب الإسلامي دوراً فعّالاً وريادياًّ في نشر الإسلام ، والحضارة العربية في بلاد الهوسا؛ انطلاقاً من الفاتحين الأوائل إلى التّجار ، والدّعاة ، والعلماء والفقهاء في إطار العلاقات الّتي كانت قائمة بين بلاد المغرب الإسلامي، وبلاد السّودان الغربي ، وقد كان للعلماء المغاربة دّورهم البارز في نشر الإسلام ، وبثّ عقائده الصّحيحة، ومبادئه السّمحة، وما زالوا على ذلك بين تّدريس وتأليف ووعظ و إرشاد، حتّى برز على أيديهم علماء من تلك البلاد حملوا مشعل الرّيادة في الحفاظ على مقوّمات الدّين الإسلامي أمثال الشّيخ عثمان بن فودي.

فقدوم التّجار المسلمين من بلاد المغرب ومشاركتهم بقوافلهم المحملة بمختلف السّلع والمنتجات في التّجارة العابرة للصّحراء، واستقرار الكثير منهم مكّن من توسيع العلاقات، والرّوابط إلى مجالات أخرى متعدّدة أهمها انتشار الإسلام واللّغة العربية. وأظهر سكا ن بلاد المغرب خاصّة التّجار والعلماء والدّعاة قدرات عالية في التّأثير على الجماعات الإفريقية في بلاد السّودان الغربي بترسي خ أسس العقيدة الإسلامية حتّى تكوّنت أجيال من السكّان المحلّين قاموا بدورهم في نشر الإسلام والثّقافة العربية الإسلامية، كما أنّ دور المرابطين هو الآخر هام في نشر الإسلام بغربي إفريقيا، لنشاطهم وحماسهم، إذ كانوا يرسلون الدّعاة والعلماء بين القبائل السّودانية ، وبفضل حركتهم ازداد انتشار الإسلام، كما ازداد الاتّصال التّجاري والثّقافي بالبلاد الإسلامية عامّة.

وكان للعلماء المغاربة بعامّة ومحمد بن عبد الكريم المغيلي لخاصة فضل كبير في إنعاش الحياة السّياسية والعلمية في السّودان الغربي، وبذلك تمّ تشكيل العقل العلمي في السّودان الغربي على مذهب الإمام مالك الّذي أصبح المرجع الفقهي الأكثر انتشاراً في هذه البلاد، وانتشرت معه كتبه، وشروحه من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

وكان أتباع الطّريقة القادرية كغيرهم من أهل زمانهم فمنهم من جاهد ومنهم من قعد، ومنهم من عكف على أوراده، ونوافله ظناً منه أنّه الجهاد الأكبر، إلاّ أنّهم قاموا بدور جليل في نشر الإسلام وعقائده، حيث فتحوا المدارس لتعليم القرآن، وبثّوا العلوم النّقلية والعلوم العقلية، وتاب على أيديهم خلق كثير، وقد أصبح عثمان بن فودي من أقطاب هذه الطّريقة في غرب افريقيا.

حرص الشّيخ عثمان بن فودي على تربية أتباعه بالرّجوع إلى كتاب الله، وسنّة نبيّه محمّد صلّى الله علية وسلّم، كما قام بمحاربة البدع والخرافا ت، الّتي ابتدعها النّاس، وليست من الدّين في زمانه، واضطلع بمهمة التّعليم والدّعوة والوعظ والإرشاد، وبدأ جهاده بالسّيف الّذي كان مرحلة حاسمة لإيقاف جور ملوك الهوسا في سنة 1220هـ/ 1804م حين بلغ الخمسين من عمره. وبدأت المعارك على أرض غوبر أقوى ممالك الهوسا، ثمّ اتّسعت رقعتها إلى الممالك الوثنية الأخرى، ثمّ تحالفت هذه القوى الوثنية للقضاء على الشّيخ عثمان بن فودي وجماعته، ولم يقتصر الجهاد على العامّة من النّاس بل حتّى العلماء، والمحدّثين والقرّاء من حفظة القرآن، واستشهد منهم الكثير في ميادين القتال.

لقد مكّن جهاده الكبير للحكومة الإسلامية مكان الحكومة الوثنية، وقضى على مظاهر الفساد وأظهر الحق، فأزال البدع، وأقام الشّرائع، وبسقوط مملكة غوبر سقطت الممالك الأخرى، وتمّ توحيدها وظهرت خلافة إسلامية ولقب بأمير المؤمنين وبقى على جهاده ودعوته مدة ثلاثة عشر سنة حتّى وافته المنية سنة1233هـ/ 1817م بعد ما ناهز الثّالثة والستّون من عمره.

تطبيق نظم الدّولة الإسلامية كنظام الخلافة والوزارة والقضاء والدّواوين والخراج والزّكاة والمحتسب وبيت مال المسلمين، كما انتشرت المساجد، والمدارس التّعليمية، والمكتبات، في أرجاء المملكة بشكل واسع، ممّا ساهم في ظهور طبقة متعلّمة، ومتشبّعة بالثّقافة العربية الإسلامية، وظهور عدة حواضر علمية وتجارية مثل

سوكوتو وكانو، وكاتسينا، وغيرها ممّا أدّى إلى ازدهار الحركة العلمية والثّقافية، وكذا ازدهار الاقتصاد خاصّة في المجال التّجاري، وبهذا تمّ ترسيخ الإسلام الصّحيح على منهج الكتاب والسّنّة النّبوية، وإرساء تعاليمه السّمحة بالإضافة إلى انتشار وترسيخ اللّغة العربية في منطقة بلاد الهوسا، حيث أصبحت لغة التّخاطب والتّعامل بل أصبحت اللّغة الرّسمية للخلافة السّوكوتية، كما ازدهرت حركة التّأليف في مختلف العلوم شعراً، ونثراً، خاصّة من طرف قادة الجهاد، فظهرت المكتبات العامرة بالمخطوطات، وتطوّرت اللّغات المحلّية الهوساوية والفولاّنية تطوّراً كبيراً سمح بظهور ثقافة إفريقية بروح عربية، ممّا أدّى إلى تغيير نمطية مجتمعات بلاد الهوسا من العادات التّقليدية البالية، واستبدالها بعادات وتقاليد سليمة.

ومن التّأثيرات أن أصبحت حركة الشّيخ عثمان بن فودي مصدر إلهام الكثيرين فكانت امتداد للحركات الإصلاحية في غرب افريقيا مثل حركتي أحمد لوبو والحاج عمر.

بينت الدّراسة أنّ الشّيخ عثمان بن فودي جمع ممّا أفاء الله عليه بين العلم والدّعوة والتّعليم والتّأليف والجهاد والإصلاح والسّياسة والرّياسة فهو عالم فقيه ، ومعلم تخرّج على يديه علماء كثيرون، وكاتِب فذّ له مؤلّفات كثيرة متنوّعة في مختلف صنوف العلم، وهو مجاهد حارب الوثنيين، ومصلح اجتماعي بمحاربته البدع والخرافات، وقائد سياسي حيث بويع أميرا للمؤمنين وبجهاده أسس خلافة إسلامية في بلاد الهوسا، هذا وقد منّ الله علية بأن ندب له من بطانة أعانته على ذلك الأمر كلّه، والّتي بدورها واصلت المسيرة من بعده حتّى سقطت هذه الخلافة بعد قرن من العطاء على يد الاستعمار البريطاني، وكان ذلك سنة 1903م.

ومن خلال ما سبق يكون البحث قد أعرب عن فصول من حياة الشّيخ عثمان بن فودي ، كما أبرز الجذور التّاريخية المغاربية لهذه الحركة التّجديدية الإصلاحية، وأسهم في الكشف عن حظوظ النّجاح الّتي حققتها، ومدي تأثيراتها الواسعة في مناطق كثيرة من غرب افريقيا ، على أنّ مجال البحث والدّراسة في جوانب أخرى لهذا الموضوع تبقى مفتوحة للكشف عن الكثير من الخبايا الّتي لا تزال مجهولة.

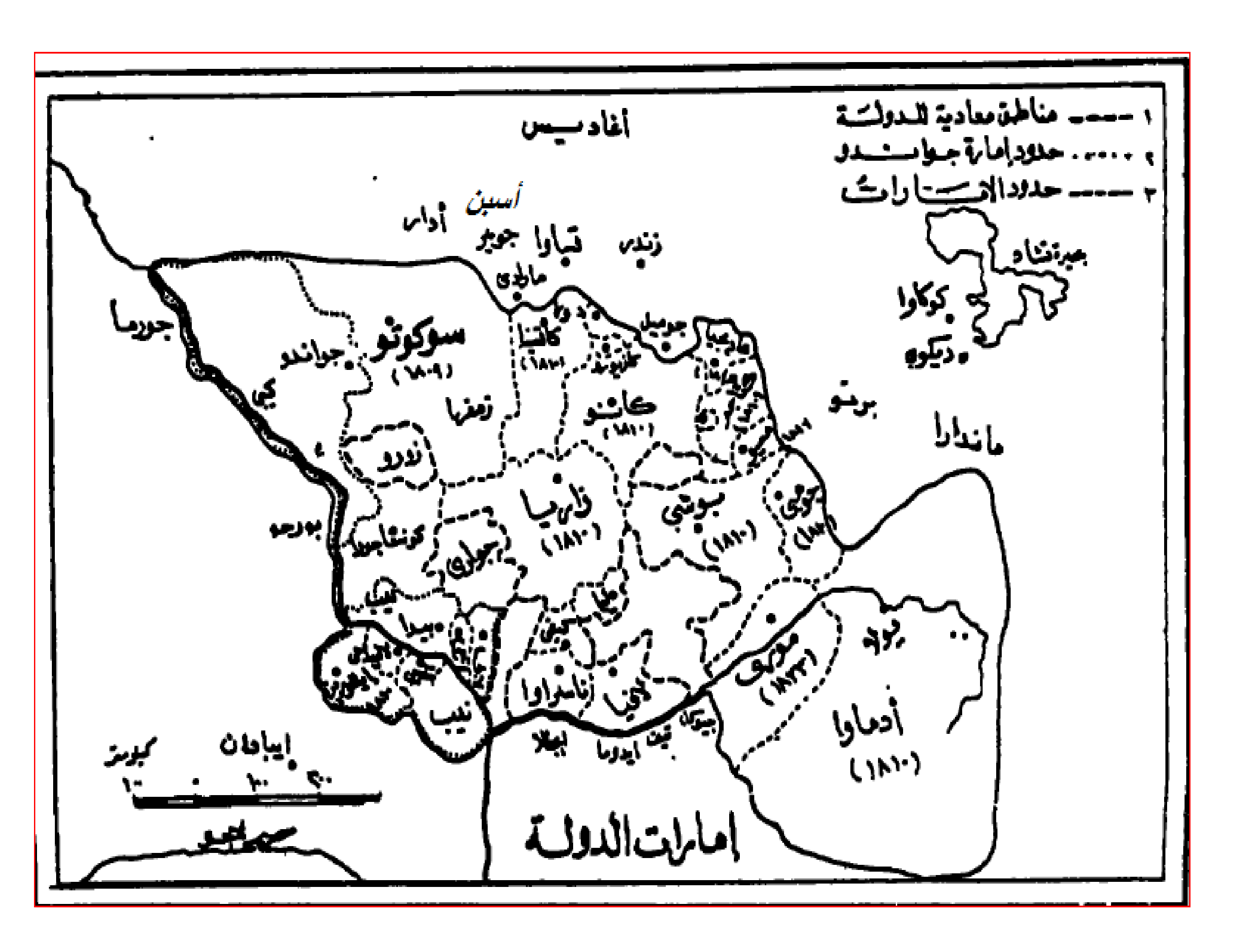
الملاحـــــــــــــــــــق

ملحق الأشكال

ملحق الخرائط

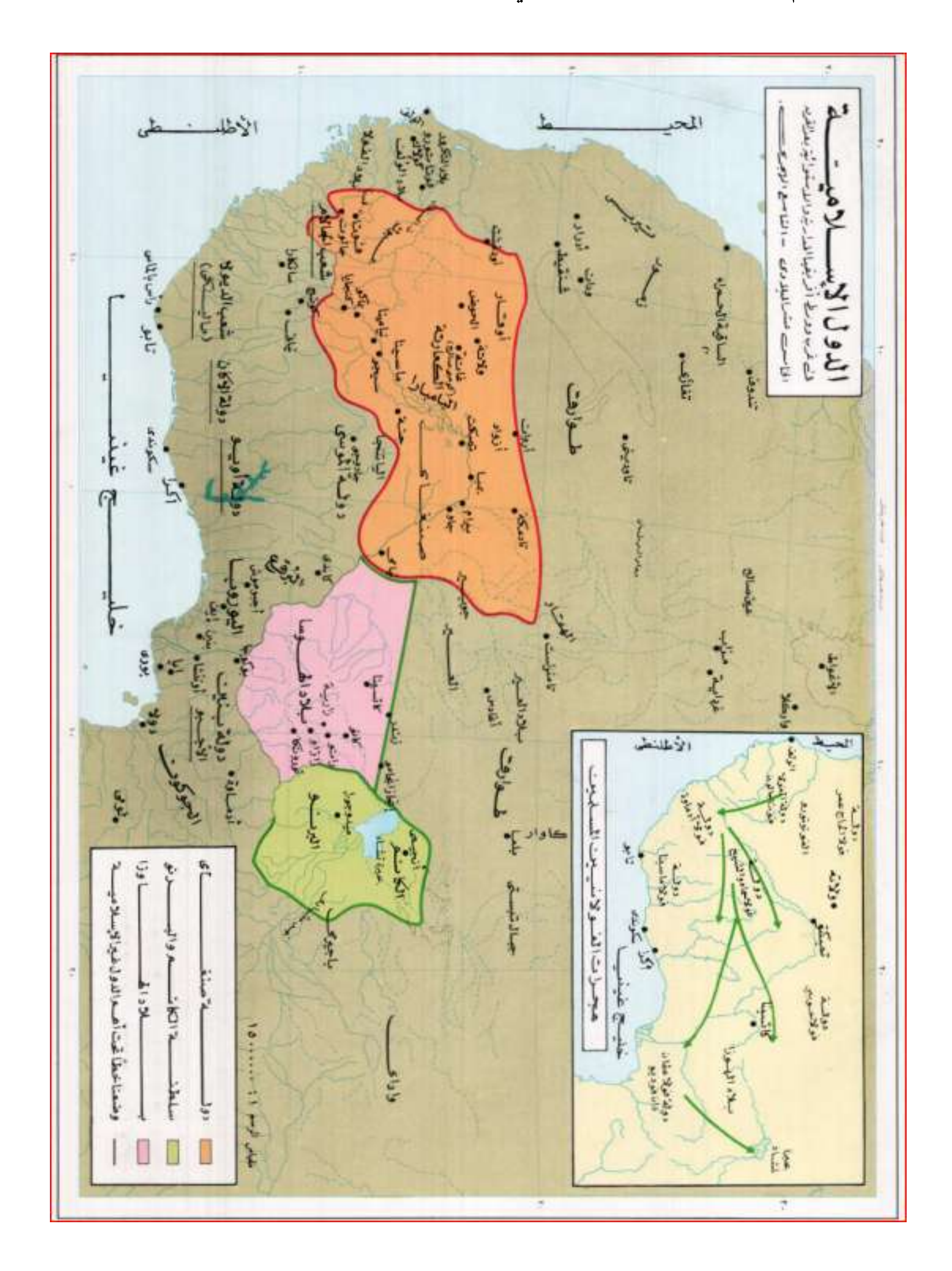
ملحق صور المخطوطات

الملحق رقم:01 **ممالك بلاد الهوسا**



المصدر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، التراث الحضاري الإسلامي لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر، عالم الفكر،ع4 مج 21 ، الكويت ، 1993، ص 230.

الملحق رقم: 02. القوي السّياسية في غرب إفريقيا بورنو وممالك الهوسا والسنغاي.



المصدر: حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام، ط 1،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 367.

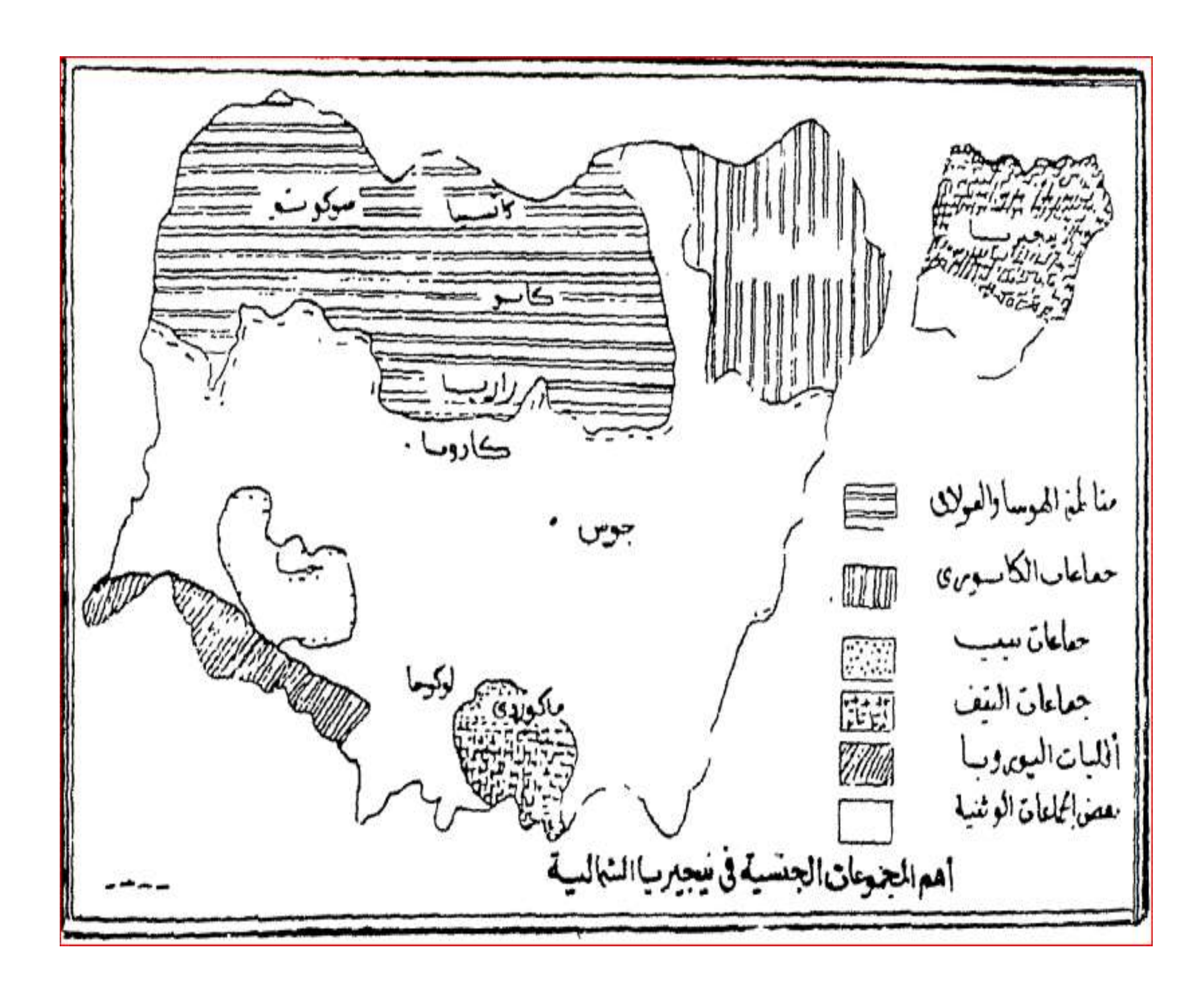
الملحق رقم:03 الممالك الإسلامية في غرب افريقيا



المصدر: مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ط1،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،1987، ص 366.

الملحق رقم: 04

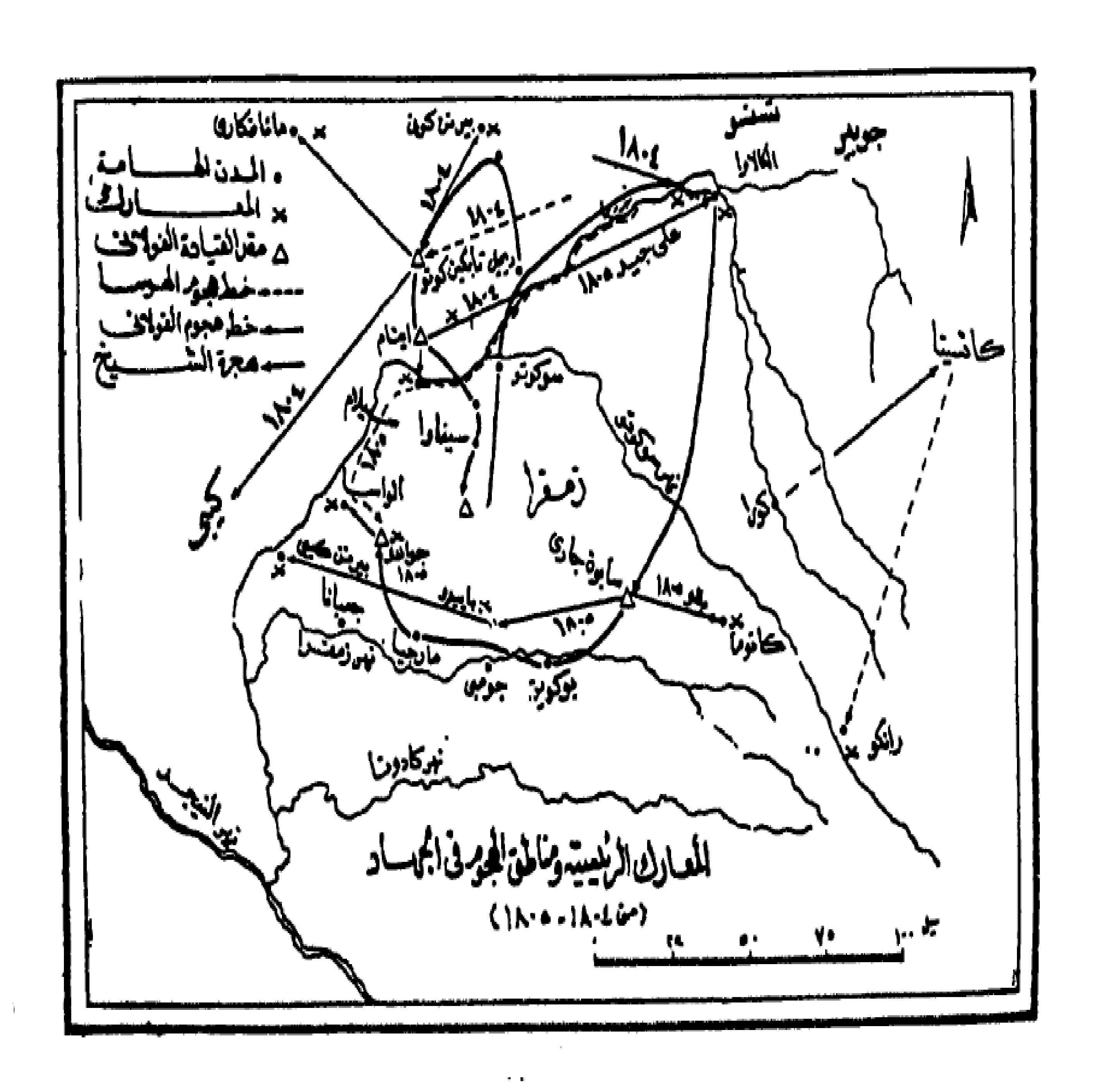
المجموعات العرقية في شمال نيجيريا



المصدر:

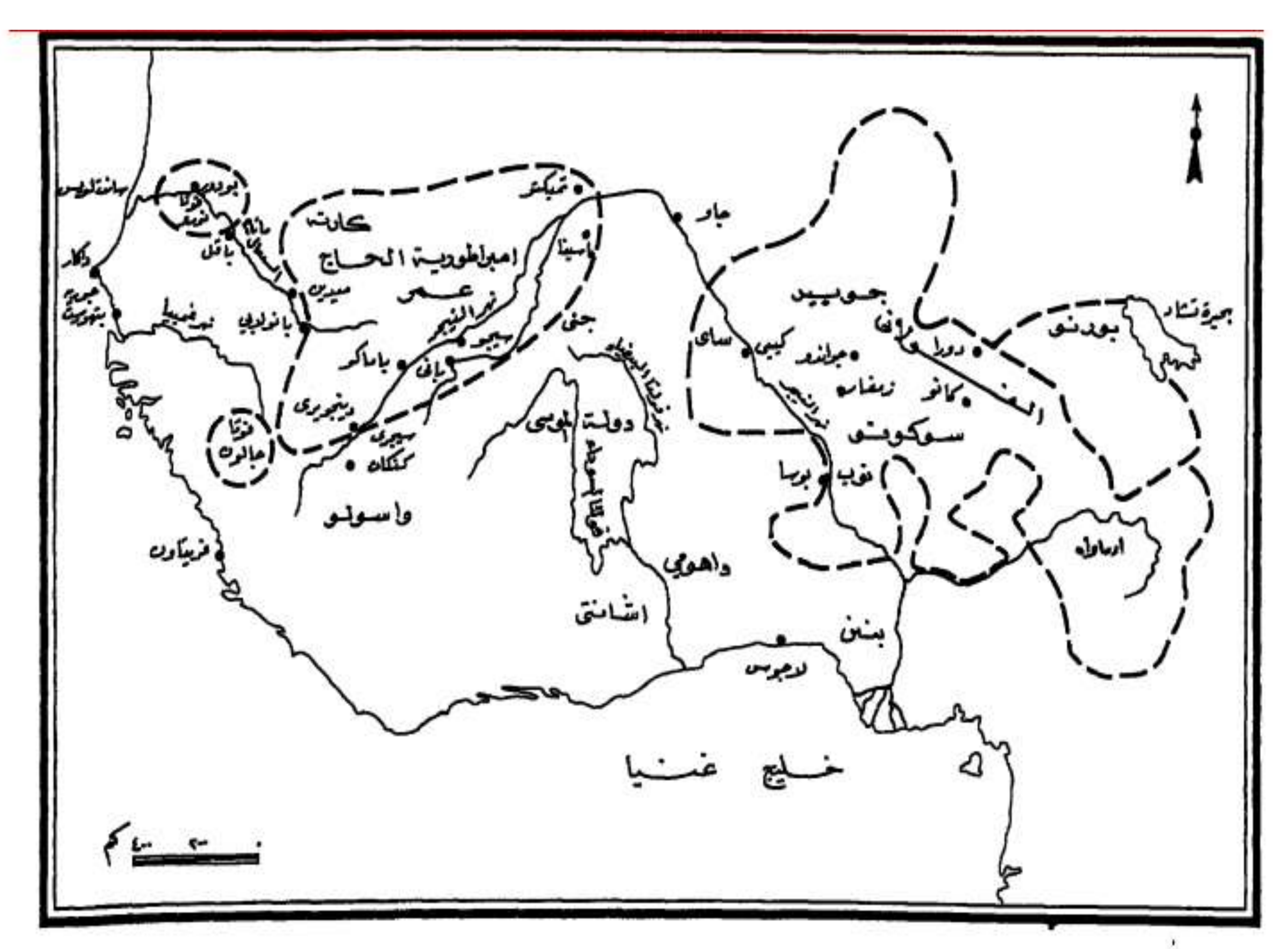
الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة في افريقيا و مساهماتهم الإسلامية و التنموية في السودان، ط1 دار الكتاب الحديث، الكويت 1994، ص 302.

الملحق رقم: 05 **معارك جهاد الشّيخ عثمان بن فودي**



المصدر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، التراث الحضاري الإسلامي لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر، عالم الفكر،ع4 مج 21 الكويت ، 1993،، ص 236.

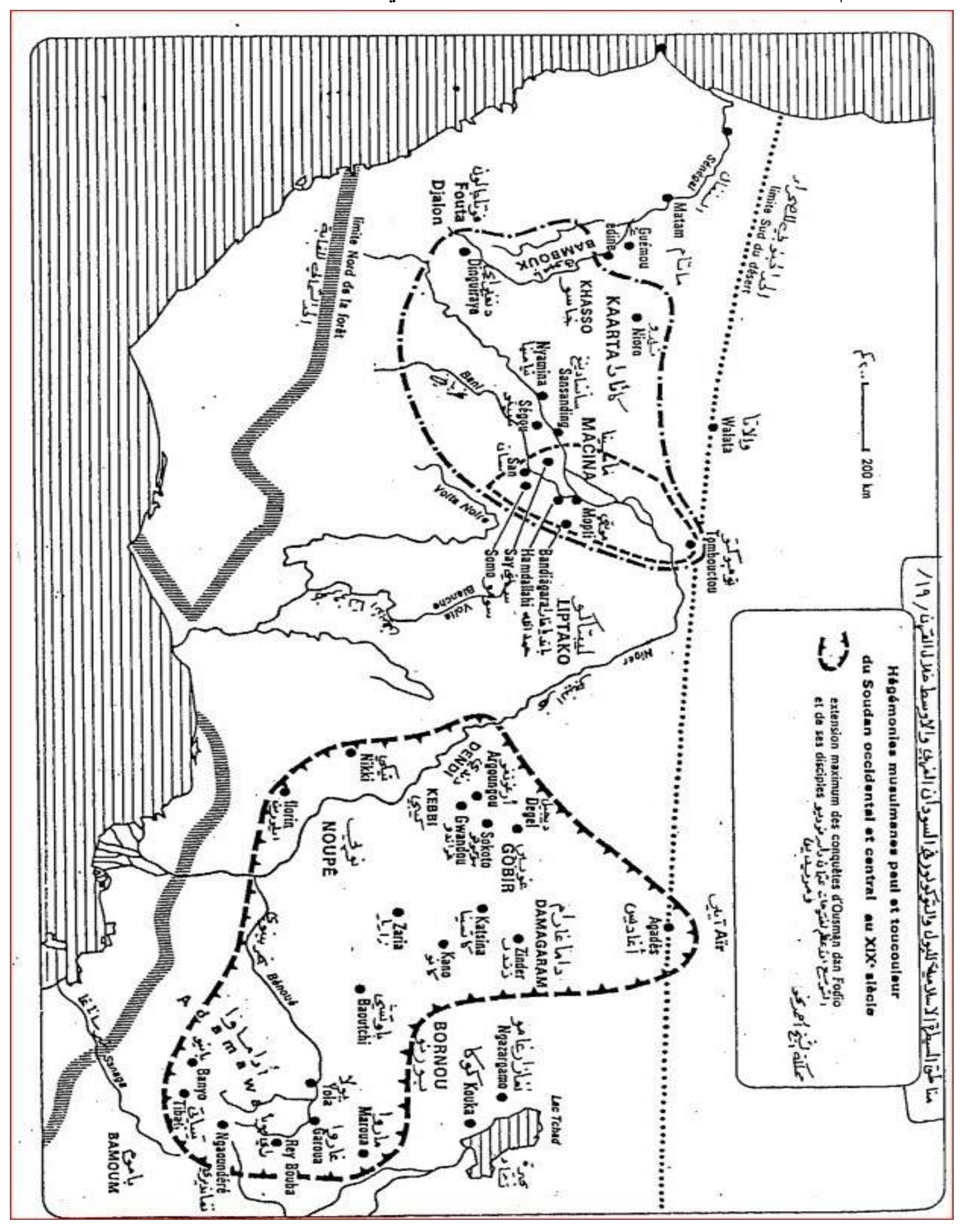
الملحق رقم:06.



امبراطورية الحاج عمر

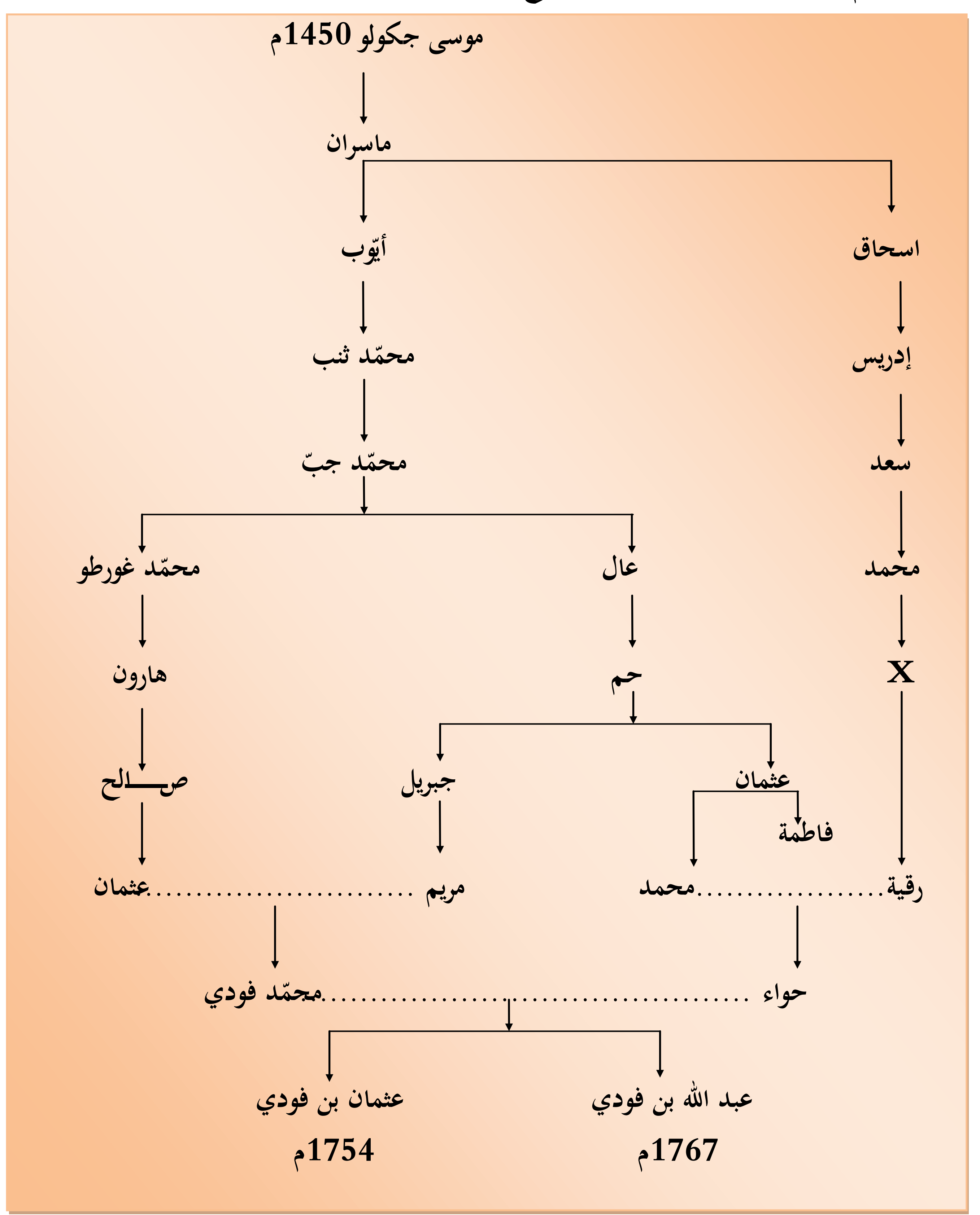
المصدر: إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي1850– 1914، دار المريخ، الرياض،1988، ص233.

الملحق رقم: 07.   مناطق نفوذ الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا



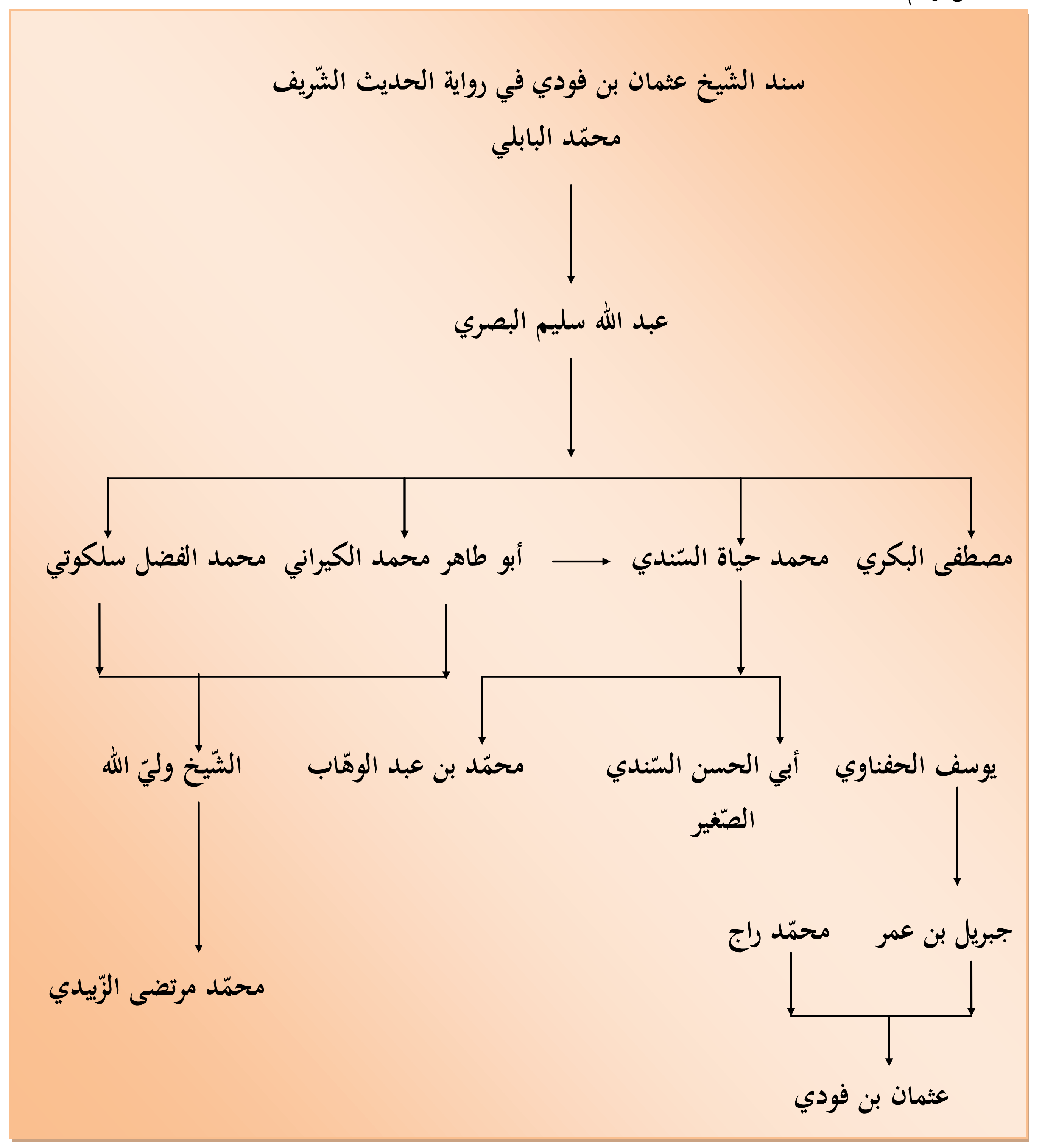
المصدر: جوزيف كي زيربو: تاريخ افريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلبي الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994، ص 631.

الملحق رقم: 08 سلسلة عائلة الشّيخ عثمان بن فودي.

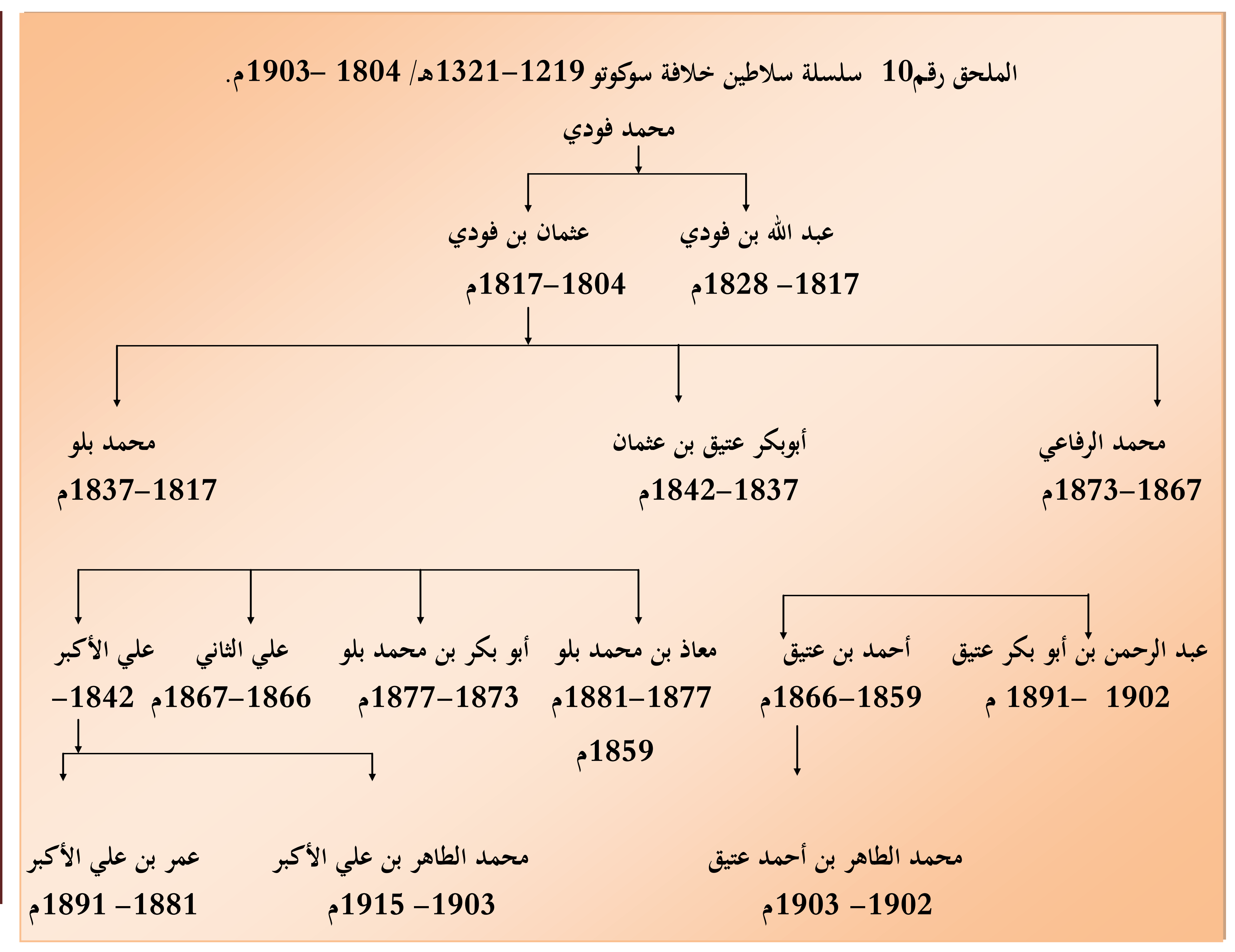


المصدر: Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963 , p5.

الملحق رقم: 09



المصدر: John O. Voll, Uthmān B. Muhammad Fūdi's Sanad To Al-Bukhārī As Presented In Tazyīn Al-Waraqāt, Sudanic Africa, Vol. 13, Sudanic Africa: Texts And Sources 2. Fontes Historiae Africanae Bulletin Of Information: Selected Articles 1979-1987 (2002) , P114.

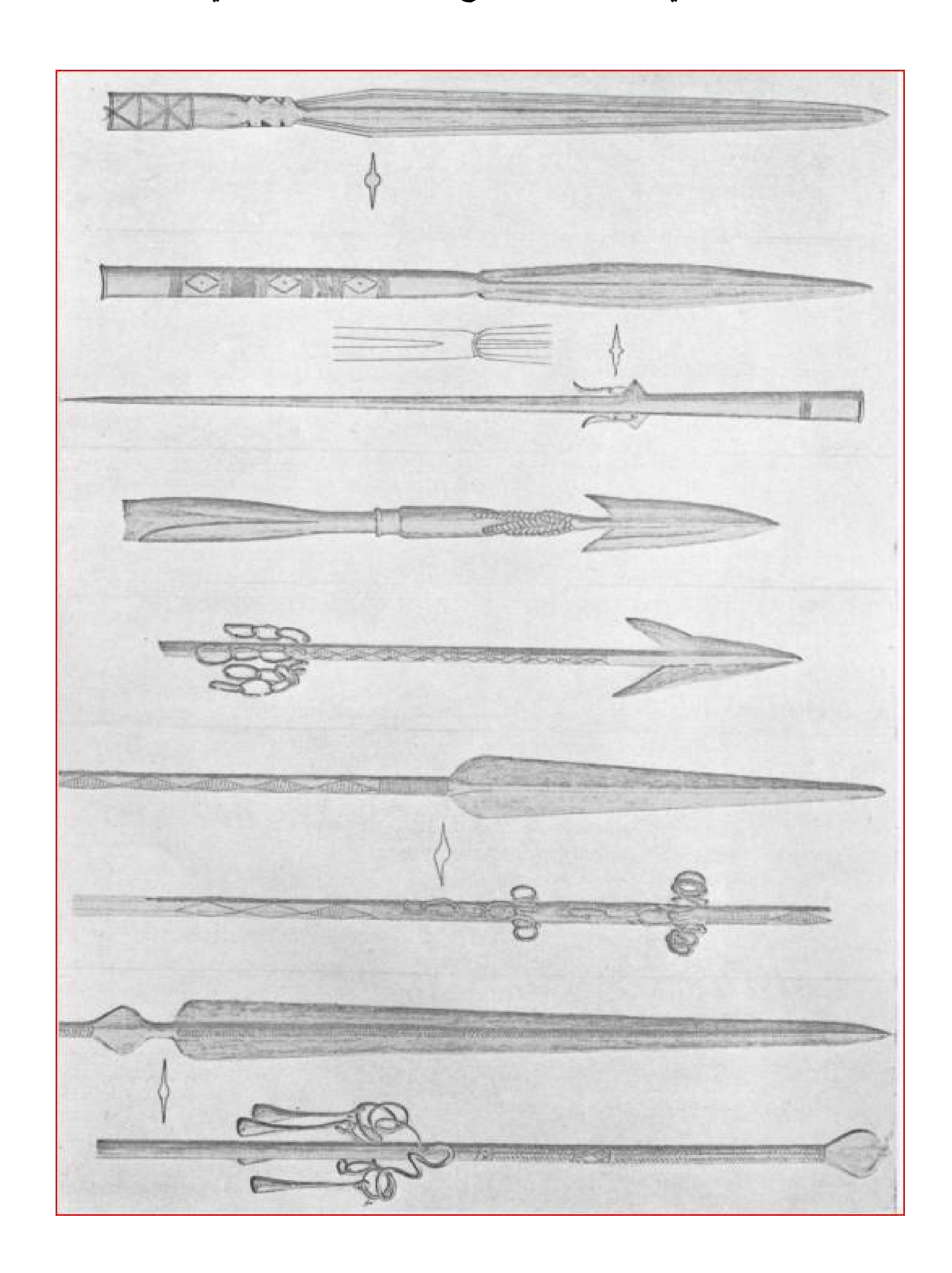


المصدر:

H.A.S. Johnston: The Fulani Empire of Sokoto, Oxford ,University Press, London. 1967.

الملحق رقم: 11

أسلحة استخدمت في معارك جهاد الشّيخ عثمان بن بن فودي في بلاد الهوسا.

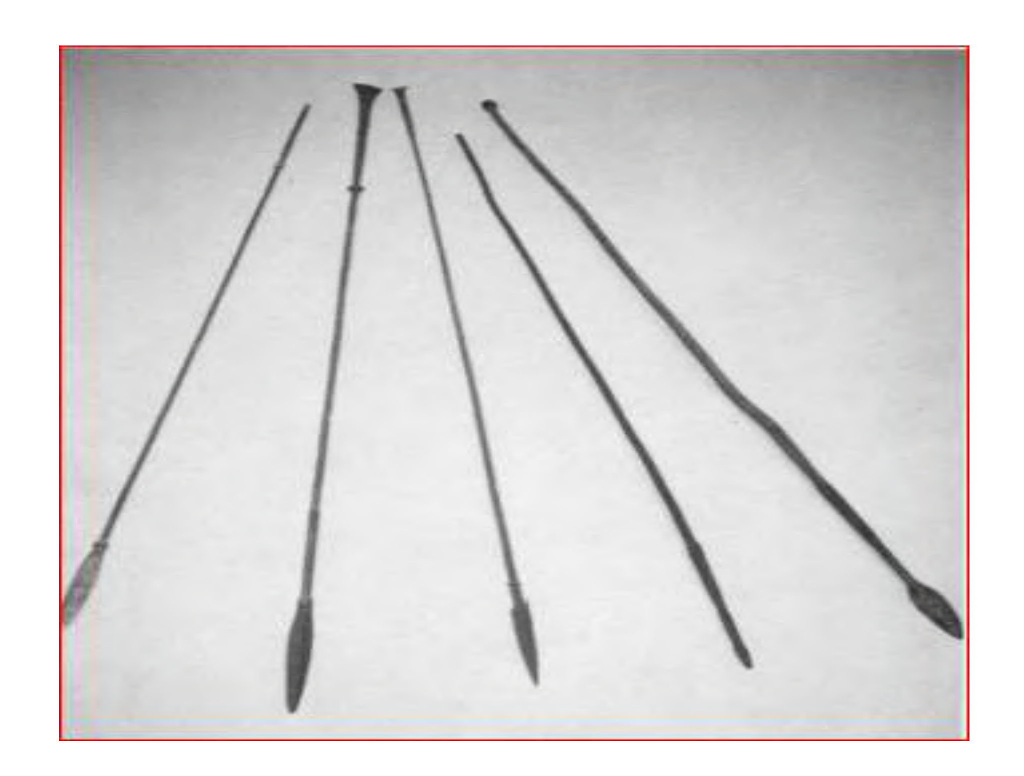


المصدر:

A. H. M. Kirk-Greene A Note on Some Spears from Bornu, Northern Nigeria, Man, Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland,Vol. 63 , 1963, p 174.

الملحق رقم: 12 سيوف ورماح أسلحة استخدمت معارك الجهاد في بلاد الهوسا

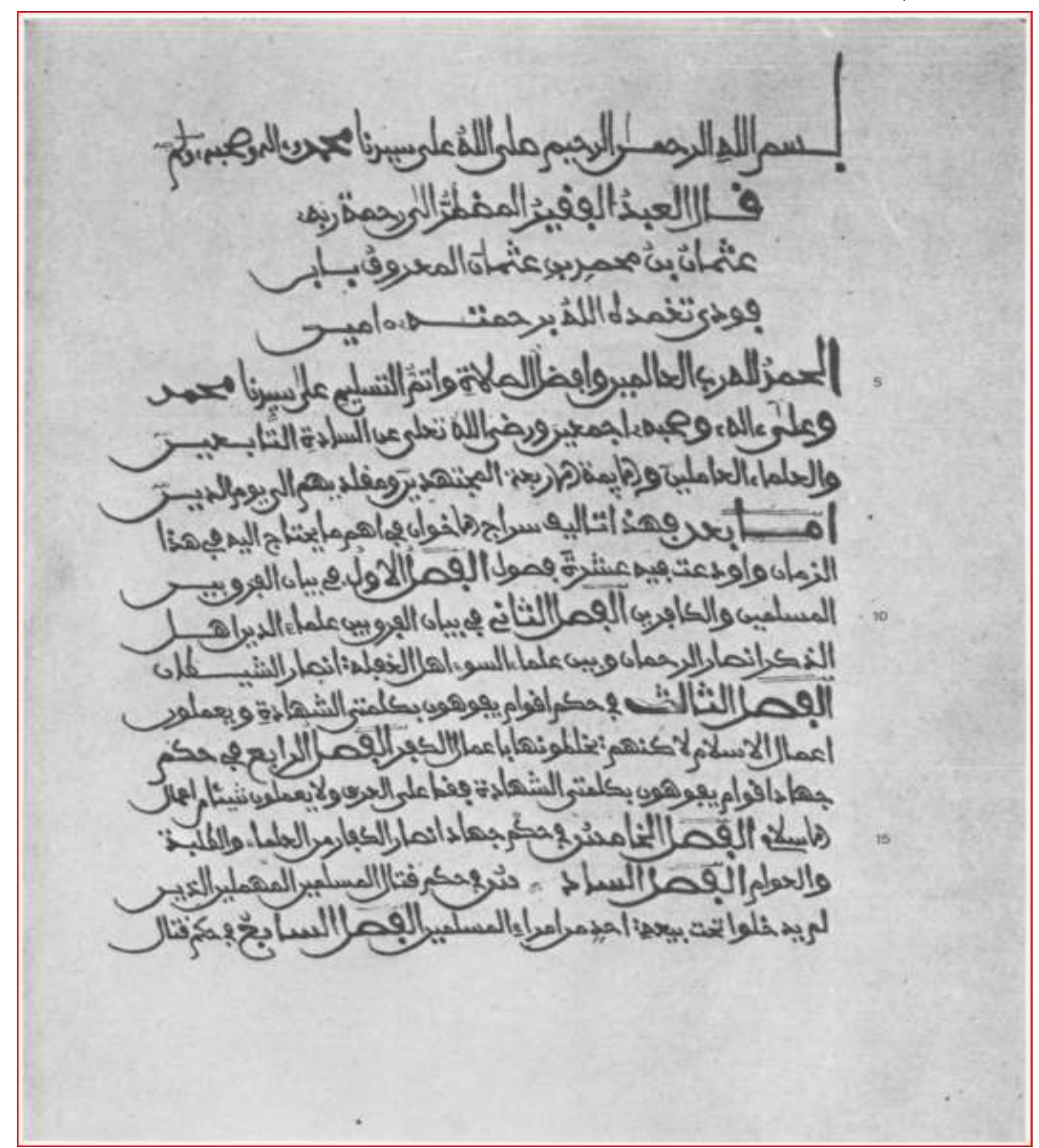




المصدر:

Josephp .S Maldone, Warfare In The Sokoto Caliphate, Cambridge University Press, London, 2008.pp43-44.

الملحق رقم:13.



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
قال العبد الفقير المضطر إلى رحمة ربه
عثمان بن محمد بن عثمان المعروف بابن
فودي تغمده الله برحمته آمين
الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين ورضي الله تعالى عن السادة التابعين
والعلماء العاملين وأئمة أربعة المجتهدين ومقلديهم إلى يوم الدين
أما بعد فهذا تأليف سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا
الزمان وأودعت فيه عشرة فصول الفصل الأول في بيان الفرق بين
المسلمين والكافرين الفصل الثاني في بيان الفرق بين علماء الدين أهل
الذكر أنصار الرحمن وبين علماء السوء أهل الغفلة أنصار الشيطان
الفصل الثالث في حكم أقوام يتفوهون بكلمتي الشهادة ويعملون
أعمال الإسلام لكنهم يخلطونها بأعمال الكفر الفصل الرابع في حكم
جهاد أقوام يتفوهون بكلمتي الشهادة وقفا على الحرف ولا يعملون شيئا من أعمال
الإسلام الفصل الخامس في حكم جهاد أنصار الكفار من العلماء والطلبة
والعوام الفصل السادس في حكم قتال المسلمين المهملين الذين
لم يدخلوا تحت بيعة أحد من أمراء المسلمين الفصل السابع في حكم قتال

الورقة رقم واحد من مخطوط سراج الإخوان لـ: عثمان بن فودي

المصدر:

Celeste Intartaglia, Il Sirāğ Al—IḪwān Del Muğaddid Nigeriano 'UṯMān Dan Fodio (1754–1817 A. D.), Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 4 (65), Nr. 7/9 (Luglio-Settembre 1985), Pp. 129-175

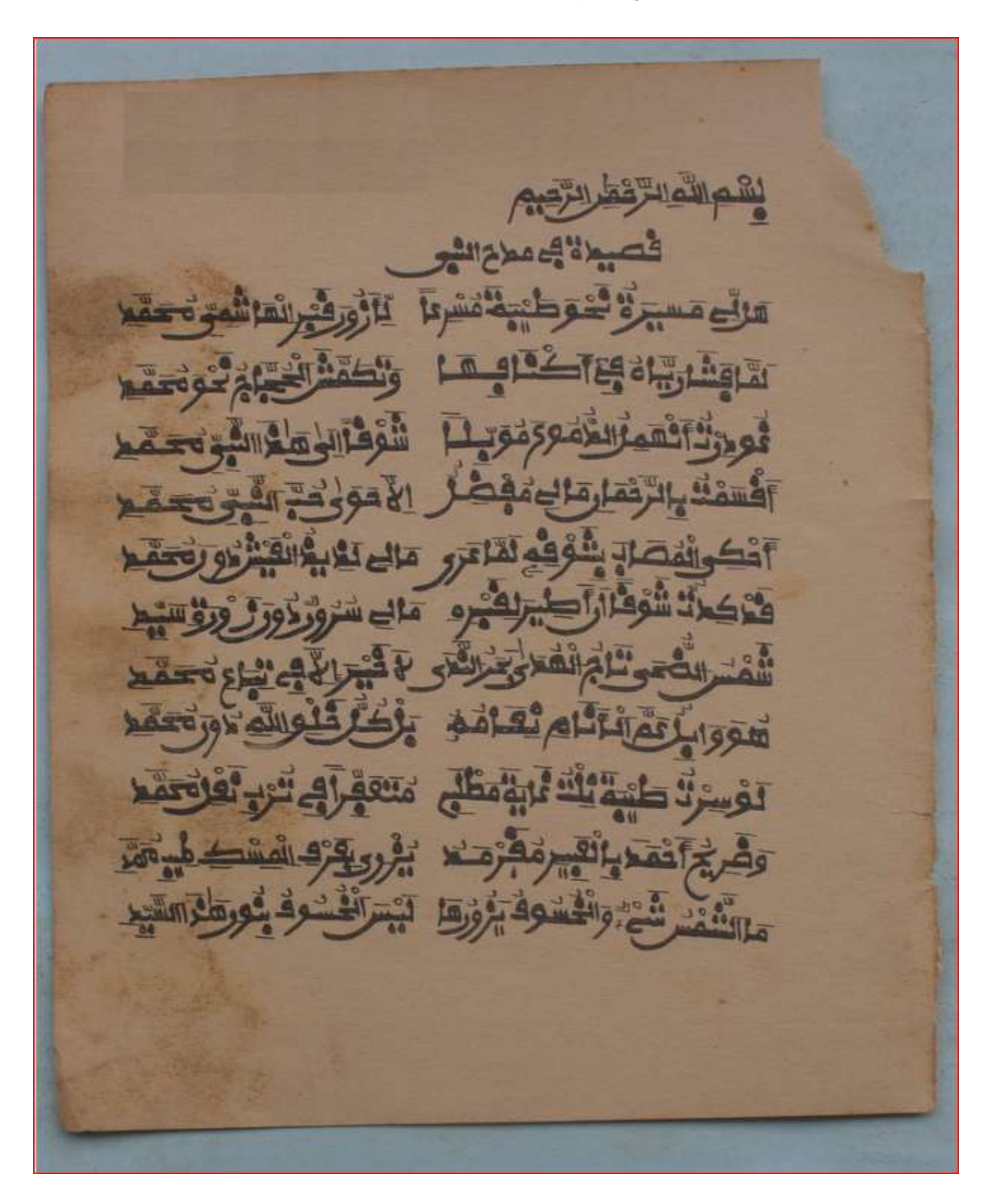
الملحق رقم: **14**.


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد والحمد لله
الذي انعم علينا بنعمته الايمان والاسلام وهدانا بنبينا
ومولانا محمد عليه من الله تعالى افضل الصلاة وازكى السلام
اما بعد فهذه وثيقة من ابن فودي امير المومنين عثمان
الى جميع اهل السودان والى من شاء الله من الاخوان في البلدان
وهي وثيقة نافعة في هذه الازمان فاقول وبالله التوفيق
فاعلموا يا اخواني ان الامر بالمعروف واجب اجماعا وان النهي
عن المنكر واجب اجماعا وان الهجرة من بلاد الكفار واجبة اجماعا
وان موالاة المومنين واجبة اجماعا وان نصب امير الامراء المومنين
واجب اجماعا وان طاعته وجميع نوابه واجبة اجماعا وان
الجهاد واجب اجماعا وان نصب الامراء في البلدان واجب اجماعا
وان نصب القضاة واجب اجماعا وان تنفيذهم احكام الشرع
واجب اجماعا وان حكم البلد حكم سلطانه واجب اجماعا ان
كان مسلما كان البلد بلد اسلام وان كان كافرا كان البلد بلد كفر
وجبت الهجرة منه وان قتال الملك الكافر الذي لا يقول لا اله
الا الله اصلا واجب اجماعا وان اخذ السلطنة منه واجب اجما
عا وان قتال الملك الكافر الذي يقول لا اله الا الله بسبب عرف
البلد ولم يكن يدعي الاسلام واجب اجماعا وان اخذ السلطنة
منه واجب اجماعا وان قتال الملك المرتد الذي خرج عن دين
الاسلام

الورقة رقم واحد من مخطوط وثيقة أهل السّودان لعثمان بن فودي

المصدر: الأرشيف الوطني كادونا، المادة: 4، المرجع: L/AR 23

الملحق رقم **15** قصيدة في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم


بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة في مدح النبي

المصدر : عثمان بن فودي، مخطوط قصيدة الدّالية، المادة 7، المرجع O/AR19 الأرشيف الوطني كادونا للمخطوطات العربية. الموقع الالكتروني:

http://eap.bl.uk/database/overview_item.a4d?catId=160857;r=3557،

الملحق رقم 16.

قصيدة التوحيد باللغة الفولاّنية للشيخ عثمان بن فودي


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه
عثمان بن محمد بن عثمان ... بن فودي تغمده الله برحمته آمين

المصدر : عثمان بن فودي، مخطوط قصيدة والله والله، الأرشيف الوطني كادونا للمخطوطات العربية.

الموقع الالكتروني:

http://eap.bl.uk/database/overview_item.a4d?catId=231890;r=28253

الملحق رقم: 17

الرّسائل المتبادلة بين الشّيخ عثمان بن فودي، وسلطان الكانم بورنو محمّد الأمين الكانمي

مذمومة يجب النهي عنها والانكار على فاعلها لكن
لا يكفر فاعلها اذ ليس احد منهم يدعي ان تلك الاشياء تنزل
او ينقص من [illegible] انهم الا كل [illegible] عوائد جهلهم ان الصدقة
في ذلك الموضع احسن من غيره ومن طالع كتب الفقه ووقف
على كلام الائمة في باب الحج حين تكلم على النهي عن
التمسح للقبور والتبرك عنه علم مصداق ما قلنا وهذه
ضيافة مرينة من [illegible] الصلاح وهي بين [illegible]
وذلك موضع العلم واهل السلام وبالرضا ثمرة تنفع بها
العامة مثل فعل الاعاجم وهم يفعل امر من العلماء [illegible]
كما قال العرب [illegible] واما كشف الراس فحرام ايضا [illegible]
[illegible] فالنهي عنه لمن فاعله لا تكفيره لان التكفير يؤدي
الى الكفر واما عدم [illegible] مع الحضور فيه معصية يجب التوبة
على الحضور منها [illegible] اذا كانت مكشوفة الى [illegible]
وخروج الوقت لا اعادة عليها [illegible] كما هو
معلوم في كتب الفقه وكيف تصح الصلاة من كان [illegible] وكذلك
[illegible] الى [illegible] واكل مال اليتيم والجور في الحكم كل ذلك
من الكبائر التي نهى الله عنها [illegible] يجب على [illegible]
[illegible] ان استطاع [illegible] فلولا [illegible]
ونهيهم عن المنكر واعلم ان [illegible] من حين [illegible]
[illegible] من [illegible] الفعل [illegible] الامر
والنهي متوقف على شروط منها ان لا يؤدي
الى ما هو اعظم منه ومثل [illegible]
[illegible] عليك وعلى

المسلمين

المسلمين ضررا دينيا او دنيويا اما الخروج على الملك بعد انعقاد
البيعة حرام عند جميع اهل السنة وان ظلمه فسق وتلك مسألة
[illegible] جميعهم ولكن الاحوال [illegible] لا بد من العلم العظيم [illegible]
فلهذه [illegible] من اعظم [illegible] البيان لسلطان تسليما
جدليا ان تلك الافعال مكروه لصاحبها فكيف يسمى الكفر غيره وقد
قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها [illegible] ذلك [illegible] تسليما جدليا
ان الكفر يسمى في لغة الشريعة [illegible] الشريعة وكفر جميع
الامة [illegible] اذ ما من زمان الا وفيه جميع البلدان من الفسق
والمعاصي ما لا يحصى كثرة [illegible] منها وكذلك
[illegible] وجميع من الاسلام بين الرشوة والجور واكل مال اليتيم
والظلم والبدع من من بني امية الى يومنا هذا لا تخلو زمن ولا بلد من
نصيب من البدع والمعاصي ملوكهم [illegible] بكل [illegible] ونفعلهم
فكيف [illegible] باقوالهم وهم [illegible] على ما يقتضيه قولهم والعياذ
بالله من الخطأ في الدين ومن اتباع الظن الفاسد نعم رأينا منكم
ما يبكي كل مؤمن وذلك [illegible] للكتب [illegible] في [illegible] وهي
المواضع المستقذرة وفيها اسم الله تعالى وتعلمون ان من القى [illegible]
من القرآن في موضع مستقذر كفر والعياذ بالله وكذلك رأينا من
بعضكم [illegible] وتوكيد الايمان ثم تنقضونها بعد توكيدها
[illegible] الرجال [illegible] بعد ان كانت
لكم المعرفة في العلم والدين احببتم الملك ورغبتم فيه حتى
سولت لكم انفسكم [illegible] ما [illegible] واستحللتم [illegible]
لكم دليلا لا شيء وقد سمعناه من الشيخ عثمان ابن فودي زاعما

المصدر: المكتبة الوطنية التونسية

لقد ورد ذكر نص الرسالتين في كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بلو وغيرها من الرسائل الأخرى الّتي تبادلت بينهم في فترة الجهاد ببلاد الهوسا

أنظر محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ص 157-198.

الملحق: 18.

مؤلّفات الشيخ عثمان بن فودي:

-اتباع السنة وترك البدعة.

-اتباع الكتاب والسنة والإجماع، ودليل اجتناب البدعة لمن يدين الإسلام.

-الأجوبة المحررة من الأسئلة المقررة.

-إحياء السنة وإخماد البدعة.

-آداب العبادات والعادات.

-إرشادات فقهية.

-أرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان.

-إرشاد الامة إلى تيسير الملة.

-إرشاد السالك الرباني إلى أحوال عبد القادر الجيلاني.

-إرشاد العباد إلى أهم مسائل الجهاد.

-إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى الصراط.

-أسانيد الضعيف المتشفع بمشافعة أحمد الشريف.

-أسانيد الفقير المعترف بالعجز والتقصير في بعض ما أخذ بالقراءة أو الإجازة.

-الأصول التى في كتاب العلامة أحمد زروق.

-أصول الدين.

-أصول الشريعة.

-أصول الطريق.

-أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل.

-أصول الولاية وشروطها.

-إعداد الدعاة.

-إفادة الإخوان.

-إفهام المنكرين عليّ فيما أمروا الناس به وما نهوهم عنه.

-إقتباس العلم.
-الله إن دار تريم فيداج دورما (قصيدة بالفلانية.(
-أمر أشراط الساعة.
-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
-الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين.
-إن غت الله (قصيدة بالفولانية).
-إن دوم ينغ الله همايتا (قصيدة بالفولانية).
-الله شاهيد (قصيدة بالفولانية).
-بسم الله يا رحمن (بالفولانية).
-بنج غد (بالفولانية).
-بنج هوسا (بالفولانية).
-بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية.
-بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد.
-بيان وجوب الهجرة وتحريم موالاة الكفرة.
-تبت حقيقة (بالفولانية).
-تبشير الأمة الأحمدية لبيان بعض المناقب القادرية.
-تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي.
-تحذير أهل الإيمان من التشبيه بأهل الكفر والعصيان.
-تحذير الإخوان من المهدية الموعودة آخر الزمان.
-تحفة الحبيب للحبيب.
-تحقيق العصمة لجميع طبقات هذه الأمة.
-تخميس أيا من له إعلاء العلاء.
-تخميس تكدوم الله (بالفولانية).
-ترغيب عباد الله في حفظ علوم دين الله.
-ترويح الأمة ببيان تيسير الملة.

-تطبيب قلوب الأمة الأحمدية بذكر بعض القصائد الأحمدية.

-تعليم الإخوان بالأمور التى كفرنا بها ملوك السودان.

-تلخيص أسرار كلام المحاسبي.

-تمييز المسلمين من الكافرين.

-تمييز أهل السنة وأنصار الرحمن.

-تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان.

-تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان علم فروض الأعيان من دين الله تعالى الرحمن.

-تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة.

-تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة.

-تنبي الحكام.

-تنبيه الطلبة على أنّ الله معروف بالفطرة.

-تنبيه الغافلين.

-تنبيه الغافلين على حكم تاريخ الدنيا.

-تنبيه الغافلين وأحاديث السلف الصالح.

-تنبيه الغافلين وتنظيم الأخبار وبديع الآثار.

-تنبيه أهل الفهوم على وجوب اجتناب الشعوذة والنجوم.

-تنزيه ربنا القدوس على كل ما يخطر في النفوس.

-توفيق المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين الذين كانوا من أهل السنة المتقين.

-جمع قصص فيها ذكر بعض أبيات المحصل لابن زكريا.

-حصن الإفهام من جيوش الأوهام.

-حقيقة الإيمان والإسلام.

-حكم جهال بلاد الهوسا.

-الحمد لله دوكلماج بسراك (بالفولانية).

-الخبر الهادي إلى أمر الإمام المهدي.

-دالية الشيخ عثمان (القصيدة الدالية).

-دعوات الشيخ.
-دعوة العباد إلى كتاب الله.
-دلائل الشيخ عثمان.
-دواء الوسواس والغفلات في الصلاة وقراءة القرآن والدعوات.
-دوليايل (قصيدة بالفولانية).
-رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد إلى التقليد في قواعد التوحيد.
-رسالة إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي.
-رسالة إلى يعقوب في مدح القرآن الكريم.
-رفع الإشتباه.
-رفع الشبهات بالتشبه بالكفرة والظلمة.
-سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.
-السلاسل الذهبية للسادة الصوفية.
-السلاسل القادرية.
-سوق الأمة إلى اتباع السنة.
-سوق الصديقين إلى حضرة القدس.
-شفاء الغليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل
-شفاء الناس من الداء.
-شفاء النفوس.
-شمس الإخوان يستضيئون به بها في أصول الأديان.
-طريق الجنة.
-عدد الداعي إلى دين الله.
-عقيدة العوام.
-علوم المعاملة.
-عمدة البيان في العلوم التى وجبت على الأعيان.
-عمدة العباد فيما يدعي الله به من جهة الصلاة والصوم وتلاوة القرآن.

-عمدة العلماء.

-عمدة المتعبدين.

-فائدة.

-الفتاوى للسائل.

-فتح البصائر لتحقيق علوم البواطن والظواهر.

-الفرق بين علم أصول الدين وبيان علم الكلام.

-الفرق بين ولاية أهل الإسلام وبين ولاية أهل الكفر.

-فكافكار (بالفولانية).

-فند نور (بالفولانية).

-قصيدة الشيخ عثمان إلى [الشيخ] مختار الكنتي.

-قطع الخصام الذي يقع بين طلبة علم الكلام.

-قواعد الصلاح إلى الفلاح.

-قواعد الصلاة.

-قواعد طلب الوصول إلى الله.

-كتاب الآداب.

-كتاب الأصول التي في كتاب العلامة المحاسبي.

-كتاب التفرقة بين الوعاظ المهتدين وبين الوعاظ المذمومين.

-كتاب الفرق.

-كتاب المسائل.

-كتاب الورد.

-كتاب مدة الدنيا.

-كشف ما عليه العمل من الأحوال.

-كف الطالبين عن تكفير عوام المسلمين.

-كفاية المسلمين.

-كفاية المهتدين.

-المحظورات.

-مديت الله جنلك جيد وسيلة (بالفولانية).

-مرآة الطلاب في مسند أبواب دين الله الوهاب.

-مرآة الفرائض.

-مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان.

-مصباح المهتدين.

-مصباح أهل هذه الأزمان من أهل بلاد السودان.

-معراج العوام إلى سماء علم الكلام.

-ملخص من أسرار كلام الشيخ الفقيه المحاسبي.

-منهاج العابدين.

-مواضع أوهام الطلبة في كتب الكلام لعلماء الملة.

-مورنور (بالفولانية).

-حيتي بند كموج (بالفولانية).

-ميتيم الله (بالفولانية).

-ميتيم الله يا محمود (بالفولانية).

-ميتيم الله يا حواب غيتي (بالفولانية).

-نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان.

-نصائح الأمة المحمدية لبيان الفرق الشيطانية التى ظهرت في بلادنا السودانية.

-نصيحة أهل الزمان لأهل السودان من الأعراب والأعجام في جميع البلدان.

-نور الألباب.

-هداية الطالبين.

-هداية الطلاب.

-هل لي مسير نحو طيبة.

-وثيقة الإخوان لتبيين دلالات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع.

-وثيقة الجواب على سؤال دليل منع خروج النساء.

-وثيقة إلى جماعة المسلمين.

-وثيقة أهل السودان.

-ولما بلغت ستا وثلاثين سنة.

-ولما بلغت (في الورد العثماني القادري).

-يا الله (قصيدة بالفولاّنية).

-قائمة مؤلفات الشّيخ عثمان بن فودي مستقاة من المصادر والمراجع التالية:

1 - المصادر العربية:

أبو بكر غوندو، مختارات من مؤلفات الشّيخ عثمان، ،، دار إقرأ للطباعة و النشر، غدابيو- غوسو، نيجيريا، مج 1-2-3، 2013.

أحمد مهدي رزق الله : حركة التجارة و الإسلام و التعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار و آثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث للدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998.ص ص 459-451.

بدري محمد فهد، الصّلات بين العرب و إفريقيا، ط1، دار المناهج، الأردن، 2002، ص ص 50- 53.

السّكاكر محمد بن علي : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و دعوة الشيخ عثمان بن محمد فودي، دراسة تاريخية مقارنة، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض،1407هـ.ص ص 172-176.

عبدا لله عبد الرزاق إبراهيم: الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، دت.

2- المصادر الأجنبية:

-W. E. N. Kensdale, Field Notes On The Arabic Literature Of The Western Sudan: Shehu Usumanu ḍan Fodio, J. R. A. S. , Great Britain And Ireland, No. 3/4 , 1955,pp 162-168

-H. F. C. Smith, Material For The History Of The Western Sudan, Vol. 1, No. 3, 1958, Pp. 245-246.

-John O. Hunwick, Arabic Literature of Africa, The writings of central Sudanic Africa Vol.2. Volume 13

الملحق رقم: **19**

قصيدة في سند الشّيخ عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي في قراءتهما لصحيح البخاري :

يقول عبد الله بعد الحمـــــد	**لله و الصلاة في ذي المجـــد**
أي عمنا خلاصة الحجـــاج	**أخبرنـــــــــا محمد بن راج**
الجامع الصحيح للبخـــاري	**والشيخ عثمان عليه القـــاري**
عن شيخه بطيبة أبي الحسن	**العالم السندي حافظ السنـــن**
عن شيخه محمد حيــــــاة	**عن ابن سالم عن الثقـــــات**
محمد البابلي المصــــــري	**عن سالم أبي النجا السنهــوري**
عن شيخه القيطي أي محمد	**عن شيخ الإسلام بما عن أحمد**
ابن علي حجر الشيــــوخ	**عن ابن إبراهيم و هو التنـــوخي**
عن أحمد الحجاز عن زبيــد	**عن عبد الأوّل عن الـــــداوود**
عن السرخسي عن الفربـــري	**عن البخاري العظيم الأمـــــر**

المصدر:

Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963, P38.

الملحق رقم: 20.

قصيدة الدّالية في مدح النبي محمد صلّى الله عليه وسلم للشيخ عثمان بن فودي

هل لـــــي مسير نحو طيبة مسرعــــاً	لأزور قبر الهــــاشمي محمـــد
لما فشــــا ريـــــاه في أكنافهــــا	وتكمش الحجاج نحو محمـــــد
غـــــردرت منهل الدمـــوع مؤبــلا	شوقـــــاً إلى هذا النبي محمـــد
أقسمت بالرحـــــمن ما لي مفضـــل	إلا حوى حب النبي محمـــــــد
أحكي المصاب بشوقه لما عــــــرى	مالي سرور دون زورة سيـــــــد
قدكدت شــــــوقا ان اطير لقبـــره	ما لي لذيذ العيش دون محمـــد
شمس الضحى تاج الهدي بحر الندي	لا خير إلا في اتباع محمـــــــد
هو وابـــل عمّ الأنــــام نعامـــــــة	بل كل خلق الله دون محمـــــد
لو سرت طيبة نلت غاية مطلبـــــــي	متعفراً في ترب نعل محمـــــــد
وضريح أحمد بالعبير مغرمـــــــــــد	يزري بعرف المسك طيب محمد
ما الشمس شيء والخسوف يزورهــــا	ليس الخسوف بنور هذا المرشد
أوطار قلبـــــي أن أزور ديـــــــاره	دمعي يفيض لفقد هذا السيـــد
تهمي دموعي إن ذكرت فنائــــــــه	قد ذابني حب النبي محمــــــد
إن قيل لي من ذا يشوقك في الـــورى	سأقـــــول إني عاشق لمحمـــــد
تبــــا لمـــن يأبـــى إتباع طريقـــــة	يا طول كربته هنا وكذا غـــــــد
قوموا بنا نسعى الى شمس الهـــــدى	نطوي الفلا لنزور قبر محمـــــد
شدو إلى زين القيـــــامة سرجنـــــا	متمر غين بترب ذاك المسجـــد
نار الغرام تجـــــول بين ضلوعنـــــا	ندلي لـــــه محبة وتـــــودد
نختان بين العــــــالمين بفخـــــره	ونذوب من شوق النبي محمـــد
قطعت رقاب المشركين سيوفـــــــه	من ذا يماري في فضائل محمـــد
أفلت نجوم عـــــــلاهم بعلـــــوه	من ذا الذي يعلو علوّ محمــــد
لا لأنس إلا أن نـــــزور ضريحـــــــه	لا خصب الا في جناب محمـــد
نسمو على كــــــل الورى بسمـــــوه	ونسود بينهم بسؤدد محمـــــــــد

وبشوقه فاضت غـــروب دوموعنـــا تمحى ذنوب عصاتنا بمحمــــــد
كم حائر بين الظـــلام به هــــدي أنــــواره في قلب كل موحـــد
أخلاقه لم توت خلـــق مثلهـــا من ذا الذي يحوي كرامة محمـــد
آياتهـــا من ذا يقـــوم بعدّهـــا كالرمل كثرة معجزات محمـــــد
من عرش رب العــالمين جنـــوده ما في الورى مثل النبي محمـــد
قد خـــط في التوراة نعت نبينـــا بل في الزبور صفات هذا المرشـد
إنجيـــل عيسى شاهـــد بنعوتـــه در الشياه يدل من هو مهتـــــد
قـــد سبح الله الحصــى في كفـــه و الماء جار في أنامل محمـــــد
والـذيب شـــاهد بعثـــه بحقيقـــة ظبي الفلاة تجيب هذا المرشـــد
لباه ضـــب ثم صــــدق بعثـــــه قد خرت الأشجار محمـــــــد
والطفـــل شاهـــد بعثه بين المـلا والرفض قد جاشت بمجئة محمـد
قد رد قـــرص الشمس عند دعائـــه والبدر شق بجاه هذا السيـــــد
وكذا السحـــاب تظل وقت هجـــيرة وكذا الحمام بذا عدد محمــــــد
والعنكبـــوت تســـده في غـــــاره والجذع حن لفقد هذا السيــــد
مـــن ذا تكثـــر القليـــل بمسحـــه وانشق إيـــوان بوضع محمـــد
قد غاضت الأنهـــار عنـــد ولاده وكذا إطفاء لنـــار موقــــــد
قد جاء مختونا ختـــــان إلهـــــته قد عد أيضا قطع سرة محمـــــد
يـــا من يعـــد عجائبـــا لمحمـــــد أتطيق يا ذا كيل بحر مزبــــد
من ذا يعـد الرمـــل في عراصاتهـــا فاقت بذلك معجزات محمـــــد
سبحان من أهـــداه أعظـــم منّـــة من ذا الذي يحصي مديح محمـد
لا تنكـــروا يـــا قـــوم ما حـــدثته مأنا مقتد ما قال من مهتـــــد
أنا مقتد أنـــا عـــاجز أنا جاهـــل أنا مذنب أنا عاشق لمحمــــــد
ولـــقد علـــمت بأنني لا أحـــسن مدحا بخير العالمين محمــــــد
لكـــن بلـــيت بحبـــه فجلوتـــــه لا لهو مني لا و لا أنـــــا من دد
لا تضحكـوا نظـــم فاني عاجـــز من ذا الذي يتم مديح محمـــــد
ذنبـي قيـــود والقيـــود ثقيلـــــة كيف النهوض لموثق ومقيـــــد

إني ذليــــل بالذنـــــوب مبرقــــــع	أرجو الخلاص بجاه هذا السيـــــد
أخفــــيت ســــوء والله لـــه يـــرى	يا عالم الأسرار أعذب مـــــــورد
إني عديــم بالخطــــايـــا مكثــــر	لا ملجأ إلا بفضل محمـــــــــــد
وإذا سئلت من المسيء أقـــل أنــــا	لا طمع لي إلا بجاه محمـــــــــد
كن آخذا بيــــد العبيد المـــــذنب	يا عمدتي يا موئلي يا مقصــــــد
يا رب إن لم تعف حـــق إلى الـــردى	وقع هناك عذاب نار موصـــــــد
وأتيت بابك يـــا إلهــــي نجنـــــي	يوم القيامة من عذاب موقـــــــد
ولقد علــــــــمت بأن ربي فاتـــــح	أبوابه من جـــوده للقاصـــــــد
كن لي شفيعا للنكــــير المــــرهب	يا خالقي يا منقذي يا سيــــــد
هون لنــــا من أن نـــــزور نبينــــا	سهل أيا مولاي زورة أحمــــــــد
كن يا أبا بكـــــــر يميني أخــــذا	بالله قربني غــــــدا لمحمـــــــد
كن أنت يـــا فـــــاروق ثم مقربــــا	يا من أسمي باسمه أفعل ذا غـــد
خذ أنت يا زوج البتـــول يدي غـــدا	حتى توصلها إلى يد أحمـــــــد
وبعون رب العــــــالمين ختمتهـــــا	وجعلت عدّتها كسن محمـــــــد
في عام قــــش بعد فـــح فأفهمــــا	من هجرة الهاد النبي محمـــــــد

المصدر:

Institute Of Islamic - African Studies International Sankore

الموقع الالكتروني:

www.siiasi.org

بيبليوغرافية الدّراسة

المخطوطات:

– عبد الله بن فودي: كتاب النسب، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 1، المرجع O/AR 27.

– عثمان بن فودي: تبشير الأمة الأحمدية، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 2، المرجع O/R6

– مجهول: قائمة ملوك دورا، جمع بالمر، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 4، المرجع O/AR10.

الوثائق المنشورة:

– عثمان بن فودي: كتاب الفرق، مجلة دراسات إسلامية مسيحية، المعهد البابوي للدراسات العربية و الإسلامية، مطبعة دون بوسكو، ع 6، 1980.

– عثمان بن فودي: المسائل المهمّة الّتي يحتاجها إلى معرفتها أهل السّودان، تح حسين عيسى عبد الظاهر، حولية كلّية الشّريعة و القانون و الدّراسات الإسلامية، جامعة قطر، ع3، 1984.

-Celeste Intartaglia: Il Sirāğ Al—IḪwān Del Muğaddid Nigeriano 'UtMān Dan Fodio (1754–1817 A. D.), Celeste Intartaglia,Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 4 (65), Nr. 7/9 , 1985

-D. H. Bivar: The Wathiqat Ahl Al-Sudan: A Manifesto of the Fulani Jihad, Vol. 2, No. 2, J.A. H, 1961.

-G. Martin:Unbelief in the Western Sudan: 'Uthmān dan Fodio's "Ta'līm al-ikhwān", Vol. 4, No. 1, Middle Eastern Studies, 1967.

-H. R .Palmer: The Kano Chronicle, The Journal of the Royal Anthropological, Vol 38 Institute of Great Britain and Ireland, ,1908.

-M. Hiskett :An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the Sixteenth to the Eighteenth Century, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 25,No. 1/3 (1962),

-M. Hiskett: Material Relating to the State of Learning among the Fulani before Their Jihād, Vol. 19 No. 3, B. S. O. A. S, University of London, 1957.

-Umar Al-Nagar :The Asānīd Of Shehu Dan Fodio: How Far Are They A Contribution To His Biography?., Vol. 13, Sudanic Africa, Sudanic Africa 1979-1987 (2002).

-Uthman Dan Fuduye: Usuul'l-Wilaayat, edited and Translated Muhammad Shareef, Institute of Islamic , African Studies International, Published by SANKORE, 2000 .

المصادر:

– ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد : تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، ط1،دار إحياء العلوم، بيروت، ج2،1987.
– ابن حوقل، صورة الأرض: منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1996.
– ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج2، ج6، دار الفكر، بيروت: 2000.
– ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2008.
– البكري أبي عبيد الله: المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1857.
– بلّو محمد إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح: علي عبد العظيم وآخرون، 1964.
– بن مصطفى عبد القادر : مجموع يشير، المعهد الإسلامي للدراسات الإفريقية الدولية، د ت.
– التمبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.
– السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، ط1، 1898.
– السيوطي جلال الدين: الحاوي للفتاوى في الفقه و علوم التفسير والأصول والاعراب وسائر الفنون، دار الكتب العالمية، 1982.
– عثمان بن فودي ،كتاب نور الألباب ، تح: إسماعيل حامت ، المجلة الإفريقية، مج، 42، 1898، ص2.
– عثمان بن فودي: إحياء السنة وإخماد البدعة، تح أحمد عبد الله باجور، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، 1985.
– عثمان بن فودي: إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، تح: مالم سراج موسى تلات مفرا، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.
– عثمان بن فودي: أصول الدين، تح علي غواند، ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.

– عثمان بن فودي: تمييز أهل السنة ، تح: محمد مودي شوني، منصور إبراهيم، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.
– عثمان بن فودي: فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، تح سيني موموني، سالو الحسن، ليون، 2012.
– عثمان بن فودي: نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير ،مركز أبحات الوثائق و المخطوطات و تحقيق التراث، جامعة المنصورة، 1990.
– عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، تح ثاني يوسف برنن تد ، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
– عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها ،تح: عمر بلو مالم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.
– عثمان بن فودي، الأمر بموالاة المؤمنين والنّهي عن موالاة الكافرين ،تح: ثاني يوسف برنن تد ، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
– عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ،تح: مالم أنس محمد يعقوب، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
– عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد ،تح: ثاني يوسف برنن تد ، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
– عثمان بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان ،تح: محمد مودي شوني، سليمان موسى إيثائي، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.
– عثمان بن فودي، حكم جهاد بلاد الهوسا ،تح: سليمان موسى، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.
– عثمان بن فودي، شفاء العليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل ،تح: سليمان موسى ، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.
– عثمان بن فودي، هداية الطلاب في أهم مسائل الدين ،تح: أبو بكر علي غواند، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.
– القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

- كعت محمود : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس، مطبعة بردين، أنجي، 1913.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم : أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها، تقديم وتحقيق عبدالقادر زباديه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ،تقديم رابح بونار، الجزائر، 1968.
- النجدي عثمان بن عبد الله بن بشر ، المجد في تاريخ نجد، تح: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز،1983.
- الوزان الحسن ، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983.

المراجع العربية:

- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق : أضواء على الطّرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مبدولي، 1990.
- إبراهيم عبدا لله عبد الرزاق: الإسلام و الحضارة الإسلامية في نيجيريا،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، دت.
- أجايي .ج. ف. أ : افريقيا في مطلع القرن التاسع عشر قضايا و توقعات، إشراف ج.ف.آداى آجايي، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، مج6، 1996.
أبو بكر غوندو، مختارت من مؤلفات الشّيخ عثمان، مج 1-2-3،، دار إقراء للطباعة و النشر، غدابيو- غوسو، 2013.

أحمد محمد لواء الدين: الإسلام في نيجيريا و دور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط1، دار الكتب العلمية 2009، بيروت، ص138.
أحمد مهدي رزق الله : حركة التجارة و الإسلام و التعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار و آثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث للدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998.
آدامو مهدي : الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، إشراف ج. ت. نياني، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو ، مج4، 1988.

الآلوري عبد الله ادم : الإسلام في نيجيريا، بيروت، 1971.

الآلوري عبد الله آدم : موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة،بيروت،1965.

باري عثمان برايما : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 2000، ص 96.

باري محمّد فاضل علي : سعيد إبراهيم كريديه، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ و حضارة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 192.

بطران عبد العزيز : الثورات الإسلامية في القرن التاسع عشر، إشراف ج.ف.آداى آجايي، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، مج6، 1996.

بلعالم محمد باي : قبيلة فلان في الماضي و الحاضر و مالها من العلوم و المعرفة و المآثر، دار هومة، 2004.

بن أيوب ناجي علي : لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس و اليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت، دت.

بوعتروس أحمد: الحركات الإصلاحية في غرب افريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي ،دار الهدى ، الجزائر،2009م.

بوعزيز يحي: تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية، ط خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009.

الجمل شوقي عطا الله:الأزهر ودوره السياسي والحضاري في افريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.

الجمل عطا الله شوقي : عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ شمال و غرب افريقيا الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012.

حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963.

حسن إبراهيم حسن: علي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت.

حوتية محمد: آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الهجري ق18-19م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008.

حوتية محمد: توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة و الثامن عشر و التاسع عشر للميلاد، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2007.

دندش عصمت عبد الله : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا،ط1،در الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

- ذهني إلهام محمد علي ، جهاد الممالك الاسلامية في غرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي1850-1914، دار المريخ، الرياض، 1988.

رؤوف عماد عبد السّلام : الآثار الخطية في المكتبة القادرية،ط1، ،مطبعة الإرشاد، بغداد، ج1،1974

زبادية عبد القادر : الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

زبادية عبد القادر : دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

زبادية عبد القادر : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.

زناتي محمود سلام : الإسلام و التقاليد القبلة في افريقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.

السكاكر محمد بن على بن محمد:محمد بل و الدولة الصكتية في عهده1232-1235هـ/1817-1837م، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض، 2000

السّكاكر محمد بن علي : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب و دعوة الشيخ عثمان بن محمد فودي، دراسة تاريخية مقارنة، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض،1407هـ.

السّيد مصطفى حجازي : أدب الهوسا الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1419.

عبد الرزاق عبد الله : المسلمون و الاستعمار الأوربي في إفريقيا ، منشورات عالم المعرفة ، عدد 139 ، الكويت ، 1989.

عبد الرؤوف عبد القادر سيد : الدعوة في العصر الحديث حركات البعث الإسلامي، كلية أصول الدين، القاهرة.

عبد الظاهر حسين عيسى : الدعوة الإسلامية في غربي افريقية و قيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1991.

عبد القادر خالد علي : انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا و أثره على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية،ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014، ص68.

عثمان محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، منشورات عالم المعرفة ، عدد 128 ، الكويت ، 1988.

عطا الله شوقي ، عبد الله عبد الرزاق: تاريخ شمال و غرب افريقيا الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012.

عمار هلال : الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، 1988.

عمر أبو ألفا بن محمد شريف بن فريد: معاونة الأمير الصّنديد في منهج التعليم المفيد، المعهد الإسلامي الإفريقي للدراسات الدولية، 2008 .

الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للنشر و الطباعة، الكويت، 1982.

الغنيمي عبد الفتاح مقلد : حركة المد الإسلامي في غرب افريقيا، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،1985.

فهد بدري محمد : الصّلات بين العرب و إفريقيا، ط1، دار المناهج، الأردن، 2002.

قاسم عبد الحكيم عبد الغني : المذاهب الصوفية و مدارسها، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

قدّاح نعيم : أفريقيا الغربية في ظلّ الإسلام، دمشق، 1960.

قداح نعيم : حضارة الإسلام و حضارة أوربا في افريقيا الغربية ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ت.

كاني أحمد : الجهاد الإسلامي في غرب افريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

لاست موري : دولة الخلافة في سوكوتو و بلاد برنو، إشراف ج.ف.آداى آجايي، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، مج6، 1996.

لايا، د: دول الهوسا، إشراف ب. أ. أغوث، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، مج5، 1997.

الماحي عبد الرحمان عمر : الدعوة الإسلامية في افريقيا الواقع و المستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت .

محمد الطيب عبد الرحيم الفلاتي: الفلاتة في افريقيا و مساهماتهم الإسلامية و التنموية في السودان، ط1، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994.

محمود حسن أحمد : الإسلام و الثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة 1986.

مرجان سحر عنتر محمد أحمد : فقهاء المالكية و آثارهم في مجتمع السودان الغربي، في عهدي مالي و صنغي 628-1000هـ / 1230-1591م، مكتبة الثقافة الدّينية، ط1، القاهرة، 2011

مفتاح عبد الباقي : أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني و انتشار طريقته، دار الهدى، الجزائر، 2008.

منغا محمد الأمين : اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2006.

منغا محمد الأمين : كتاب تعريفي عن تاريخ الهوسا، ط1، المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، الرباط، 1998.

مؤنس حسين: الإسلام الفاتح، سلسلة دعوة الحق، ع 4، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة، د ت.
مؤنس حسين: الطرق الصوفية و أثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، د ت.
النحوي الخليل: بلاد شنقيط، المنظّمة العربية للتربية و الثقافة، تونس،1987.
الودغيري عبد العلي: اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي و ملامح من التأثير المغربي، ط1، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 2011.
يحي جلال : تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2010.

المراجع المعرّبة:

بانيكار .ك. مادهو : الوثنية و الإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب افريقيا، تر و تح أحمد فؤاد بليغ، ، ج1، ط2 ،المجلس الأعلى للثقافة، 1998.
بروكلمان كارل : فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، السعودية،1977.
بلانهول كزافييه دو : تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر معاوية سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي،تونس، 2008.
بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر الهادي بولقمة – محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1988.
بولم دنيس : الحضارات القديمة، ترجمة علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974.
ترمنجهام سبنسر: الفرق الصوفية في الإسلام، تر عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، 1994.
توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.
دي فيج جي: تاريخ غرب إفريقيا، تر السيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982.
ديشان هوبير: الدّيانات في افريقيا السّوداء،ترجمة أحمد صادق حمدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.
زيربو جوزيف كي: تاريخ افريقيا السوداء ،ترجمة يوسف شلبي الشام ،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1994.
كربخال مارمول : افريقيا، تر محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، ج3، 1989.
كون .كارلتون أس: ، إدورد أ. هنت الابن، السلالات البشرية الحالية، تر محمد السيد غلاب، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1975.

لابيدس. أيرا م: تاريخ المجتمعات الإسلامية، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، لبنان،2011.

هوبكنز .أ .ج : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.

وايدنر دونالدل: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل،ج1، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1976.

المجلاّت:

أ .هوداس، محاولة في الخط المغربي، ع 3، حوليات الجامعة التونسية ، تونس،1966.

أبو الخير أحمد مصطفى ، عثمان بن فودي ريادة إسلامية في الغرب الإفريقي- العربي، مجلة رسالة التقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ع90، 2012.

أبو زيد أحمد ، المدينة الإسلامية، عالم الفكر، مج 11، ع1، 1980.

الآلوري عبد الله ، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية المسمّاة بنيجيريا من مستعمرات بريطانيا، مقال بمجلة الأزهر، المجلد السابع عشر الجزء السادس، مطبعة الأزهر، 1946.

أنور محمد ، قبائل الهوسا، مجلة افريقيا قارتنا، العدد 6، القاهرة، 2013.

أنور محمد ، نهر النّيجر ثالث أكبر أنهار إفريقيا، مجلة افريقيا قارتنا، ع7، القاهرة، 2013.

بلاربي أبو بكر، اللغة العربية في نيجيريا من العصور الوسطى الى اليوم ، المجلة العربية للثقافة، تونس , مج 7, ع 12، 1987.

بلهواري فاطمة، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و افريقيا السوداء، مجلة عصور، ع ع 8-9-10-11، جامعة وهران، الجزائر، 2006-2007.

بوبو مسعود ، من تاريخ انتشار اللغة العربية في الآفاق، مجلة دراسات تاريخية، ع ع 63-64، جامعة دمشق، سوريا، 1998.

جاه عمر، تقويم جديد لجهاد الحاج عمر الفوتي وعلاقته بجهاد الشيخ عثمان بن فودي، ع 6، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1982.

الجمل شوقي عطا الله ، الحضارة الإسلامية العربية في غرب افريقيا سماتها و دور المغرب فيها، مقال بمجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشّؤون الثقافية، الرباط، العدد7، 1976.

الجمل شوقي عطاء الله ، عثمان دان فوديو و سياسة الجهاد الإسلامي التي اتبعها في ضوء مخطوط فريد بوثائق الرباط،مج 13، ع26، م البحث العلمي، المغرب، 1976.

ديالو علي كلطغ ، الثقافة الإسلامية في افريقيا، مجلة دعوة الحق، وزراة الأوقاف الشؤون الإسلامية ، الرباط، العدد 266، 1987.

الزيد زيد بن عبد الكريم ، وظيفة المسجد في المجتمع، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع11، 1415هـ.

سعيد عمر أحمد ، جهود الشيخ عبدالله بن فودي التعليمية في نظم العلوم العربية والإسلامية، ع33، دراسات افريقية.

– سيلا الحاج: دور اللغة العربية في العلاقات الإفريقية العربية، الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، السنغال،1984.

– عبد الظاهر حسن عيسى ، بين الدعوة السلفية دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب و بين الدعوة الفلانية دعوة الشيخ عثمان دان فوديو، مجلة التربية، الكويت

– العراقي السّيد أحمد: بلاد إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ الدور الحضاري و الثقافي، رسالة التقريب، ع 58، 2015.

–الفوتي محمد بلي: اللغة العربية لغة القرآن و العلم و الحضارة في إفريقيا، ع 269، دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، 1988.

– قداح نعيم: التأثير العربي الإسلامي في مجتمع افريقيا الغربية، المعرفة، ع 14، سوريا، 1963

– القرعي أحمد يوسف ، الثقافة الإسلامية و اللغة العربية في افريقيا واقع و مستقبل، مجلة الفيصل، ع42، الرياض، 1980.

– الكيالي سامي: آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم، اللسان العربى، المغرب، مج 7، ع1، 1970،

محمد الثاني أبو بكر، ، الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا نيجيريا نموذجا، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ، الجزائر، مج 6، ع 12، 2010.

– محمد داود الطّاهر : شعب الهوسا الموطن و اللّغة، مجلّة الفيصل ، ع 319، الرياض، 2003م.

–محمود حسن أحمد، المرحلة الإفريقية من تاريخ المرابطين، المجلة التاريخية المصرية ، مج 12 مصر،1965.

– نوري دريد عبد القادر، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون 4 – 8 هـ / 10 16 م، ع 30 م آداب الرافدين ،العراق، 1997.

– هانويك جون: اللغة العربية و مظاهرها في غرب افريقيا، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج 24, ج 1 مصر،1978.

- يعقوب علي: شيخ الإسلام في السودان الغربي جبريل بن عمر الأغدسي حياته و حركته الإصلاحية، مقالة مجلة الرابطة، ع548، الرياض، 2012.

الرّسائل الجامعية:

- عبد الفتاح حسنين مقلد بكر، سلطنة البورنو الإسلامية حتى ظهور محمد الأمين الكانمي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، اشرف حسن أحمد محمود، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،1975.

- مصطفاوي سعاد: دور الطريقة القادرية في غرب افريقيا بين القرنين 14 و 18 ميلادية، إشراف بن يوسف تلمساني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر، 2010.

الموسوعات و الأطالس:

- الجمل شوقي عطاء الله و آخرون ، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، مج 2، القاهرة،1997.

- العفيفي عبد الحكيم: موسوعة 1000 مدينة، إسلامية، مكتبة الكتاب، مدينة نصر، مصر، 2000.

- سعودي محمد عبد الغني:إقليم غرب افريقيا، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، مج12 ،1999.

- شلبي أحمد: موسوعة التّاريخ الإسلامي، ط 7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج6، 1986.

- مجموعة مؤلفين: الإسلام و المسلمون في إفريقيا و آسيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008.

- مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ط1،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

البحوث و المؤتمرات باللغة العربية:

- أبوبكر محمد مي: أثر اللغة العربية في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار،المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، 7-10 ماي 2014.

- إسماعيل رفاعي الحاج: دور المخطوطات العربية الإسلامية لقادة الخلافة الصكتية، في إثراء اللغة العربية في نيجيريا، مقالة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للغة العربية الثاني، دبي، 2013.

- باريا محمد سليمان: محمد صالح جمال، اللّغة العربية أداة للتفاهم بين الشّعوب النيجيريّ المسلمة، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية،دبي، 6-10 ماي 2015.

- البشير عبد الله الشيخ: التربية في المسجد والكتاب (الخلوة)، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، السعودية، 1980.

– دياب أحمد إبراهيم: اللغة العربية في اللغات الإفريقية الخلفية التاريخية ،الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى ، السنغال،1984.

– زكي عبد الرحمن: الإسلام و المسلمون في غرب افريقيا، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة يوسف، ج2

– الشّيخ الأمين عوض الله: تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن السادس عشر، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، معهد الدراسات العربية، بغداد،1984.

– المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم: الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية و بدء حركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر، لعلاقات العربية الإفريقية دراسة في الآثار السلبية للاستعمار ، معهد البحوث و الدراسات العربية،1977.

المصادر باللّغة الأجنبية:

- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963

-Clapperton And Others: Narrative Of Travels And Discoveries In Northern And Central Africa,1822-23 And 1824, London, 1926.

-Henry Barth, Travels'and Discoveries Of North And Central Africa, Vol1, New York ,1857

المراجع باللّغة الأجنبية:

- Chailley marcel: histoire de l'Afrique Occedental Française

- H.A.S. Johnston: The Fulani Empire of Sokoto, Oxford University Press, London. 1967 .

- J. S. Trimingham: Islam in West Afric, Oxford, 1959.

- John O. Hunwick: Arabic Literature of Africa, The writings of central Sudanic Africa Vol.2. Volume 13

- Joseph H: Greenberg, The Classification of African Languages , American Anthropologist, New Series, Vol. 50, No. 1, Part 1, 1948.

Josephp.S. Maldone: Warfare In The Sokoto Caliphate, Cambridge University Press, London, 2008.

- Kalu Ezera :Constitutional Developments in Nigeria: An Analytical Study of Nigeria's Constitution-Making Developments and the Historical and Political Factors That Affected Constitutional Change Cambridge University Press, 1960.

- Le Chatelier Alfred : L'islam Dans L'afrique Occidentale G. Ste1nheil, Éditeur, Paris, 1899.

- M. G. Smith: Government in Kano1350-1950, West view Press.

- M.G.Smith: Government In Zazzau1950-1800, International African Institute, Oxford University Press, London,1960.

- Paul Marty: Études sur L'islam et les tribus du Souda, Tome 1 , éditions ernest Leroux, paris, 1920.

- Ralph A Austen: Trans-Saharan Africa in World History ,Oxford University Press, New York, 2010.

- Titus Burckhardt: Art Of Islam: Language And Meaning,World Wisdom,2009

المجلاّت الأجنبية:

-Abba Idris Adam, Re-inventing Islamic Civilization in the Sudanic Belt: The Role of Sheikh Usman Dan Fodio, Volume 4, No. 6, Journal of Modern Education Review, USA, 2014.

-Abdul Azim Islahi, Shehu Uthman Dan Fodio and his economic ideas, Islamic Economics Institute, King Abdulaziz University, Jeddah, 2008, p6.

-F. Daniel, Shehu dan Fodio, Vol. 25, No. 99,J. R.A.S, Oxford University Press, 1926.

-F. Garrard, Myth and Metrology: The Early Trans-Saharan Gold Trade Timothy Vol. 23, No. 4 , J.A.H, 1982.
-H. El-Masri The Life Of Shehu Usuman Dan Fodio Before The Jihādf, Vol. 2, No. 4 , J.H.S.N, 1963.
-H. F. C. Smith, A Neglected Theme Of West African History: The Islamic Revolutions Of The Century19, Vol. 2, No. 2, J. H.S.N, 1961.

-H. R .Palmer,The Kano Chronicle, Vol 38,The Journal of the Royal Anthropological, Institute of Great Britain and Ireland, 1908.
-H. R. Palmer, History of Katsina, Vol. 26, No. 103, J. R.A.S, Oxford University Press, 1927.
-Hamza Muhammad Maishanu And Isa Muhammad Maishanu, The Jihād And The Formation Of The Sokoto Caliphate, Islamic Studies, Vol. 38, No. 1, Islamic Research Institute, International Islamic University, Islamabad, 1999.
-J. A. Burdon, The Fulani Emirates of Northern Nigeria, Vol. 24, No. 6, The Geographical Journal, 1904, p 640.
-Jean Boyd, Distance Learning from Purdah in Nineteenth-Century Northern Nigeria: The Work of Asma'u Fodiyo, Journal of African Cultural Studies, Vol. 14, No. 1, Islamic Religious Poetry in Africa, 2001.
-M. Hiskett ,An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the Sixteenth to the Eighteenth Century, Vol. 25,No. 1/3, B.S.O.A.S, University of London, 1962
-M. Hiskett,An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the Sixteenth to the Eighteenth CenturyVol. 25 No. 1/3, B.S.O.A., Cambridge University Press,1962, pp. 580-581.

-Muhammad Khalid Masud, Shehu Usuman Dan Fodio's Restatement Of The Doctrine Of Hijrah, Vol. 25, No. 1, Islamic Studies, 1986.

-Paul E .Lovejoy, The Role of the Wangara in the Economic Transformation of the Central Sudan in the Fifteen and Sixteenth Centuries, XIX, 2, J.A.H, 1978.
-Paul E. Lovejoy,Plantations in the Economy of the Sokoto Caliphate, Vol. 19, No. 3, J.A.H, Cambridge University Press ,1978.
-Sa'ad Abubakar, The Emirate-Type Of Government In The Sokoto Caliphate, Vol. 7, No. 2, J.H.S.N, 1974
-w. Hodder, some comments on the origins of traditional markets in africa south of the sahara, transactions of the institute of british geographers, no. 36, 1965.

الأبحاث و المؤتمرات باللّغة الأجنبية:

-Abdul Azim Islahi, Shehu Uthman Dan Fodio and his economic ideas, Islamic Economics Institute, King Abdulaziz University, Jeddah, 2008.

-Mukhtar Umar Bunza,The sokoto caliphate after 200 years : A Reflection, Being a paper presented at the ulam'conference on the bieentenary commemoration of the sokoto caliphate helde at attahiru bafarawa institute for qur'an and general studies, sokoto, 23-24 july 2004.

-robertr A ymond marten son the life a n d work of usmanu bin foduye ,with special reference to the religious nature of the encounter between the hausa muslim and fulbe muslim communities. The hart ford seminary foundationst. Paul, M I N N E S O T A u.s.a.june, 1977

-Usman M. Bugaje, The Sakkwato Model A Studyof The Origin, Development And Fruition Of The Jihad Of Uthman B. Fodye (1754-1817) This Booklet Was Originally A Paper Presented At An International Islamic

Conference Held At Bayero University Kano - Nigeria (16th To 22nd April 1980).

المذكرات باللّغات الأجنبية:

-Abdal-Aziz Abdallah Batran, Sidi al-Mukhtar 'al-Kunti and the recrudescence of Islam in the Western Sahara and the Middle Niger c. 1750-1811, Ph. D. Thesis submitted to the University of Birmingham, Centre of West African Studies, 1971.

-Abdullah Hakim Quick, ,Aspects Of Islamic Social Intellectual History In Hausaland Uthman Ibn Fudi, 1774-1804 C.E,A Thesis Submitted In Conformity With The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Graduate Department Of History, In The University Of Toronto, 1995.

-Ahmad Tahir, THE Soclil WRITINGS OF SHAYKH UTHMAN B. Fudl A CRITICAL AND ANALYTICAL STUDY, Institute Of Islamic Studies Mcgill University ,Montreal ,1989.

–Ismail A. B. Balogun, The Life and Works of ʻUthmān Dan Fodio: The Muslim Reformer of West Africa, Islamic Publications Bureau, 1975.

-Usman Muhammad Bugaje, A Comparative Study Of The Movements Of Uthman Dan Fodio In Early Nineteenth Century Hausaland And Muhammad Ahmad Al-Mahdi In Late Nineteenth Century Sudan, A Thesis submitted in partial fulfillment of Master Degree in African and Asian Studies, Institute of African and Asian Studies, University of Khartoum, sudan, 1981.

-Usman Muhammad Bugaje, The Tradition Of Tajdid In Western Bilad Al-Sudan A Study Of The G Enesis,Development And Patterns Of Islamic Revivalism In The Region Ad 1900-900, Thesis University Of Khartoum ,1991.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبائل والجماعات

فهرس المحتويات

فهرس الأعلام:

– أ –

– ب –

– ج –

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس القبائل والجماعات

فهرس المحتويات

Résumé

Cette étude s’intéresse de la recherche dans la vie de Sheikh Otman ben Fodi en montrant comment ce dernier s’est élevé et a acquiert de tous les genres des sciences sous l’égide des ses scientifiques (Choyouhk) ainsi que ses disciplines les plus importants en plus de les œuvres littéraires qu’ il a laissé .Ensuite on suit le rôle religieux , réformiste et djhadiste dans le pays du Houssa et les changements auxquels il a amené au début du siècle du XIXe à l‘ouest de l’Afrique. Ce qui conduit à l’accélération des événements et à la modification globale des conditions dominantes en ce temps-la.ces œuvres de Otman étaient témoin de l’apparition des savants(Olama’e) respectueux qui aussi ont transcrit les règles de la législation islamique (Charia) que consacré leurs vies à l’appel à Dieu ,la reforme et au djihad c’est la raison pour la quelle cette période se qualifie de la renaissance touchant la plupart des régions de l’ouest africain et y fixant les piliers de l’Islam.

Encore elle a eu un impact profond sur la mode de vie des sociétés aux nombreux races et ethnies car l’Islam est considéré le moteur actif derrière ce changement-la.

l'importance de cette étude inspiré de celle-ci de la personnalité de Otman ben Fodi et son effet ,généralement , sur l'Ouest de l’ Afrique et spécifiquement sur le contrée de Haoussa et dans l'histoire africaine. Cette étude a reposé sur les sources primaires pour mettre en lumière sur la personnalité de Otman ben Fodi qui est l’un des prominents scientifiques à l'Ouest de l’Afrique en tant qu’ un savant ,penseur , défenseur , leader et renouvelant de la religion de Dieu, et en plus de tout ça il était l’un de ceux qui a mené le mouvement de reforme et du renouvellement religieux qui a abouti à la création d'un Etat islamique en Afrique de l'Ouest, connu comme la succession de Sokoto; Cette étude a concentré sur les aspects importants de la vie de cette personnalité.